

المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية الثقافية

العدد (٥٨٧) المجلد (١٥) العام [٦٩] جمادى الآخرة ورجب ١٤٢٤ هـ - أغسطس وسبتمبر ٢٠٠٢ م

مسابقة
المنهل الثقافية
قسمة المسابقة داخل العدد



الطب المثل .. البديل المتاح

- التراث والمعاصرة ..
- المعادلة الصعبة
- تناقض المتنبى ..
- تناقض الأمة

الخط العربي بين الفن والحرفة

التعاون .. (مجلة المنهل -

Per. عبد القدوس الانصاري)

059.927

بسم الله الرحمن الرحيم

خال المنفلوطي

مجلة للأدب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة

العربية السعودية - جدة

عن دار المنفلوطي

للصداقة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م

ملكها ورأس تحريرها

المغفور له

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ / حتى ١٤٢٤ هـ



المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١

برقيا: النهل

فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥

٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض: ص.ب ٢٩٠

تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

مواقف



كل نفس ذائقة الموت

.. إن الله تعالى في

كتابه الحكيم نفى معرفة

الإنسان بسر الوقت الذي تنتهي به

الدنيا، وتقوم فيه الساعة حين قال عن

الساعة (لا تأتاكم إلا بغتة) والله أصدق

القائلين، إنه الخالق الذي خلق الدنيا، وعلم

وقت بدايتها ووقت نهايتها .. واستأثر بعلم

خلق الدنيا وعلم وقت بدايتها، ووقت نهايتها

وحجب خلقه عن معرفة ذلك الوقت بنص

كتابه الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم

حميد

«عبد القدوس الأنصاري»

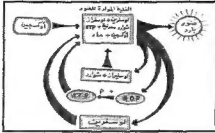
جمادى الأولى والأخرة ١٤٠٢ هـ
مارس وأبريل ١٩٨٢ م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالاً - قطر ٨ ريالاً - المغرب ٩ دراهم - مصر جنيهان

تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بييسه - الامارات ٨ دراهم

البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.



٤ - **الاضاءة فسي**
الكائنات الحية
محمد فيض الله الحامدي

١٦ - **التفاؤل والتشاؤم**

على بن عبد العزيز الشبل

١٨ - **في القصص النبوي** (قصة هود عليه السلام)

د. عبد الباسط حمودة

٢٤ - **شاعر العقيق** (محمد هاشم رشيد)

عثمان محمد مليباري

٢٨ - **تناقض المتنبي** نموذجاً لحال الأمة

د. خير الدين عبد الرحمن

٣٢ - **فاض الجوى - شعر**

د. سالم بن عبد الجبار آل عبد الرحمن

٣٤ - **في التراث حقائق وأوهام** (أبو حيان التوحيدي)

د. محمد عمارة

٤٠ - **الانزياح في قصيدة** (عزاء على بطاقة تهنئة)

مديحة عتيق

٤٦ - **المرأة واللغة** (مقارنات بين أحاديث النساء)

د. مصطفى عبد الواحد

٥٠ - **آلاء (شعر)**

د. نور الدين صمود

٥٢ - **رحلة في الذاكرة** (د. بنت الشاطي)

د. محمد رجب البيومي

٥٦ - **نقطة سوداء في تاريخ مشرق**

عبد الله بن ناصر الحديب

٥٨ - **المخكلات الاعلامية في براعم**

التليفزيون الخليجي الموجهة

للاطفال - سال (١ - ٢)

د. محمد معوض ابراهيم

٧٢ - **أحماض أدبية**

د. احمد عطية السعودي

٧٦ - **لغتنا الجميلة ٠٠** اين هي من الإعلام؟

عبد الحميد غزي حسن



الاشتراكات

جسدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

قيمة الاشتراك السنوي

للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال .

قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

ن ت س ل ت

التنويريين

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة

٨٠٠٢٤٤٠٧٦ - وكالة الأهرام

للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ -

الشركة التونسية للصحافة/

تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشرفية

للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣

- شركة الامارات للطباعة والنشر

والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ -

دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع

الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار

اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ -

الشركة المتحدة لتوزيع الصحف

والمطبوعات د.م.م/ الكويت/

٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال

لتوزيع الصحف/ البحرين/

المنامة ٥٣٤٥٥٩ .

الاعلامات:

يراجع بشأنها

الإدارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة

للطباعة والنشر - جدة تليفون :

٦٣٩٤٠٩٥ - فاكس : ٦٣٩٦٠٦٠

**** ما بين المادهين والقادهين ..
يحتاج التوهيدى لدراسة منصفة**

ص ٣٤

**** الاثرياع يستمد بنظام اللغة
عن الاستمبال المأثوف**

ص ٤٠

**** صراع لغوى موهوم بين الرجل
والمرأة صنعه خيسال الكتاب**

ص ٤٦

**** نصف ساعات السقطة عند
الاطفال يتفوضها امام الشاة**

ص ٥٨

**** بعض المذيعين تصروا قاسية
لشفتنا الخسالة بأخطائهم**

ص ٧٦

**** المنهل واحدة من سواهد
ومصالح الوطن المضارية**

ص ٩٠

**** الموعة .. مصطلح لا وجود له
نسي السمين**

ص ١٠٢

**** جماعة الاحفاليين في المغرب
العربي اتوى واقع مرهق**

ص ١٣٠

**** جماليات الخط العربي شكلت
نهادج ابداعية يقاس عليها**

ص ١٤٢

٨٠ - الفروق في اللغة (ملك ومالك)

د ياسين بن ناصر الخطيب

٨٢ - التراث والمعاصرة .. المعادلة الصعبة

حوار - هيثم الخواجه

٩٠ - التوأمان (عبد القدوس الانصاري ومجلة المنهل) - محاضرة

د عبد الرحمن الشبيلي

١٠٤ - اكلوية العولة في الزمن الصيني

د محمد سعيد الصمدي

١٠٨ - موستار - مدينة الجسر

د جمال الدين سيد محمد

١١٤ - معالم الوراثة بين العلم والدين

د محمد صبحى محمد

١٢٠ - امرأة بلا عنوان (قصة قصيرة)

غالب حمزة ابو الفرج

١٢٢ - فنجان قهوة (قصة قصيرة)

سمر المزغنى

١٢٤ - الاعجاز العلمى في تحريم الدم

د فوزي عبد القادر الفيشاوي

١٣٢ - المسرح الاحتفالي بين القبول والرفض

الهادي علمى عروسي

١٣٦ - الخط العربي بين الفن والحرفة

ممدوح الزويى

١٤٢ - الخط الكوفي

ودوره في هندسة

الزخرفة

د عصام وهدان



١٥٠ - الطب المثل

د فرح الخواجه

١٥٤ - شذرات الذهب

د ابو حسام

١٥٨ - مسك الختام (صعوبة الفصل)

محمد حمد الصويغ

الإضاءة في الكائنات الحية

لاحظ الإنسان منذ أقدم الأزمنة ظاهرة الإضاءة الحيوية، ونجد في نصوص بعض الأساطير عند شعوب مختلفة، ما يشير إلى وجود كائنات مضيئة كالطيور النارية مثلاً، لها صفات عجيبة، وقد أثارت ظاهرة الإضاءة في الكائنات الحية فضول الإنسان في كل مكان، فالضوء ينبعث من الأجسام الساخنة، أو المحترقة، فكيف يصدر من كائنات حية باردة؟

المخزونة في مكان بارد أحياناً، ولماذا تصدر إضاءة خفيفة من أجنحة بعض الطيور الليلية (كالبومة)، بل ولماذا تضيء الجروح وجثث القتلى في ظروف معينة؟ إنها البكتيريا المضيئة، تتكاثر على اللحم أو في الجروح أو الجثث، وقد تتعلق بأعداد كبيرة بريش الطائر الذي يختبئ في وكر داخل جذع شجرة متعطنة، فتنبعث إضاءة خفيفة ليلاً من اللحم أو الجرح أو الجثث، وكانت هذه الظواهر مثار دهشة ومبعث معتقدات وتفسيرات غير علمية.

الأحياء المضيئة :

يعرف حالياً أكثر من ألف ومائة نوع من الأحياء المضيئة، تلك التي تصدر الضوء البارد في ظروف معينة ولأغراض مختلفة، والإضاءة الحيوية موزعة في عالم الأحياء بشكل عشوائي كما يبدو، ففي الجنس الواحد، نجد أنواعاً مضيئة وبعضها لا يمتلك القدرة على الإضاءة. ومعظم الأحياء المضيئة حيوانات، وفي

لقد فسر الإغريق ظاهرة الوهج الحي في البحار، بأنها كظاهرة البرق، وفسرها آخرون بتأثير أشعة الشمس، فالبحر يمتص أشعة الشمس في النهار، ويطلقها ليلاً في أماكن معينة وبعد اكتشاف عنصر الفوسفور، وملاحظة ظاهرة الفسفرة (الضوء المنبعث من الفوسفور نتيجة الأكسدة بالأكسجين الهوائي). اعتبر بعضهم أن الضوء الحي شكل من أشكال الفسفرة واعتقد البعض أنها ظاهرة كهربائية، ومنهم العالم الأمريكي بنيامين فرانكلين (مخترع الواقيّة من الصاعقة)، ولكنه تأكد من عدم صحة اعتقاده عندما أخذ عينة من ماء البحر في قنينة زجاجية ورجها، فشاهد توهج الماء لفترة وجيزة، وكرر التجربة فاستنتج أن الماء يحتوي على حيوانات أولية صغيرة لا ترى بالعين، وهي تصدر الضوء عندما تتعرض للإثارة، وكان رأيه مصيباً كما ثبت فيما بعد.

وبدأت أسرار الظاهرة تتكشف بالبحث وتطور وسائل الدراسة، ونعرف اليوم لماذا توهج قطعة اللحم

اعداد : محمد فيض الله الحامدي

- سوريا -

ما يتباعد نسبة في التصنيف العضوي، وتظهر في مختلف الأنواع مركزة في أجزاء مختلفة من الجسم، لتزويجا على ما نحن فيه من مستوى الجهل بهذه الحالات، بمشكلة تشابه من أكثر وجوها تلك المشكلة التي تعترضنا إذا ما تصدينا للبحث في الأعضاء الكهربائية في الاسماك».

وقال عن هذه الأخيرة أي (الاسماك الكهربائية): «إنها تزويجا بمشكلة جديدة إذ ليس في استطاعتنا أن نكتنه تلك الخطى التحولية التي تدرجت فيها تلك الأعضاء حتى بلغت من الكمال ما بلغت»، إنها مشكلة بمقاييس العلم، لكنها شواهد على إبداع الخالق الحكيم، والذي يشير الاستغراب لدى العلماء أن الإضاءة الحيوية موزعة في عالم الأحياء بشكل غير منتظم وبنون قاعدة، يمكن الإستناد عليها كأساس في تفسيرها كما أن مناطق الجسم المضيئة وأعضاء الإضاءة هي الأخرى تشكل لغزاً محيراً.

والعالم نيوتن هارفي، وهو من كبار العلماء الذين اهتموا بالإضاءة الحيوية، شبه توزع الإضاءة الحيوية في الأحياء، كما تتوزع حبيبات الرمل عندما تقذف في الماء، فتصيب بالصدفة أحياء من أنواع مختلفة وأجزاء مختلفة من الجسم في نفس الحيوان، حيث قال في ختام تقرير له حول ظاهرة الإضاءة في الأحياء «وحينما تقع حبيبة من الرمل، يظهر نوع من الكائنات المضيئة».

كيف يتولد الضوء في الأحياء ؟

قبل توضيح أسباب انبعاث الضوء من الأحياء من المفيد الإشارة الى أسباب انبعاث الضوء عند تسخين الأجسام أو عند احتراق بعض المواد، كل

عالم النبات بعض أنواع البكتيريا مضيئة، وبعض الفطريات الدعامية التي تشبه فطر عيش الغراب. ومن الحيوانات التي تبعث الضوء نذكر ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

١ - بعض قناديل البحر : Jelly Fish

٢ - حاملات الزراق : Siphono Phores

٣ - الهماليمات المشطية : Comb Jellies

٤ - بعض أنواع الهيدرا : Hydra

٥ - أقلام البحر : Sea Pen

٦ - بعض الديدان البحرية : Marine Worms

٧ - بعض الديدان الخرطومية : Memer times

٨ - بعض القواقع البحرية : Marine Smails

٩ - بعض الحباريات : Squids

١٠ - أنواع من الجمبري : Prawns

١١ - جراد البحر : Skrinp

١٢ - عدد كبير من الأسماك البحرية التي تعيش في أعماق لا تصلها أشعة الشمس وأحياء دقيقة وحيدة الخلية من السوطيات وغيرها .

١٣ - بعض الحشرات والديدان الجلدية التي تعيش في البحر .

وبشكل عام توجد الإضاءة في معظم فصائل الأحياء البحرية، وبعض فصائل الأحياء البرية، والبحث في الأساس التطوري للإضاءة الحيوية والأعضاء المضيئة يضعنا في مأزق حرج، لا يقل عن سر ظهور الحياة على الأرض، وقد أشار الى ذلك دارون في كتابه (أصل الأنواع)، تحت فقرة (مشكلات خاصة بنظرية الانتخاب الطبيعي): «إن الأعضاء المضيئة التي توجد في بعض الأنواع من الحشرات التي تتبع من الفصائل

وليس غريباً أن تصدر الإضاءة من بعض المواد الكيميائية في درجة الحرارة العادية فالفوسفور يتأكسد ببطيء ويصدر إضاءة خافتة، والمادة العضوية ليومينول وهي «هيدرازيد أمينوفيثاليك» تشع الضوء في درجة الحرارة العادية، وبعض المواد إذا تعرضت للأشعة فوق البنفسجية تتألق، وبشكل عام يمكن تحديد المواد التي تشترك في التفاعلات الحيوية المنتجة للضوء وهي :

١ - مواد عضوية مثل اللوسفيرين Lucifrin

٢ - انزيم اللوسفيراز Lucifrase

٣ - أدينوزين ثلاثي الفوسفات ATP

٤ - بعض الشوارد المعدنية مثل Mg^{++}

٥ - الأوكسجين المنحل في الماء أو أوكسجين الهواء.

٦ - الماء H_2O .

وينشأ الضوء من أكسدة اللوسفيرين بوجود اللوسفيراز والشوارد المعدنية في وسط مائي، ويحصل التفاعل على الطاقة من المركب ATP الذي يتحلل عن جذر من الفوسفات ويتحول إلى أدينوزين ثنائي الفوسفات ADP ويعود ليرتبط بجذر فوسفات بامتصاص الطاقة في مكان آخر ويخزنها من أجل تقديمها عند الحاجة.

والضوء الحيوي يصدر بأطوال موجية مختلفة حسب نوع اللوسفيرين، فيظهر بألوان مختلفة وقد تتولد إشعاعات غير مرئية، ولا يمكن كشفها إلا بأجهزة حساسة.

والاعتقاد السائد حالياً أن كل خلية حية، وكل كائن حي يصدر الضوء ولكن بدرجة غير محسوسة، وقد أجريت تجارب على اللوسفيرين فتبين أنها مادة نوعية مثل البروتينات فلويسفيرين نوع حيواني معين لا يتفاعل مع لوسفيراز (انزيم) نوع آخر، وإذا حدث التفاعل لا يترافق بانبعاث الضوء.

المواد تتكون من ذرات والذرة لها نواة موجبة الشحنة، تدور حولها الإلكترونات سالبة الشحنة في سويات من الطاقة ومدارات معينة، وعند تسخين مادة تمتص الالكترونات السطحية طاقة حرارية فتفقد من سويات أدنى إلى سويات أعلى، وتعود بسرعة إلى سوياتها الطبيعية مطلقة الطاقة التي امتصتها على شكل حرارة وأشعة ضوئية، والضوء طاقة ويمكن أن يتحول إلى حرارة، فهل يتولد الضوء في الأحياء بنفس الطريقة؟ أول من أشار إلى الطبيعة الكيميائية للإضاءة الحيوية هو العالم الفيزيولوجي الفرنسي رفايل دوبوا عام ١٨٨٧م إذ أجرى تجاربه على الرخوي الثاقب فولاس داكيتيلوس الذي ينفث سائلاً مضيئاً عندما يستثار وذلك عبر ممر خاص في جسمه، فأرجع الإضاءة إلى أكسدة مادة كيميائية أسماها اللوسفيرين بوجود انزيم خاص أسماه اللوسفيراز، وفيما بعد أجرى عدد من العلماء تجارب كيميائية على المواد المولدة للضوء في أكثر من نوع في البكتيريا المضيئة والذباب الناري والقشريات من جنس سيبريدينا، ففي البكتيريا المضيئة يوجد إتحاد من المركبات العضوية مثل (مونوكليوتيد الفلافين المختزل مضافاً إليه الدهيد).

وهذه المادة خارج العضوية إذا تأكسدت بوجود اللوسفيراز تنبعث منها الإضاءة وفي الذباب الناري تنتج الإضاءة من التفاعل بين اللوسفيرين الخاص بالذباب الناري ورمزه الكيميائي الإجمالي $C_{13}H_{12}N_2S_2O_3$ مع اللوسفيراز والأوكسجين ومركب حامل للطاقة هو أدينوزين ثلاثي الفوسفات (ATP) بالإضافة إلى شوارد المغنيزيوم (Mg^{++}) فإذا مزجت هذه المكونات في أنبوبة اختبار انبعث منها الضوء.

وفي القشريات من جنس سيبريدينا يحدث التفاعل خارج الجسم حيث يقذف القشري اللوسفيرين واللوسفيراز ويتم تأكسد اللوسفيرين فتصدر إضاءة.

يحدث التفاعل بين اللوسفيرين والأوكسجين بوجود اللوسفيراز وشوارد المغنيزيوم Mg^{++} ويقدم ATP الطاقة اللازمة للتفاعل، فينتج الضوء البارد، ولا يتخرب اللوسفيراز فهو انزيم يساعد على التفاعل في درجة الحرارة العادية، وحامل الطاقة ATP يتحول إلى ADP، ثم يمتص الطاقة ويرتبط مع جذر فوسفات (P) فيعود إلى ATP ليدخل في دورة جديدة. هذا هو الشكل النموذجي لإنتاج الضوء البارد، وهناك عوامل أخرى تساهم بقدر ما في إنتاج الضوء فتحدد شدته ولونه.

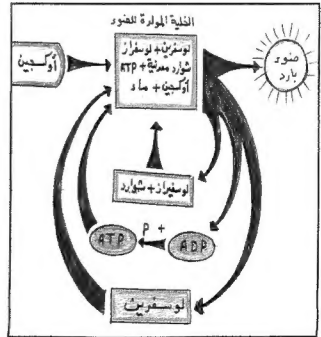
حاملات الضوء :

تدعى الأعضاء التي يصدر منها الضوء الحي (حاملات الضوء) والإشعاع الصادر منها خارجي أو داخلي، فالإشعاع الخارجي: ينشأ من امتزاج اللوسفيرين واللوسفيراز خارج الخلايا إذ هناك خلايا حاملة لمادة اللوسفيرين وخلايا أخرى حاملة لانزيم اللوسفيراز، وعندما يثار الحيوان أو تدعو الحاجة للإضاءة، يضغظ الحيوان على الخلايا فتتحرر مادة اللوسفيرين واللوسفيراز خارج الخلايا ويتم التفاعل بسرعة ونلاحظ هذه الحالة في الحبار الذي ينفث السحب المضئية في الأعماق المظلمة في البحار. والإشعاع الداخلي: ينشأ من تفاعل اللوسفيرين واللوسفيراز داخل الخلايا بالية دقيقة وبوجود العوامل الأخرى.

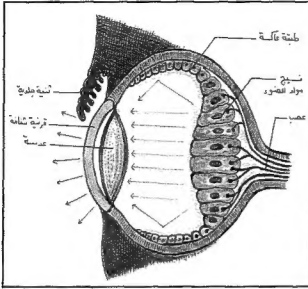
ونستطيع أن نحدد أعضاء الإضاءة (حاملات الضوء) في أربعة مجموعات هي:

- ١ - مصابيح ضوئية.
- ٢ - أعضاء نافثة للسحب الضوئية.
- ٣ - أعضاء حاضنة للبكتيريا المضئية.
- ٤ - أعضاء وكتل غذية مضئية.

والعلماء جادون في عزل اللوسفيرين واللوسفيراز لإجراء تجارب مستفيضة عليهما وأمكن بلورة اللوسفيرين المستخرج من القشري سيبريدينا وفي المستقبل يمكن الحصول على هذه المواد كيميائياً في المخبر واستعمالها لإنتاج الضوء في ظروف خاصة. وما تجدر الإشارة إليه أن معظم الكائنات تصدر الإضاءة بلون واحد، قد يكون أخضر أو أصفر أو أحمر برتقالي باستثناء بعض الأحياء ومنها الحشرة التابعة لجنس فريكسوثريكس وتعرف بدودة السلك الحديدية في أمريكا الجنوبية. فأنشئ هذه الحشرة تصدر إضاءة بلونين، يصدر من نقطة على الرأس ضوء أحمر ومن نقاط على جانبي الجسم ضوء بلون أخضر ضارب للصفرة، على حلقات بطنها الثمانية، وعندما تسير تشبه قطاراً يتحرك متراجعاً، وهذا يؤكد لنا أن الحشرة تمتلك نوعين من المركبات المولدة للضوء، كما نجد في بعض الأسماك أعضاء تصدر الضوء وبألوان مختلفة في نفس السمكة الواحدة.



مخطط إنتاج الضوء البارد (الضوء الحي)



رسم تخطيطي (مقطع قائم) لنموذج من المصباح الضوئية في الأسماك.

ثانيا: الأعضاء النافثة للسحب الضوئية :

في بعض الأنواع من الحبار والأخطبوط والأسماك والرخويات توجد أعضاء غدية بإمكانها إطلاق السحب النارية عندما تتعرض للخطر وتكون الإضاءة من النوع الخارجي.

أي أن التفاعل يتم خارج الغدة في مكان داخل الجسم، ثم تنطلق السحب الى الوسط الخارجي والعدو يهاجم في هذه الحالة السحب المضئ وينشغل بها، فيلوذ صاحب الضوء بالفراغ.

ثالثا: الأعضاء الحاضنة للبكتيريا :

توجد في بعض الأسماك أماكن خاصة، لاحتضان البكتيريا المضئة، حيث يتم نوع من التعايش بين السمكة والبكتيريا، فتقدم السمكة الغذاء المناسب للبكتيريا وتقدم البكتيريا خدمات ضوئية للسمكة. وتستطيع السمكة أن تتحكم في الإضاءة بالثنيات الجلدية أو آلية الحجب.

ففي سمكة فوتو بليفارون توجد ثنيات جلدية فوق العضو الحاضن للبكتيريا كالجفن، يغطي البقعة

أولاً: المصباح الضوئية :

تشاهد هذه الأعضاء في بعض أنواع الأسماك، والجمبري والحبار وغيرها من الأحياء، وهي موزعة على الجسم، وبشكل خاص في الرأس وقرب العين. تصدر هذه المصابيح الضوء بعدة ألوان «كل مصباح بلون واحد» والألوان هي (الأزرق - الأخضر - الأصفر - الأحمر) وبدرجات مختلفة، وقد توجد عدة أنواع من المصابيح في حيوان واحد فيبدو منظره خلاباً.

ولنلاحظ في بعض الأنواع أن الضوء المنبعث من المصباح أبيض، لكن وجود قرنية شفافة ملونة يجعل الضوء المنبعث من المصباح بلون معين، أي ينتج المصباح ضوءاً بلون أبيض ويتلون بفضل القرنية الشفافة، وهذا التعضي يضعنا أمام تساؤل هام وهو: ما أهمية هذه المصابيح؟ ولماذا هذه الألوان؟ والمصابيح الضوئية مختلفة الأشكال، وأرقامها تركيباً يشبه العين البدائية حيث يتكون المصباح من تجويف كروي مغلف بطبقة داخلية عاكسة للضوء ونسيج مخاطي مولد للضوء، يقابل شبكية العين، ويتصل هذا النسيج بنهايات عصبية وللمصباح فتحة مزودة بعدسة مكثفة للضوء، تغطيها طبقة قرنية شفافة وقد تكون ملونة وفي بعض الأنواع توجد ثنية جلدية، باستطاعتها الإطباق على القرنية لإخفاء الضوء، وفي بعض الأنواع يتحرك المصباح ليدخل في جيب خاص، فيحتجب الضوء.

تتولد الإضاءة عندما تثار الطبقة المخاطية في المصباح بفعل التحريض العصبي، ولذلك تستطيع الأحياء التحكم في الإضاءة حسب الحاجة، وفي الأنواع التي تصدر الإضاءة من مصابيحها باستمرار، تستطيع حجب الضوء بالثنيات الجلدية أو بآلية الحجب داخل الجيب الخاص. (انظر الشكل - الرسم التخطيطي).

رابعاً: الأعضاء والكتل الغدية المضئية :

بالإضافة الى الأعضاء المضئية السابقة، توجد أعضاء وكتل غدية مضئية في عدد كبير من الأحياء البحرية، مثل شفاة قنابدل البحر، والأذرع المضئية في بعض نجوم البحر في الأعماق والكتل اللحمية الغدية عند بعض الاسماك وهي تستخدمها كقطع لجلب الأسماك والحيوانات لافتراسها، وفي البر نجد البقع الضوئية في مؤخرة الحشرات أو على جانبي الصدر ونجد البقع الضوئية على يرقات هذه الحشرات وبعض الديدان إذا قطعت تنبعث إضاءة من مكان القطع، وقد تنبعث الإضاءة من جسم ضفدع تناول حشرة مضئية. وهذه الظاهرة تدعو للتعجب.

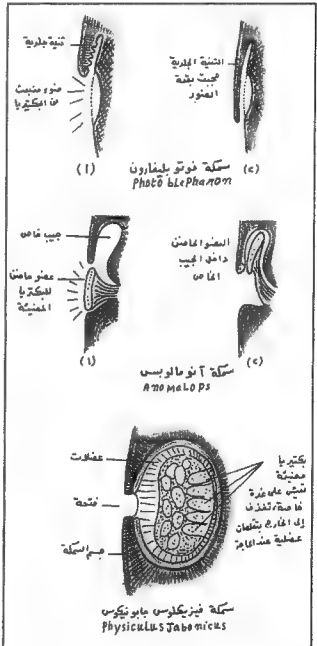
أهمية الضوء للكائن الحي :

ما الغرض من وجود الإضاءة الحيوية في الأحياء؟ إذا كانت الإضاءة في بعض الأحياء كالبكتيريا لا تصد الغرض من وجودها في هذه الأحياء التي لا تمتلك جهازاً عصبياً، ولا ترى بالعين المجردة، فإن الإضاءة في الأحياء الراقية، ووجود مصابيح الإضاءة والأعضاء الأخرى في أماكن خاصة، تحقق أهدافاً معينة للحيوان. ومن المشاهدات والملاحظات المختلفة يمكن تحديد الأغراض من الإضاءة الحيوية في الأحياء على النحو التالي :

- ١ - الإضاءة ناتج نشاط كيميائي حيوي كالحرارة.
- ٢ - الإضاءة رد فعل على المؤثرات الخارجية.
- ٣ - الإضاءة مرشد للهجرة الجماعية.
- ٤ - الإضاءة وسيلة للدفاع والتخفي.
- ٥ - الإضاءة وسيلة للكنص والتغذية.
- ٦ - الإضاءة نداء للجنس من أجل حفظ النوع.

المضئية عند الحاجة.

وفي سمكة أنومالوبس ، يتحرك العضو الحاضن في جيب خاص فيحتجب النور .
وفي سمكة فيزيكلوس ، غدد خازنة للبكتيريا المضئية تستطع السمكة أن تنفث البكتيريا في الوقت المناسب بانقباض عضلي يؤثر في الغدة . (انظر الأشكال المرفقة).



الأعضاء الحاضنة للبكتيريا المضئية.

أولاً : الإضاءة ناتج نشاط

كيميائي حيوي كالحرارة :

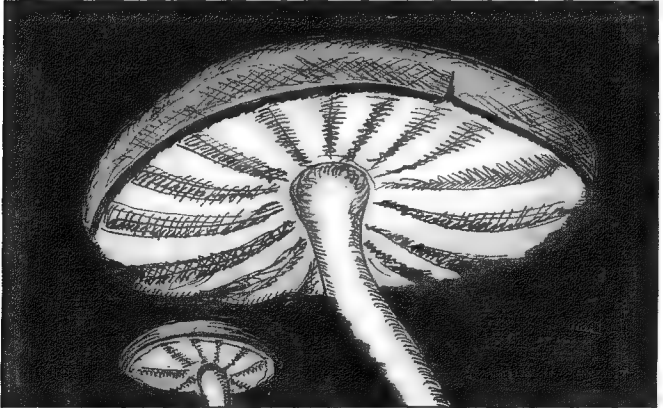
أغلب التفاعلات الكيميائية ناشرة للحرارة، والضوء المنبعث من نشاط التفاعلات الكيميائية في بعض الأحياء يعتبر ناتج ثانوي كالحرارة.

فالبيكتيريا المضيئة لا يحقق لها الضوء الحي أي غرض كالتغذية أو التكاثر أو الدفاع عن النفس، وهناك فطريات تعيش في أدغال البرازيل تشع الضوء من أسفل قبعاتها ويستخدمها السكان الأصليون للإنارة، لتلمس طريقهم، وهذه الإضاءة لا تحقق أي غرض للفطر ، فالضوء ناتج ثانوي، من تفاعلات حيوية في هذه الفطريات .

والسمكة المعروفة ببطة يومباي واسمها العلمي

Harpadon تعيش في الأعماق وعند انتزاعها من الماء يظل جسمها يشع الضوء بعد موتها لفترة من الزمن . وتعيش البكتيريا المضيئة في كل الأمكنة، وقد استطاع العالم الأمريكي (زوبل) من جامعة كاليفورنيا بالسفينة (جالتيا) عام ١٩٥٣م أن يجلب من أعماق (٣٥) ألف قدم، أنواعاً من البكتيريا المضيئة تعيش تحت ضغط يقدر بـ (٨٠٠) ضغط جوي وحرارة تعادل (٣ - ٢) درجة مئوية.

وقد احتفظ بها بعد إخراجها ووضعها في نفس الشروط . وقد أثارت البكتيريا المضيئة تساؤلات محيرة فهي سبب إضاءة الجروح والجثث والأشجار المتعطنة في بعض الأوقات وقد تحقق الإضاءة للبيكتيريا فرص البقاء عندما تتعايش مع كائنات أخرى كما هو في بعض الأسماك التي تمتلك أعضاء حاضنة للبيكتيريا .



فطر مضيء من الفطر البازيضية من جنس (عش الغراب) .. تصدر الإضاءة من الأبواغ (الوجه السفلي) للقبعة ومن القدم (حامل القبعة) . فماداً تحقق الإضاءة لهذا الفطر؟

ثانياً: الإضاءة رد فعل على المؤثرات الحار جية:

بعض الأحياء لا تطلق الضوء إلا إذا استثيرت، من ذلك وحيد خلية سوطي يسمى نوكتليوكا، فإذا أخذنا ماء البحر في قنينة ورججنا الماء وكان يحتوي على هذه السوطيات، يصدر وهج باهت من الماء بسبب الضوء المنبعث من آلاف السوطيات المستثارة، وربما كانت تجربة فرانكلين على هذه السوطيات. وقد وصف تشارلز دارون في رحلته التاريخية على ظهر الباخرة (بيجل) ما رآه قائلاً: «كانت الباخرة تدفع في مقدمتها موجتين من الفوسفور السائل ويتبعها ذيل بلون الطيب» ولا شك أن ما رآه دارون هو الإضاءة المنبعثة من وحيدات الخلية نوكتليوكا، وتلاحظ في البحر ليلاً آثاراً مضيئة إثر اختراق سمكة سطح الماء بسرعة، أو وهجاً فوسفورياً أثناء تحريك المجداف بقوة، وتلاحظ تالقات خفيفة للرداذ المتطاير أثناء اصطدام أمواج البحر بصخور الشاطئ، وبعض الديدان الجلدية Parchment Worms تعيش في أنفاق بشكل الحرف (U) على الشاطئ قرب حد الماء، فإذا وقع عليها القدم ليلاً، تصدر الإضاءة منها كرد فعل على الضغط الواقع عليها.

وأذكر من أيام طفولتي ما شاهدته في إحدى الليالي الماطرة، قرب شجرة توت إذ لاحظت وهجاً ضوئياً عندما تعرضت لانزلاق على الوحل، فلفت ذلك نظري وكررت حادثة الإنزلاق مرات عديدة وكنت أشاهد وهجاً ضوئياً متقطعاً ولم أعرف السبب، وفي الصباح أسرع إلى المكان فشاهدت مزقاً من الديدان وهي تشبه ديدان الأرض (الخرطون) والمكان بلدة الدرياسية في شمال سورية وهي تبعد عن البحر أكثر من (٦٠٠) كيلومتر.

وثاقب الصخور ذو المصراعين المسمى فولاس

ينفث الضوء من انبوب خاص إذا استثير وتعرض للإزعاج.

ويعض الهلاميات المشطية وقناديل البحر تصدر الضوء أثناء اصطدام مجداف بها أو مؤثر خارجي آخر.

ويعض القشريات الصغيرة يلقي بها الماء على رمال الشاطئ، فإذا وطئها الإنسان ليلاً بدأت باطلاق الضوء، فتظهر آثار الأقدام مضيئة، وهذه الظاهرة تركت لدى بعض الشعوب قصصاً خيالية وأساطير غريبة.

والغرض من الإضاءة كرد فعل على المؤثرات الخارجية يمكن اعتباره بشيء من التحفظ وسيلة للدفاع عن النفس، علماً بأن هناك إضاءة حيوية تحقق غرض الدفاع عن النفس بشكل مؤكد في بعض الأحياء.

ثالثاً: الإضاءة مرشد للهجرة الجماعية:

تلعب الإضاءة الحيوية في بعض الأنواع دوراً مساعداً للهجرة الجماعية، فقد لاحظ «وليم بيب» وهو أحد رواد غزو أعماق المحيط عام ١٩٣٤ على عمق (٥٠٠) قدم، لاحظ جماعات من الأسماك تهاجر مع بعضها مسترشدة بالضوء، إذ كانت المسافة ثابتة بين كل سمكة وأخرى وتقدر بـ (٥) أمتار، وقد علل (بيب) ذلك بأن الحد الأقصى لرؤية الضوء من قبل عين السمكة هو خمسة أمتار، فتحافظ على هذه المسافة أثناء الانتقال الجماعي.

وقد لاحظ البحار الإنكليزي جون كولمان، هجرة نوع من القشريات الصغيرة من الأعماق إلى السطح، عند حلول الظلام على دفعات، وهي من جنس كريل فتصعد مجموعة من قشريات الكريل، تتبعها أسماك مصباحية، وعندما تصل إلى ارتفاع معين، تصعد

نافذة للسحب المضيئة فإذا تعرض للخطر من مهاجمة سمكة مفترسة أو صوت، يطلق سحابة مضيئة ويلوذ بالفرار، في الوقت الذي ينشغل الحيوان المهاجم بالسحابة بحثاً عن مصدرها، وبذلك تتأمن قرص البقاء للبحار، ويضع الديدان البحرية إذا قطعت الى قسمين من قبل حيوان مفترس تنبثق إضاءة من مقطع القسم الخلفي، فيصرف الحيوان المفترس نظره عن القسم الأمامي والرأس ويلتهم القسم الخلفي وبذلك تنجو الدودة من هلاك محقق وتكتمل الدودة في وقت لاحق بالاستعاضة.

وبعض الأحياء تصدر الضوء إذا وقعت بين فكي حيوان مفترس، فيلفظها الحيوان في أغلب الأحيان.

خامساً : الإضاءة وسيلة للقنص والتغذية:

تساعد الإضاءة الحيوية بعض الأحياء البحرية على اقتناص الفريسة، وبذلك تلعب دوراً في التغذية، ففي بعض أجناس الميڤوسات من معانيات الجوف، يصدر الضوء من الشفاة المتدلية ومن المظلة، فتأتي الأسماك الصغيرة والقشريات، قاصدة الضوء فتصبح وجبة دسمة للميڤوسا، ومن الأجناس المعروفة ببلاجيا الذي يصدر ضوءاً أبيض، والجنس سيانيا أرتيكا يصدر ضوءاً بلون أخضر خافت، ويبلغ قطر مظلته ثلاثة أمتار، وله لواحق تصل الى ثلاثين متراً.

وشيطان البحر Melama Cetus يعيش في الأعماق، وله فم واسع وأسنان مقوسة، يحمل رأسه زائدة طويلة كالسنارة، في نهايتها بصلة منتفخة تحتوى على غدد تفرز مواد مضيئة تجلب الأحياء الأخرى، ويمجد اقتراب الحيوان الضحية من الطعم يصبح في جوف سمكة شيطان البحر. وبعض الأسماك لها أعضاء مضيئة متدلية من سقف الفك

مجموعة ثانية من القشريات المضيئة، تلبها أسماك مصباحية وهكذا تتم الهجرة من الأعماق الى السطح، على دفعات وبمسافات محددة، ويعتقد كولمان أن الضوء هو المرشد.

وقبل بزوغ الشمس تعود قشريات الكريل والأسماك المصباحية الى مواقعها في الأعماق حيث الظلام. وتبين أن الضوء المنبعث من الفرد لا قيمة له إلا إذا تجمعت الإضاءة من آلاف القشريات.

وبعض الديدان البحرية تهاجر بشكل جماعي باتجاه السطح بدءاً من أعماق معينة قاصدة المكان الملائم للتلقيح. فالديدان المضيئة التي تعيش في المياه قرب جزر برمودا بين الشعاب المرجانية تصعد إنائها بشكل مائل نحو السطح ليلا وهي محملة بالبيض وكأنها تصعد جبلا، وتسترشد بالضوء المنبعث منها، أما الذكور فهي تنطلق كالأسهم النارية تحت سطح الماء، وفي بقعة محددة يتم السفاد بإصدار ومضات مشتركة وبعد ذلك تضع الإناث بيوضها الملقحة لتتهبط ببطى الى القاع، ويفيب الأبوان في ظلام الماء الأبدي.

وقرب الجزر اليابانية أنواع من الأخطبوط تطفو مرة في السنة بشكل جماعي وهي تسترشد بالضوء المنبعث من أذرعها وجسمها، وتستير باتجاه واحد ولا شك أن الإنبعاث الضوئي في هذه الأحياء يصدر بنبضات معينة وشدة معينة وبذلك تتعارف الأنواع على بعضها كي لا تقع هذه الأحياء في أخطاء قاتلة، إذا ما ضللتها أحياء مفترسة مضيئة.

إن الهجرة الجماعية توفر حماية أفضل للفرد، إذ يتردد الحيوان المفترس في الهجوم فتكون فرصة النجاة أكبر مما لو كان الحيوان المضيء وحيداً.

رابعاً: الإضاءة وسيلة للدفاع والتخفي:

البحار الذي يعيش في الأعماق يمتلك أعضاء

سادساً : الإضاءة نداء للجنس وحفظ للنوع:

تساهم الإضاءة الحيوية في بعض أنواع الحشرات كعامل مساعد للقاء الذكور بالإناث حيث تبت الذكور أو الإناث نبضات ضوئية معينة، وهي طريقة طريفة في المغازلة:

- فحشرة سراج الليل: تصدر انبثاها من حلقات البطن الثلاثة الأخيرة وهجاً مميزاً، وهي بطول لا يتجاوز (٢) سم والذكر أقصر، تقف الأنثى على غصن وتبث الضوء فتأتي الذكور من نوعها، والذكور لا تصدر الضوء.

- والذباب المضيء المعروف باسم لامبريس، يقف على الأشجار ويصدر الإضاءة من طرفه الخلفي بنبضات معينة، والأنثى هي التي تصدر الضوء فتأتي الذكور من نوعها، وإذا غيرت الأنثى ايقاعات الإضاءة ربما تأتي ذكور من أنواع أخرى فتلتقيها الإناث إذا كانت مقررة.

- وفي بورما والشرق الأقصى تعيش بعض الحشرات المضيئة وتلجأ نكورها الى وسيلة جماعية لصماية نفسها، إذ تقف على الأشجار بشكل جماعي، وتصدر النبضات الضوئية المحددة فتأتي الإناث لمغازلة الذكور والسفاد.

- وفي الولايات المتحدة الأمريكية تعيش خنافس النار وهي صغيرة الحجم بنية اللون وعلى جانبي الصدر توجد بقعتان بيضويتان بلون أصفر باهت، وأخريان على السطح السفلي للبطن، والإناث تصدر الضوء الأخضر بينما تصدر الذكور اللون الأبيض وتصدر الإضاءة حسب الرغبة ولها دور كبير في المغازلة.

العلوي داخل تجويف الفم، وتفتح السمكة فمها الواسع وتنتظر الفريسة.

ومن وجود المصاييح الضوئية في الرأس وقرب العين نستدل على أهميتها كعامل هام للقص بهدف الإغتهاء، إذ عندما تقترب الأسماك الصغيرة أو حيوانات أخرى من البقع الضوئية تكون فرص الإقتناص اكبر.

وفي بعض أنواع الأسماك لوحظ أن العضو المضيء مسلط على عين السمكة وقد علل العلماء أهمية هذه الظاهرة بأن شبكية العين تحتاج لوقت معين من أجل التنبه بالضوء، وفي هذه الحالة بوجود الضوء تبقى شبكية العين في حالة تنبه دائم فتبصر كل ما يقترب منها، وتقننص أو تهرب.



بعض الأسماك المضيئة في أعماق البحار والمحيطات
لاحظ الأعضاء المضيئة والمصاييح والعيون الواسعة.

ينتمي إلى هذه الصنوف الثلاثة، فتكون بسبب جراثيم مضيئة عالقة بجسم الحيوان أو أياغ مضيئة لفطر مضيء عالقة بجسم الحيوان وله في خلقه شؤون.

حاسة البصر في أسماك الأعماق :

إذا كانت الإضاءة الحيوية وسيلة من وسائل الاتصال، فلا شك أن حاسة البصر عند الأنواع المضيئة متطورة بشكل معين ولها أعضاء حساسة لالتقاط الضوء من مسافات بعيدة نسبياً، وقد درس العلماء عيون الأسماك التي تعيش في الأعماق المظلمة ووجدوا أنها تختلف عن مثيلاتها التي تعيش على السطح، وفيما يلي صفات العيون في معظم أسماك الأعماق:

- ١ - العيون كبيرة الحجم، فقطر عين سمكة الحساس السوداء يزيد على نصف طول الرأس.
- ٢ - وجود عدسات كروية ضخمة، ومقل بشكل اسطواني تشبه التلسكوب والعدسة الكروية تجمع الضوء.
- ٣ - لا توجد قرنية لذلك تستقبل العين أكبر كمية من الأشعة من فتحتها.
- ٤ - العدسة شفافة أكثر من عدسة العين البشرية لعدم وجود أشعة فوق بنفسجية، والمعروف أن عدسة العين البشرية تمتص الأشعة البنفسجية التي ترد إليها بكميات قليلة بسبب عدم شفوفيتها تماماً.
- ٥ - الصبغ في شبكية عين أسماك الأعماق لونه ذهبي مائل إلى الوردي الفاتح يمتص فوراً الطاقة الضوئية في منطقة اللون الأزرق المائل للخضرة وهو الطيف الذي تصدره أحياء الأعماق.

- وفي السمكة ستومياس يلاحظ وجود صفيين من الأعضاء المضيئة المرصعة كالجواهر ويبدو أنها للتعرف على نوعها أو ليتعارف الذكور والإناث في الأعماق بفضل تلك الأعضاء المضيئة.

إن ما ورد من أغراض الإضاءة الحيوية لا يمكن حصره في هدف محدد، فيمكن أن تحقق الإضاءة للحيوان أكثر من هدف.

لكن الغرض الواضح والمباشر هو الذي يحدد الهدف الأساسي من الإضاءة عند هذا الحيوان أو ذاك. ولابد من التنويه أن ما نراه من بريق في عيون الأغنام أو القطط أو الكلاب ليلاً أثناء تعرضها لضوء السيارة هو بريق ناشئ من انعكاس الضوء على شبكية العين، بفعل أصبغة معينة ولا علاقة له بالضوء الحي.

ولم تلاحظ الإضاءة الحيوية في الزواحف أو الطيور أو الثدييات وإذا ظهرت إضاءة في حيوان



حشرة ترسل نبضات ضوئية بانتظار الزوج من أجل السقاء

٦ - وجود طبقة مصقولة كالمرآة خلف الخلايا الحساسة بالضوء، تزيد من إمكانية الرؤية في الضوء الخافت.

تلك بشكل عام صفات العيون في أسماك الأعماق. في مقابل ذلك توجد أسماك لها عيون صغيرة جداً وتكاد تكون عمياء، وتعتمد على طرق أخرى في الاتصال وهي في هذه الحالة لا تعتمد على الضوء في الاتصال.

التوزع البيئي للأحياء المضيئة:

توجد الأحياء المضيئة في كل مكان، ولكن بشكل نادر في البر والمياه العذبة، ففي البر يمكن مشاهدة بكتيريا مضيئة بشكل بقع على جذوع الأشجار أو اللحوم، كما توجد فطر مضيئة، وفي المياه العذبة يعيش البطلينوس لاتيا وبعض يرقات معينة من ذباب النار، وفي البرتعيش أصناف من الديدان المضيئة ونوات المانة قدم والآلف قدم والقواقع الأرضية والذباب بعوض الفطر Fungus gamats ونوات الذنب القافز Springtails، وفي البحار والمحيطات تشاهد الإضاءة في معظم أصناف الأحياء من أسماك ورخويات وقشريات وهلاميات وبشكل خاص التي تعيش في الأعماق المظلمة.

الإضاءة الحيوية في خدمة الإنسان:

إن الضوء الحيوي بارد، فهو لا يشع من الحرارة أكثر من (١٪) في حين أن مصابيح الإنارة العادية تسخن إلى درجة لا تتحملها حاسة اللمس، فإذا تمكن

الإنسان من إنتاج الضوء الحيوي وعلى نطاق واسع يمكن أن تكون له تطبيقات مفيدة.

وقد استخدم الجيش الياباني في الحرب العالمية الثانية، السرطانات البحرية المضيئة كقوانيس لقراءة الخرائط ليلاً، أو كتابة التقارير، فكان كل ضابط يحمل مجموعة سرطانات في علبة زجاجية، والضوء المنبعث منها لا يكشف من قبل العدو.

وفي عام ١٩٢٥ أنشئت قاعة الاجتماعات في معهد الأوقيانوغرافيا بباريس عند انعقاد المؤتمر العالمي للعلماء المختصين بعلوم البحار، وذلك بمصابيح بكتيرية مضيئة إذ تم تجميع عدد كبير منها في أوعية زجاجية.

وفي الوقت الحاضر يغزو الإنسان أعماق البحار والمحيطات ويحتاج للضوء في هذه الأعماق، ولا شك أن الضوء الحيوي أسهل استعمالاً وأقل خطورة وأوفر اقتصادياً.

وبدأت تجارب العلماء على مستوى الوراثة الجزيئية، فقد تم زرع مورثة مسؤولة عن إنتاج مادة مضيئة في نبات أخضر من ثنائيات الفلقة فكان يصدر من النبات وهج واضح، ولوحظ أن الضفادع التي تلتهم الحشرات المضيئة يتوهج جسمها وبشكل خاص البطن بعد اتمام عملية الهضم.

فهل سيتمكن الإنسان من التحكم في الإضاءة الحيوية مستقبلاً؟

التجارب مستمرة والمستقبل يحمل لنا المفاجآت السارة وستبقى الإضاءة الحيوية إحدى الأسرار العظيمة التي أودعها الخالق في بعض الأحياء.

التفاهل والتشاؤم

التطير والتشائم من الأزمان أو بعضها أو من المخلوقات.

ولقد كان من عوائد الجاهلية الأولى التطير واعتقاد الشؤم والخوس بشهر صفر بعد شهر الله الحرام محرم، وكان لهم في شهر صفر فعلان محذوران، يقدحان في إيمانهم بالله ويقضانه وقدره، والتوكل عليه:

أولهما: أنهم كانوا يؤخرون وينسئون شهر الله المحرم إلى شهر صفر ليحلوا شهر الله المحرم ويذهبوا عنه حرمة على الشهور، فيقعوا في ظلم أنفسهم، وظلم غيرهم، وظلم ربهم، وهو ما عابه الله عليهم بقوله تعالى من سورة التوبة {إنما النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله، زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين}.

ثانيهما: من فعل الجاهلية، أنهم كانوا يتشائمون من شهر صفر وأنه شهر مشؤوم، فكانوا يمنعون السفر فيه، أو الحرب فيه، وأن من سافر فيه لقي حتفه أو ما يضره. وقد أبطل النبي

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان وسلم تسليماً... أما بعد...

من العقائد الجاهلية، والعوائد الفاسدة البدعية، والظنون الكاذبة، اعتقاد الشؤم بزمان كيوم أو شهر أو سنة، أو اعتقاد الشؤم والتطير ببعض الناس كالأعمى والأبرص والأعور أو بعض المخلوقات كالغراب والبوم من الطيور، أو العقرب والفار من الزواحف، أو الهواء والبرد والحر ونحو ذلك.

ومن الناس من يتعلق قلبه بالتشاؤم من يوم الجمعة، لأنه يتلوه يوم السبت وفيه العمل والدراسة، أو يتشائم من يوم السبت كونه أول أيام الوظائف في الأسبوع.

وهذا كله مخالف للعقيدة الإسلامية، باعتقاد

بقلم : علي بن عبدالعزيز الشبل

مدرس بقسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

{صلى الله عليه وسلم} فقال: «أحسنها فقال، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» رواه أبو داود والبيهقي والبغوي، وغيرهم وصححه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره.

وما هذا العلاج والدواء بهذين الدعائين الجامعين منه {صلى الله عليه وسلم}، إلا لعلاج ما قد يطرأ على خاطر من أمر التطير والتشاؤم، فيدافع بالاعتقاد الحق في الله وقدره، ويترك الحول والقوة بغيره سبحانه. والواقع أن الذنوب أعظم شؤم وأعظم خطر ويجب على المسلم أن يحفظ دينه وقلبه وعقيدته من هذه القوادح والخوارم التي تخرم إيمانه وتوحيده بالله، كما يجب عليه أن يصحح قصده وتعلقه بربه من شوائب الجهل والعوائد الفاسدة، ويتواصى بذلك مع أهله وإخوانه المسلمين، دعوة ونصحاء ومجاهدة لما يرد من هذه البدع والمخالفات.

وفق الله المسلمين لذلك وأعانتنا وإياهم علي حسن عبادته وكمال التعلق به، وحذرنا من صد ذلك مما يقدر في مقاصدنا وأقوالنا وأفعالنا وهو سبحانه ولي التوفيق.

{صلى الله عليه وسلم} ذلك، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال:

«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»، فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال {صلى الله عليه وسلم} فمن أعدى الأول؟!

والتشاؤم بشهر صفر أو بيوم الجمعة أو يوم السبت أو غيره من الأوقات أو بال مخلوقات أو بالطيور كله من جنس الطيرة والتطير التي نهى عنها النبي {صلى الله عليه وسلم}، وعدّها شركاً، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «الطيرة شرك» رواه أهل السنن إلا النسائي، وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «من ردت الطيرة عن حاجته فقد أشرك» قال: وكفارة ذلك أن يقول أحدكم: اللهم لا طير الا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك.

أو يقول كما جاء في حديث عروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله



قصة هود (عليه السلام)

موطن عاد قوم هود :

أكثر آراء الباحثين من المؤرخين والمفسرين وكتاب السير على أن موطن عاد قوم هود في بلاد اليمن، وأن منازلهم موزعة بين الشحر والأحقاف من عَمَانَ إلى حضرموت، وكانت «الشحر» [١] تطل على ساحل البحر، وأنهم عرب يتكلمون اللغة العربية، وكثيرا ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة، وهم من قبيلة يقال لها: عاد بن عوص بن نوح. وعاد من العرب العاربة التي ينتمى إليها من هم قبل إسماعيل - عليه السلام - كشمود وجهرم، وطسم وجديس، وأميم، ومدين، وعملاق، وجاسم، وقحطان، وبنى يقطن، وغيرهم. وجاء في القرآن الكريم أنهم يسكنون الأحقاف: ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ [٢] جمع حقف، وهو ما استطال واعوج من الرمل، وهي منازل عاد. ويقال لها: رمل عالج، وكانوا مع ذلك فشوا في الأرض، وكثروا وقهروا أهلها، لفضل قوتهم التي آتاهم الله [٣].

سمعت عليًا يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء، ذا أراك وسدر كثير، بناصية كذا وكذا، من أرض حضرموت، هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله إنك لتتبعه نعت رجل قد رآه، قال: لا، ولكني قد حدثت عنه. فقال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود - عليه السلام -

ومن أخبارهم في القصص النبوي ما جاء في مسند الإمام أحمد [٥]: عن أبي وائل عن الحرث بن

وقال عكرمة: الأحقاف الجبل والفار، وقال علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - الأحقاف واد بحضرموت، يدعى يرهوت، فيه أرواح الكفار، وقال قتادة: ذكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن. أهل رمل، مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر. ونقل ابن كثير [٤] عن ابن ماجة، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «يرحمنا الله وأخا عاد».

ونقل ابن كثير عن أبي الطفيل عامر بن وائلة:



بقلم: أ. د. عبد الباسط حمودة - مصر

أسير فاقادي، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سود، فتودى منها: اختر، فأوماً إلى سحابة منها سوداء فتودى منها: خذها رماداً رمداً، لا تبقى من عاد أحداً، قال: فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما جرى في خاتمي هذا حتى هلكوا - قال أبو وائل: وصدق، فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافتدأ لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد -

وقد نقل هذه الرواية ابن كثير في قصصه وتفسيره -

ويوصف القرآن مساكنهم وحضارتهم وصفاتهم في كثير من الآيات التي سنتعرض لها - إن شاء الله - وقال النجار عنها: (كانت مساكن عاد في أرض الأحقاف، وهي تقع في شمال حضرموت، وفي شمالها الربع الخالي، وفي شرقها عُمان، وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس بعد ذلك العمران والنعيم المقيم، ولم يتعرض أحد من الأوربيين الباحثين والمنقبين إلى الكشف عن بلادهم، ولعل تحت الرمال من الثروة العلمية ما لو كشف لكان عظيم القيمة في عالم الآثار، وأبان عن مدينة عظيمة مطمورة تحت تلك الكثبان، وقد أخبرني السيد عبد الله بن أحمد بن عمر بن يحيى العلوي - من أهل حضرموت - أنه قام في جماعة إلى إحدى المدن البائدة في شمال حضرموت، ونقب فيها وعثر على بعض الآنية من المرمر، عليها كتابة بالخط المسماى، ثم ترك التنقيب لمضايقة البدو وإثقال كامله بالمطالب المالية) [٦].

يزيد البكري، قال: خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فمررت بالريذة، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها، فقالت لي: يا عبد الله إن لي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حاجة فهل أنت مبلغني إليه؟ قال: فحملتها فأتيت المدينة، فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت ما شأن الناس؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً، قال: فجلس، قال: فدخل منزله أو قال رحله، فاستأذنت عليه فآذن لي، فدخلت فسلمت، فقال: هل كان بينكم وبين بني تميم شيء؟ قال: فقلت: نعم، قال: وكانت لنا الدائرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها، فسألتني أن أحملها إليك، وما هي بالباب، فآذن لها، فدخلت، فقلت يارسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزاً فاجعل الدهناء، فحميت العجوز واستوفزت، قالت: يارسول الله، فإلى أين تضطر مضرك، قال: قلت إنما مثلى ما قال الأول: معزاء حملت حتفها - حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد -

قال: هيه، وما وافتد عاد - وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه - قلت: إن عاداً قتلوا فبعثوا وافتدأ لهم يقال له قيل، فمر بمعاوية بن بكر فاقام عنده شهراً يسقيه الخمر، وتغنيه جارياتان يقال لهما الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال تهامة - فنادى اللهم إنك تعلم أنني لم أجد إلى مريض فساداويه، ولا إلى

نسب قوم هود وصفاتهم :

قوم هود من العرب العاربة التي تضم قبائل شتى منها قبيلة عاد، ومن هذه القبيلة هود - عليه السلام - وهو نبي عربي كما في صحيح ابن حبان عن أبي ذر: «منهم أربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر» ويقال إن هودا أول من تكلم بالعربية. وقيل: نوح.

وذكر ابن كثير [٧] أنهم أول الأمم الذين عبدوا الأصنام بعد الطوفان، وأنهم أشد أهل زمانهم في الخلقة والشدة والبطش وأنهم كانوا جفاة كافرين، عتاة متمردين في عبادة الأصنام. وأنهم كانوا غاية من قوة التركيب، والطول اللديد، والأزاق الدارة، والأموال والجنات والأنهار، والأبناء والزروع والثمار. وكانت أماكنهم مرتفعة عند جواد الطرق المشهورة، وبينون بنيانا محكما هائلا باهرا، ولهذا قال الله تعالى: **[أتبينون بكل ربع أية تعبتون]** وإنما يفعلون ذلك عبثا لا للاحتياج إليه، بل لجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، ولهذا أنكر عليهم نبيهم - عليه السلام - ذلك؛ لأنه تضییع للزمان، وإتصاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدى في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: **[وتتخفون مصانع لعلمكم تخلفون]**، قال مجاهد: والمصانع البروج المشيدة والبنیان المخلد.

وقد أنكر أبو الدرداء - رضي الله عنه - لما رأى ما أحدث المسلمون في المغوطة من البنیان ونصب الشجر، وقام في مسجدهم فنادى: يا أهل دمشق، فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا تستحيون، ألا تستحيون، تجمعون ما لا تاكلون وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون، وبينون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أولهم غرورا وأصبح جمعهم بورا،

وأصبحت مساكنهم قبورا، ألا إن عادا ملكت ما بين عدن وعمان خيلا وركابا، فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟

ويقول النجار في قصص الأنبياء: ومن المحتمل أن عادا كانوا أطول أعمارا، كما كانوا أكبر أجساما. وقال الشوكاني في فتح القدير: كانت عاد ما بين اليمن إلى الشام مثل النذر.

وأخرج ابن عساکر عن وهب قال: كان الرجل من عاد ستين ذراعا بذراعهم، وكانت هامة الرجل مثل القبة العظيمة، وكانت عين الرجل لتفرخ فيها السباع، وكذلك مناخرهم وعن قتادة قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر ذراعا طولا.

وأخرج الحكيم الترمذی في نوادر الأصول عن ابن عباس قال: كان الرجل منهم سبعين باعا، وكانت البرة فيهم ككَلْبَةِ البقرة، والرمانة الواحدة يقعد في قشرها عشرة نفر.

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من الصجارة لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يقلوه، وإن كان أحدهم ليخل قدمه في الأرض فتدخل فيها.

لغة قوم هود :

نكرنا في قصة نوح - عليه السلام - أنه حين هبط أسفل الجودي قابنتى قرية وسماها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها العربية. ويذكر ابن كثير في قصصه أن هودا - عليه السلام - أول من تكلم بالعربية، وزعم وهب بن منبه أن أباه أول من تكلم بها، وقال غيره: أول من تكلم بها نوح وقيل: آدم، وهو الأشبه، لأن اللسان العربي قديم قبل

أسلافنا توسعوا أكثر مما ينبغي حين درسوا الدخيل في عريبتنا، فوقفوا عند ألفاظ كثيرة وقالوا إنها سريانية آرامية، غير ملتفتين إلى طائفة من هذه الألفاظ ترجع إلى الأصل السامي القديم، فلا يقال: إن العرب أخذوها من السريان ولا إن السريان أخذوها من العرب). والأمر واضح فيما تقدم من عراقية اللغة العربية.

ويقول العقاد في بحثه العلمي الدقيق: (الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين): وهذه الثقافات الثلاث هي: (العربية واليونانية والعبرانية أقدمها في التاريخ هي الثقافة العربية، قبل أن تعرف أمة من هذه الأمم باسمها المشهور في العصور الحديثة.. فالأبجدية اليونانية عربية بحروفها وبمعاني تلك الحروف وأشكالها، منسوبة عندهم إلى قدموس الفينيقي، وهو كتاب مؤرخهم الأكبر «هيرودوت» أول من علمهم الصناعات، وسفر التكوين وسفر الخروج صريحان في تعليم الصالحين من العرب لكل من إبراهيم وموسى - عليهما السلام - ٠٠ ولا خلاف في علاقة العرب الأقدمين بالجزيرة العربية، ولا في قدم العمران بهذه الجزيرة.

ولا خلاف كذلك في قدم اللسان العربي فيها، ولا في أنه أقدم لسان تكلم به سكانها الأقدمون، ولم يعرف لهم لسان قبله مخالف له في أصوله وخصائصه التي تميز بها بين اللغات.

أكان المتكلمون بهذا اللسان قبل ثلاثين قرناً مقيمين بالجزيرة العربية، أم كانوا مقيمين في موطن آخر ثم هاجروا إليها؟

وقد كان أشهر اللغات السامية وأشيعها في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ثلاثاً بين جنوب الجزيرة وشرقها إلى الشمال وغربها إلى الشمال، وهي:

نوح - عليه السلام - ولأنه لسان أهل الجنة التي سكنها آدم - عليه السلام - وقد روى عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال [٨]: (أحبوا العرب ثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي). وهذا الحديث صححه السيوطي. وقال الخاوي: إن ستة من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - من العرب: نوح، وهود، وإسماعيل، وصالح، وشعيب، ومحمد.

وقال: يقال: العرب العاربة هم الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان، وهو اللسان القديم، والعرب المستعربة هم الذين تكلموا بلسان إسماعيل بن إبراهيم وهي لغة الحجاز.

وقال عبد الملك بن حبيب [٩]: كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عريباً، إلى أن بعد العهد وطال، فحُرِفَ وصار سريانياً، وهو منسوب إلى أرض (سورية) وهي أرض الجزيرة، بها كان نوح - عليه السلام - وقومه قبل الفرق. قال: وكان يشاكل اللسان العربي، إلا أنه محرف، وهو كان لسان جميع من في السفينة إلا رجلاً واحداً يقال له: جره، فكان لسانه اللسان العربي الأول، فلما خرجوا من السفينة تزوج إرمُ بن سام بعض بناته، فمنهم صار اللسان العربي في ولده عوص أبي عاد وعبيل، وجائر أبي ثمود، وجديس. وسميت عاد باسم جره لأنه كان جدهم من الأم.

وبقي اللسان السرياني في ولد أرفخشذ بن سام إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من نريته، وكان باليمن، فنزل هناك بنو إسماعيل، فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي.

ويحاول بعض الباحثين أن يقارب بين العربية والسريانية فيقول [١٠]: (ولعل في هذا ما يدل على أن

لنراك في سفامة][١٣]، أى هذا الأمر الذى تدعوننا إليه سفه بالنسبة الى ما نحن عليه من عبادة الأصنام التى يرتجى منها النصر والرزق، ومع هذا نلن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك... وما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به، وما نحن بالذين نترك عبادة أصنامنا لمجرد قولك، بلا دليل أقمته ولا برهان نصيبته، وما نلن إلا أنك مجنون فيما تزعمه. وعندنا أنه إنما أصابك هذا لأن بعض ألهتنا غضبت عليك فاصابك في عقلك، فاعتراك جنون بسبب ذلك...).

ونقل النويرى[١٤] عن وهب: كان ملك عاد الأكبر اسمه الخلجان بن عاد بن العوص بن إرم بن سام، وكان قومه يرجعون الى فصاحة وشعر، وكان له ثلاثة أصنام: صدا، وهباء، وصمود، وكان ملكهم قد حلى هذه الأصنام بأنواع الحلى وطيبها، وجعل لها عدة من الخدم يعبد أيام السنة، فعتوا في المعاصى، وانهمكوا على عبادة الأصنام.

ويقول النجار في قصص الانبياء: كان قوم هود أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله - تعالى - ضاهوا في عبادتها قوم نوح حين عبدوا وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً.

وفي أثر مروي عن ابن عباس إنهم اتخذوا صنما يقال له: صمود، وصنما يقال له: الهتار، فبعث الله إليهم هوداً، وكان هود من قبيلة يقال لها: الخلود، وكان من أوسطهم نسباً، وأصبحهم وجهاً، وكان في مثل أجسادهم أبيض بادى العنفة، طويل اللحية، فدعاهم الى عبادة الله، وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس، فآبوا ذلك وكذبوه.

وقد آمن لهود أناس من قومه، وصدقوا برسالاته، وعرفوا أن لهم إلها غير هذه الأصنام، وكانوا يتمتعون عن الظلم والطغيان على عباد الله، وهم الذين نجوا مع

اليمنية، والآرامية، والكتعانية، مما يدل على أنها نبتت من الجنوب الى موطن الهجرة التى درجت القبائل عليها منذ فجر التاريخ، في طريق بحر العرب شرقاً الى وادى النهرين أو طريق البحر الأحمر غرباً الى فلسطين...).

وقد ظهرت في العصر الحديث بحوث كثيرة في فروع متعددة تثبت تأثير العرب بلفتهم في لغات العالم القديم والحديث، الأمر الذى يشهد بصحة أقوال المفسرين أن الله علم آدم الأسماء باللغة العربية.

عبادة قوم هود :

من الواضح أن عاداً كانت تعبد غير الله، وأنهم يسيرون على طريقة آبائهم في اتخاذ آلهة من دون الله، ولذلك بادروا باتهام هود بالسفاهة وتعجبوا من دعوته لهم بعبادة الله وحده، وبلغ بهم التحدى أن يأتّيههم بعذاب الله إن كان صادقا في دعوته: **[قَالُوا أَجِئْتَنَا لنعبد الله وحده ونذّر ما كان يعبد آبائنا، فلئنا بما تعبتنا إن كنت من الصادقين]**[١١]، يقول الثعلبي[١٢] «قال محمد بن اسحق بن يسار: أمرهم هود أن يوحدوا الله - تعالى - ولا يجعلوا معه إلها غيره، وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك، فآبوا ذلك عليه، وكذبوه، وقالوا من أشد منا قوة، وبنوا المصانع، ويطشوا فيها بطش الجبارين».

وقال ابن كثير في قصصه: (إن عاداً كانوا جفاة كافرين، عتاة متبردين في عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلاً منهم يدعومهم الى الله والى أفراداه بالعبادة والإخلاص له، فكذبوه، وخالفوه. فلما أمرهم بعبادة الله ورغبهم في طاعته واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة، وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة: **[قال الملا الذين كفروا من قومهم إنا**

هود، وهم الذين نقلوا الأخبار والأحاديث والأشعار

والأحداث التي حدثت لعاد قبل العذاب وبعده، فإن كان الله قد أهلك عاداً ولم يبق لها بقية، فإن ما جرى لهم نقل رواية عن المؤمنين الناجين، ليكون عبرة لمن بعدهم، فذلك مقصد عظيم في القصص القرآني والقصص النبوي على النحو الذي سنبينه - إن شاء الله - والذي أشرنا إليه في قصة نوح - عليه السلام -

ونذكر من المؤمنين الذين آمنوا لهود - عليه السلام - مرث بن سعد بن عفير - وكان مسلماً كتم إسلامه - وقد علمت عاد بذلك، وكانوا لا يريدونه في وفدهم الذي سيذهب إلى مكة للاستسقاء، ولكنه خرج بعدهم وأدركهم بمكة [١٥].

ومن أوائل المؤمنين لهود رجل من قومه يقال له جنادة بن الأصم وأربعون من بني عمه، ثم غدا جنادة وبني عمه حتى وقفوا على جماعة من سادات قومه، فقال: يا قوم لا تمنعنكم مرارة الحق أن تقبلوه، ولا حلاوة الباطل أن تتركوه؛ وهذا ابن عمكم هود قد عرفتم صدقه، وقد أتاكم من عند الله رسولا وواعظا، فاتقوا الله وأطيعوه، وحذروهم، فحصبوه وشتموه، فرجع إلى هود.

ويقال سبب إيمان مرث بن عاد، أنه ذهب إلى هود وقال: يا هود إنني جئت في أمر، فإن أخبرتني به فأتيت رسول الله، قال له هود: يا مرث كنت البارحة نائماً مع زوجتك فواقعتها، فقالت لك: أنتظن أنني قد حملت؟ فقلت لها: إنني صائر غداً إلى هود، فإن أخبرني بهذا الكلام أمتت به، فقال مرث: أشهد أنك رسول الله حقاً، ولكن أخبرني هل حملت؟ قال: نعم حملت بولدين ذكرين يكونان من أمي، سيخرجان من بطنها سليمين مؤمنين، وستلد لك عشرة أبطن في كل بطن ذكران، ويكونان من أمي، فوثب مرث وقبل رأس

هود وكان من خيار أصحابه، وجعل مرث يقول:

من كان يصدق يوماً في مقالته

فإن هوداً رسول صادق القيل

نبي صدق أتى بالحق من حكم

وقد أتانا ببرهان وتنزيل

فالحمد لله حمداً دائماً أبداً

مضاعفاً شكره في كل تفصيل

ثم انصرف مرث إلى امرأته وأخبرها: وكان مرث يكرم إيمانه ويجالس قومه فإذا سمعهم يذكرون هوداً بسوء يقول: مهلاً يا بني عم فإنه كئحكم وابن عمكم - الحديث صلة -

الهوامش:

(١) القاموس المحيط.

(٢) سورة الأحقاف/ ٢١.

(٣) الطبري: قصص الأنبياء ص ٣٦.

(٤) ج ٤ ص ٢٠٢ وج ٢ ص ٣٠١.

(٥) ج ٣ ص ٤٨١.

(٦) قصص الأنبياء ص ٧١.

(٧) قصص الأنبياء ص ٩٨ - ٩٩ وتفسيره ج ٣ ص ٤٥١ - ٤٥٢.

(٨) منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٣٠٨ وفيض القدير ج ١

ص ١٧٨ وج ٣ ص ٩٢.

(٩) البلاغة في أصول اللغة: السيد محمد صديق حسن

خان القنوجي.

(١٠) د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي ص ١٠٤.

(١١) سورة الأعراف/ ٧٠.

(١٢) قصص الأنبياء ص ٣٦.

(١٣) الأعراف/ ٦٦.

(١٤) نهاية الأرب ج ١٣ ص ٥١ وتاريخ الطبري ج ١ ص

٣١٦.

(١٥) الطبري: قصص الأنبياء ص ٣٧.

شاعر العقيق (الشاعر محمد هاشم رشيد)



على وعثمان حافظ، فوجد منهما ترحيباً بالغاً وتشجيعاً مستمراً، إذ كانت جريدتهما (المدينة المنورة) تنشر نتاجه الشعري دوماً. مارس العمل الصحفي في بدء حياته الأدبية إذ كانت جريدة البلاد اليومية تنشر له أحاديث صحفية وتقارير اخبارية من المدينة المنورة، وعندما أصبح مديراً لإدارة المطبوعات بفرع وزارة الإعلام بالمدينة المنورة ساهم في العديد من البرامج الإذاعية والحلقات التلفزيونية وله مشاركات فعالة في الأمسيات الشعرية والندوات الثقافية داخل المملكة وخارجها.. طوال حياته الأدبية.

حصل الشاعر على الوسام الثقافي التونسي عام ١٣٩٣هـ كما حصل على ميدالية المتنبى للشعر بالعراق عام ١٣٩٩هـ، كما أنه كان من أوائل أدبائنا المكرمين في (الإثنينية) التي يقيمها سعادة الأديب المعروف / عبد المقصود محمد سعيد خوجه، وذلك مساء يوم الاثنين ١٤٠٥/٦/٢٧هـ لكونه أديباً ملاً الساحة الأدبية بالمقالات والخواطر والمقطوعات والقصائد المفعمة بالتفاعل الحي والعطاء الدفاق..

من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٤٨هـ حفظ آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية في مكتبة والده / رشيد بك الغزي، الذي كان مهندساً لسكة الحديد، كما حفظ في هذه المكتبة قصائد حماسية واطلع بأمر والده أيضاً على محتويات دوريات المكتبة وأسفارها، خاصة أنها تحتوي على عدد من المجالات العلمية والأدبية، مثل مجلة المقتطف والمناهج والرسالة ومجموعة من الكتب التي تعتنى باللغة العربية وآدابها، والأسفار المينة بعبوات العصور الماضية وتراجم ملوكها ووزرائها وأعيانها، وأدى هذا الاطلاع المستمر الى تنمية مواهبه الأدبية وتوسعة مداركه العلمية.. وكان يؤدي صلواته في المسجد النبوي الشريف مما دفعه الى التعارف بعلمائه الأجلاء والحديث معهم في فنون الأدب ومسائل الدين.. حتى لقي منهم التوجيه الديني والرعاية الأدبية وفي مقدمتهم فضيلة السيد أحمد ياسين الخياري، وزميله فضيلة الشيخ محمد الحافظ موسى، وكان يعرض مرة في الأسبوع مقطوعاته الشعرية للأدبيين

بقلم: عثمان محمد مليباري

- مكة المكرمة -

ذلك النبع الذي لأفقي الأفق سنينا
لم يكن غير سراب ظامئ، ينشد رأياً

ذلك الماضي الذي اشرق كالفجر بهياً
لفعته السحب الدكناء فارتد دجياً

ذلك اللحن الذي أُرُعش أعماقي ملياً
أُخِئت الدهر صداه.. فسرى همساً خفياً

أسفأ يا قلبي المخدوع كم تطلب .. رأياً
وترى في الظلمة الدكناء فجراً شاعرياً

ان ماضي حبنا الزاهي دفناه سوياً
فدع الأحلام إنى .. عدت أحيا واقعيأ

وللشاعر سبعة دواوين هي: (وراء السراب - على دروب الشمس - في للال السماء - على ضفاف العقيق - الجناحان الخافقان - على اطلال إرم - بقايا عبير ورماد)، ومعظم قصائد الديوان الأخير كانت منشورة في الصحف والمجلات مما صعب عليه جمعها في وقت قصير ولكن زميل الشاعر الكاتب المعروف (عبد الله بوقري) قدم له مساعدة فعالة إذ نسخ له قصائده



عثمان حافظ



علي حافظ



أحمد ياسين الخياري

في مجال التراث العريق والأحداث التاريخية بأسلوب اتسم بالروح الصافية والمشاعر الصادقة، ويعتبر (وراء السراب) أول ديوان صدر للشاعر المنني (محمد هاشم رشيد) وذلك في سنة ١٣٧٠هـ وعندما تقلب صفحات هذا الديوان تقرأ قصيدة عنوانها (أنا) وقد جاءت في أول الديوان في قالب جديد مشحون بالعاطفة المتوجه متعانة بالتعبير المتدفق.

أنا في لجة الحياة شعاع
مشرق النور رائع اللامعات
عمى الناس عن سناه فسلمسى
ضائعاً في مسارح الظلمات
أنا في الكون بلبل يتفنى
مستهاماً بأعذب الصبغات
انكر الحسن لحنه فتواري
في مطاوي الشجون والحسرات
أنا نبع ترف بين حوالـ
ييه وتزهو نواعس الزهرات
جهل الروض سره فتلاشي
وشوى بين أضلاع الفلوات

حقاً إنه بلبل حائر ينتقل من فنن إلى فنن بحثاً عن الحسن يملأ ناظريه.. وعن الجمال يترع كأس حياته.. وعندما يمضي به الزمن يحس أن الماضي الذي أشرق كالفجر لفعته السحب الدكناء وأن الروض الذي امتلأ بالزهر حطمته الأعصار مما جعله ينسى الحب والأنفهام والألحان ما دام

ماضي الحب دفن واندر فرجع
إلى الواقع تاركاً سراب الوهم
متمسكاً بزمام المعادلة بين الواقع
والخيال التي من شأنها الارتقاء
إلى مستوى الفن الحقيقي:
ذلك الروض الذي رفرف
بالعطر شدياً
حطم الأعصار فيه الدوح
والزهر النديا

المنشورة في مجلة الإذاعة السعودية لكونه كان ولا يزال يحتفظ بكل أعداد المجلة.

أهل المدينة المنورة ينتزهون في وادي العقيق الواقع في غرب المدينة المنورة. يذهبون اليه زرافات ووحدانا خاصة في أيام العطل حيث يجدون في الوادي الفسح تظله الغيوم والنجوم في صور فاتنة، والرمال تتراقص بأروغ الألوان، والأعشاب تتحرك كلما هب عليها النسيم، ولهم ذكريات جميلة في واحاته الخضراء.

وشاعرنا مغرم بجمال الوادي وعاشق لضفافه وليلاليه لدرجة أنه أطلق على مجموعة من أشعاره اسم (على ضفاف العقيق) الذي صدر من قبل نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٩هـ وقد صور في هذا الديوان أيامه التي قضاها في الوادي حيث الذكريات الأدبية التاريخية لانغام ابن سريج ومعبود وأحسان ابن عائشة وابن أبي عتيق. وتجد في قصيدة (على ضفاف العقيق) ارتباط الحاضر بالماضي ومعانقة الخيال بالواقع إلى جانب الذكريات المتعلقة بالتراث والتعبير عن صحاري الوادي وجباله وسمائه بأسلوبه الأخاذ وفنه البلاغي الرفيع.

في شاطئيك عرفت سر وجودي
وقبست من ألق السماء نشيدي
وقفت في ثبج الرؤى .. أرنو إلى
رقص السنا في موجك العرييد
أنى نظرت إلى السماء رأيته
في ضفتيك مشوقة التوريد
ورأيت أطياف الجبال .. تراقصت
نشوى بايقاع الصدى الفريد
والعشب رنحه رحيقك فانتشت
أعطافه في الشاطئ المنضود
يا شاطئ الأنغام والأحلام والأفراح
يا سر الهوى .. بقصيدي

كم قد وقفت على ضفافك والرؤى
في أضلعي مسحورة التفريد
أخطو على الشط البهيج .. وفي يدي
غصن .. ترف عليه بعض ورود
ولكم جلست على الصخور .. وفي يمي
شوق .. إلى فريوسك الموعود

وأعلن الناقد المرحوم/ عبد العزيز الربيع (بأن
في شعر محمد هاشم رشيد نكهة بلادنا وروحها
وطموحاتها وأحداثها). وقد وصف الأمطار التي
هطلت في الصحراء كبركات من السماء فشاهد
الزهرات التي تفتحت وأريجها زهت في كل محفل.
أيًا بركات السماء اغمري
بفيضك .. قلبي .. وروى ضلوعي
وهلي على الربوات الظماء
وضمى الوجود .. بقلب .. ولوع
أيًا بركات السماء اهطلي
على الكون .. بالأمل المشرق
اعيدي اخضرار الحقول الفساح
وزهرمة الشجر .. المورق
وفوضى على الأرض .. حتى يرف
عليها .. شذا الورد والزنبق
أيًا بركات السماء .. اسمعي
صدى الناي يخفق بين الجبال
وترنيمة الغاب .. والشايات
ترقرق فيه .. لصون الجمال
ومهممة السيل .. بين البطاح
يضم الرى .. ويناغى التلال

وفي قصيدته (النشوة الخالدة) يتكلم عن وهج
الحنين للألق المشرق بالتفريد وعن المساء المفرد
بالأضواء والأزهار.

مازلت من ذلك المساء مفردا
جذلاً .. أضم بنشوة قيثاري

شاهدة للمصطفى أن
خير البرايا .. خاتم الأنبياء
منذنة الدعوة .. نومي لنا
ودام للإسلام هذا النداء

وشاعرنا وثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى عند
كل أمر يحزنه، تراه يلجأ الى المولى الكريم بدعاء
صادق وابتهال بك وإنابة ضارعه لتحقيق الأمل بعفو
ونصرته.

رياه .. إنك ربي
ورب كل الوجوه
بك السموات قامت
وأعنت للسجود
رياه .. إنك .. أهل
لكل فضل .. وجه
فكن دليل الصياري
إلى رحاب الخلود

رحم الله شاعرنا (محمد هاشم رشيد) فقد كانت
له مشاركات فعالة في توجيه الحركة الأدبية وصقل
المواهب الشابة داخل النادي الأدبي بالمدينة المنورة
وتقرأ في إصدارات النادي بحثاً ممتعة للأساتذة عبد
الرحيم أبو بكر ومحمد عثمان الصالح ووسام عبد
الباقى والمرحوم عبد العزيز الربيع حيث تناول كل واحد
منهم جانباً من جوانب حياته وشعره في شكل
دراسات أدبية متطورة.

المراجع :

- ١ - الأعمال الشعرية الكاملة/ مجلدان لمحمد هاشم رشيد.
- ٢ - الشعر الحديث في السعودية من منشورات نادى المدينة المنورة للدكتور عبد الله الحامد .
- ٣ - النزعة الإسلامية في الشعر السعودي للدكتور حسن الهويمل إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ١٤١٢م - ١٩٩٢م.

وأسير في الوادي الجميل .. مرناً
أشدومع الأضواء والأزهار
وارقرق الأحلام .. والأنغام في
نبيا الهوى .. وأعيش كالأطياف
وأسائل الأكوان عنك .. وأنت في
قلبي .. وأحذك في صدري أوتاري
مازلت من ذاك المساء .. كما رأيت
عينك .. لحناً بالشعاع ملفعاً
مازلت نايًا .. بالهوى .. متضرماً
مازلت فجراً بالفرام مشعشعاً
انى بعثت على يدك .. وعدت من
أحناك النشوى .. شذا متضوعاً
ووقفت فوق نرى الحياة وحسبنا
أن نلتقي يوماً .. وأن نشدو معاً

والشاعر كثير الالتفات الى ماضي الإسلام
والأمجاد الإسلامية الخالدة وقد تجلى الحس الإسلامي
في ديوانه (في ظلال الإسلام) ولا عجب في ذلك فإنه
أحد الرجال الذين تربوا في مدينة الرسول (صلى الله
عليه وسلم)

فالبقاء المقدسة تثير كوامن الإيمان في أعماقه
فيعبر تلقائياً عن مبادئ الإسلام وقيمه ومثله وترسيخ
تعاليمه والدفاع عنه وعن رجاله في شكل تصد
مستमित للفكر المنحرف ومقاومة مستمرة للمبدأ
المخرب .. وتجد في قصيدة (المنذنة) الهتاف الأعظم
والدعوة الى الهدى والمحاسن والصوت الإيماني
لدالات متعددة تهتز له مهب الأتقياء.

يارمسن حب شامخ باذخ
مجلجل يحمل روح الإباء
وجوه الإيمان في دعوة
تهتز منها مهب الأتقياء
وقفت كالحارس .. فوق النرى
في موقف .. يحمل فيه النداء

تناقض المتنبي نموذجاً لحال الأمة!

كان طبيعياً في زمن البراءة والنقاء أن ينعكس اعتزاز المرء بانتصانه اعتزازاً برموز التفوق والإبداع من أبناء أمته في سائر الحقول. من هنا كان اعتزازنا بأعلام التقوى والفقہ والعلوم والأدب والشجاعة في الحرب والعدل والتزاهة في الحكم، وفيهم أعلام الشعر أيضاً الذين يظل أبو الطيب المتنبي في مقدمهم.

أي عمل؛ إما عظيم يفقه في كل الأمور ويصلح لكل الأعمال وإما فاشل في كل شيء.

لطالما استذكرت ما تعلمته في طفولتي عن أبي الطيب المتنبي باعتباره أعظم شعراء العرب، فقد حيرني أمره منذ البداية. لم أستطع الرضوخ للمسلمات التي أرادوا نقشها على عقلي الذي اعتبروه حجراً، بل إنني أصلاً لم أحتمل من حيث المبدأ اعتبار عقلي حجراً، ولا اعتبار ما ورد في الكتاب المدرسي أو على لسان المعلم. مما جرى تحفيظه له هو بدوره. نصاً مقدساً يستحق النقش على عقلي الذي يصرون على مسخه حجراً! كتبت متأثراً بما استذكرته عن تجربتي هذه في إحدى المرات، ضمن مقالة عالجت جوانب متعددة لعطيات إيجابية وأخرى سلبية تلازم احتمالات القرصنة الراهنة لانبعاث ثقافي عربي [١]، فقلت:

ولئن سمح تطور التفكير والخبرة لبعضنا أن يناقش لاحقاً ما تم تلقيه لنا في طفولتنا وصبا، فإن هؤلاء الأعلام، فيكتشف أن لكل منهم هئاته وثغراته ومثالبه وسقطاته، فكلهم أبناء آدم، وكل ابن آدم خطأ، فإن الأمر لم يكن كذلك لدى أغلب أبناء جيلنا الذين كانوا ضحايا مفهوم بائس شبه التعليم بالنقش على الحجر، وبالتالي استسلموا وتعاملوا مع كل ما جرى تلقيه لهم باعتباره مسلمات «مقدسة» لا تحتمل نقاشاً أو مراجعة، نقيضاً لدعوة الله عز وجل على امتداد آيات القرآن الكريم إلى التفكير والتدبر، كما تعاملوا مع سائر الأمور بمنطق الأبيض والأسود لا ثالث لهما، وهو ما انعكس على تقييم كافة الأشخاص والمواقف والأمر تقيماً سطحياً متعجلاً سانحاً: إما وطني - هو من كان مع صاحب السلطان بلا تحفظ أو نقاش - وإما خائن؛ إما صاحب خوارق ومعجزات وإما عاجز عن

بقلم : د. خير الدين عبدالرحمن

دكتوراه في العلاقات الدولية - سوريا

لكن الصورة تهشم عنبما يمسح العملاق فيها
نفسه متسولا ذليلا أمام كافور الإخشيدى يخاطبه
قائل:

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله
فلئن أغني منذ حين وتشرب
وهبت على مقدار كفى زماننا
ونفسي على مقدار كفيك تطلب

فيتسأل الطفل عن ذلك العنقوان لدى «خير من
تسعى به قدم»، والذي قهر الآفات و«آفات الموت»
و«نعر الذعر» كيف ينحدر على تسول رخيص يسأل
بقية شراب في قعر كأس الشارب ! تبلغ الحيرة مداها
عندما يقرأ هجاء المتنبي لكافور الإخشيدى نفسه، بعد
ذلك:

لا تشمتري العبد إلا والعصا معه
إن العبيد لأنجاس منكبه ٠٠

وإذ يسقط المثال أمام الطفل سقوطاً ذريعاً يتكرر
مع أمثلة ونماذج أخرى تتقافز من بين النقيض
والنقيض، يجد الطفل من الملقين من يذله الى تفسير
أورده كتابه المدرسي: أعذب الشعر أكذبه! بدلا من
القول مثلا بأن موهبة المتنبي الشعرية الباهرة لا تغطي
على اضطراب سلوكه، وهذا ما ألصق به لقب المتنبي،
مما يعكس استعدادنا هائل للكذب والخداع والتبجح،
مثل هذه المعالجة قد تساعد الطفل على تمييز البراعة
في نظم الشعر عن انحراف السلوك، وعلى إدراك أن

«تخاصر الطفل - قبل المدرسة وفي مراحلها الأولى
- برامج تلفزيونية وسلع استهلاكية وأنماط تعامل
ومحسوسات مختلفة شديدة البريق والغواية، بما يغطي
على خواء مضمونها بل وانحراف مقاصدها - يزداد
الخطر في بروز نماذج خرافية شوهاء ومسلقيات
موبوءة ورموز هزيلة تختفي خلف أقنعة خادعة، لا يلبث
التكرار أن يجعل منها قدوة للطفل ومثلا أعلى، فتشكل
لدى الطفل مجموعة مضطربة من يقينيات زائفة ومثل
مریضة وقيم مدمرة لشخصيته وسلوكه، بما يهدد
باضمحلال الإيجابي من تأثيرات البيت والمدرسة
والحيط الاجتماعي - إذا ما أتبع للطفل من يسعى الى
تعزيز حصانته الروحية والحضارية في مواجهة
الاختراقات الهائلة متعددة الجوانب والاتجاهات،
فكثيرا ما يوقعه التوجيه العشوائي والنهج التعليمي
السقيم في أزمة متجددة - يقال للطفل مثلا أن العرب
أعظم من قال الشعر بين الأمم، وأن المتنبي أعظم
شعراء العرب، فيحفظ الطفل للمتنبي:

سيظم الجمع من ضم مجلسنا

بأثني خير من تسمى به قدم

الغيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ثم يروح خياله رأسا صورة لهذا الذي ينضح
اعتدادا بالذات وشجاعة وصلابة وثقة ومعرفة وعلماء،
وتتجوز الصورة أكثر يقول المتنبي:

تمرست بالآفات حتى تركتها

تقول أمات الموت أم نعر الذعر

ونهمه الشره للمال وبخله الشديد في إنفاقه، بينما هو نفسه قد قضع البخلاء وقرع عبيد المال بقوله:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله

مخافة فقر فالذي فعل الفقر

ضنت بالحكمة في بيت الشعر هذا على سلوك يناقضها لصاحبه، بحيث تردد في خاطري كلما تذكرت هذا البيت من الشعر قول الله تعالى: (لم تقولون ما لا تفعلون) وقوله عز وجل أيضا (أتأمرون الناس بالبر وتتسون أنفسكم)، وحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي نقله أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : لا يدخل الجنة خب، ولا بخل، ولا منان، وكذلك قول الشاعر: (لا تنه عن خلق وتأتي مثله) .. ثم رحت استذكر كلما قرأت للمتنبّي - أو لسواه - مديحا موغلا في النفاق أو استعطاء مذلا لحديث نبينا (صلى الله عليه وسلم) (من عظم غنيا لغناه فقد ذهب ثلث دينه)، وما رواه البيهقي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - من قول النبي (صلى الله عليه وسلم) (من دخل على غني فتضعض له ذهب ثلثا دينه)، وما رواه أنس - رضي الله عنه - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (من تضعض لغني لينال مما في يده فقد اسخط الله عز وجل)، وما رواه الديلمي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - (من تضرع لصاحب نبيسا وضع بذلك نصف دينه).

فسرّ ما قرأته لاحقا للشاعر أبي البركات بن أبي الفرج جانباً هاماً من سلوك المتنبّي فيما يخص حرصه على المال وجمعه والإمسك الشديد في إنفاقه وامتهان الذات لأجله، فقد نقل أبو البركات تبرير أبي

الحياة مليئة بالمتناقضات، وأنه قد «كان الإنسان أكثر شيء جلا»، بحيث لا يوضع الطفل أمام أبيض وأسود فقط، كثيراً ما يتلاحقان متناوبين الحالة ذاتها والشخص ذاته، بينما تحجب ألوان الطيف الأخرى عن ذلك الطفل. كيف لنا - بغير هذا - أن نلوم الطفل إن مضى بدوره ساعيا إلى ذلك «الأكثر عذوبة» مبتكرا ومجددا إياه في مناحي الحياة والسلوك والعلاقات المختلفة، كذبا ونفاقا ورياء وتملقا وجحودا وانتهازية وادعاءات جوفاء؟ ثم مضت المقالة تستعرض سقطات ومثالب مماثلة في تعليم الفلك والأحياء والكيمياء والفيزياء والبيئة، ناهيك عن التربية.

لم يكن المتنبّي وحيدا بين شعراء العربية الكبار الذين عبرت عن صدمتي في تقديم مناهجنا التعليمية لإنتاجهم وسيرتهم قدوة ونموذجاً، إذ وقفت مطولا مثلا عند الأتانية المربعة التي جعلت شاعرا مثل أبي فراس الحمداني يقول: «إذا مت ظمنا فلا نزل القطر»، وإن بأجيالنا المتعاقبة تمايل طربا لقوله قرنا بعد قرن، دون أن ترتعد أوصال أكثر أفرادها لعدم اكتراث الشاعر بقاء البشرية جمعاء عطشا ما لم يحظ هو بما اشتهاه وتمناه!

لم يكن تناقض المتنبّي بين اعتداد واستجداء كل ما استوقفني طفلا، وإنما حيرني كذلك ما قرأت في سيرته عن بخله وهوسه بالمال وإسفافه في الحرص عليه والسعي إليه، دون تردد في إراقة ماء الوجه ونسغ الكرامة من أجل الحصول على حقنة نراه، وتقديره المذل في إنفاق أقل القليل من المال. لم أستطع استيعاب كيف يصغر صاحب مثل هذه العبقورية الشعرية الغدة من شأن ذاته، ويحرق نفسه، ويتضاعل أمام المال حتى كاد أن يعبدّه، بل ويجاهر بجشعه

الطيب المتنبئ إذ سأله سائل عن سِرِّ بخله فقال المتنبئ: «إن لبخلي هذا سبباً، ذلك أنني أذكر وقد وردت في صباي من الكوفة على يقداد، فأخذت خمسة دراهم، وخرجت أمشي في أسواق يقداد، فبُزرت بصاحب دكان يبيع الفاكهة، قرأت عنده خمسة من البطيخ باكورة، فاستحسنتها، ونويت شراؤها بالدراهم التي معي، فتقدمت عليه، وقلت: يكمن تباع هذه الخمسة بطاطيخ؟ فقال بغير اكتراث: اذهب، فليس هذا أكلك... فتماسكت معه وقلت: أيها الرجل دع ما يغيظ واقتصد الثمن. فقال: ثمنه عشرة دراهم، فلشدت ما جبهني ما استطعت أن أخاطبه في المساومة، فوقفت حائراً، وبفعت له خمسة دراهم، فلم يقبل. وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان، ذاهباً إلى داره، فوثب صاحب البطيخ من دكانه ودعا له، وقال: يا مولاي، هذا بطيخ باكور، بإجازتك أحمله إلى منزلك. فقال الشيخ: ويحك، بكم هذا؟ فقال: بخمسة دراهم. فقال: بل بدرهمين - فباعه بدرهمين، وحملها إلى داره، ودعا له، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل. فقلت له: يا هذا! ما رأيت أعجب من جهلك، استمت علي في هذا البطيخ، وفعلت فعلتك التي فعلت، وكنت قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم، فبعته بدرهمين مضمولاً. فقال: اسكت، هذا يملك مئة ألف دينار، وأنا ما أزال على ما تراه حتى يقول الناس: إن أبا الطيب قد ملك مئة ألف دينار»!! [٢].

أسفت إذ قرأت تفسير المتنبئ لبخله من خلال رده هذا السلوك إلى تلك الحادثة التي أغاظه بائع البطيخ فيها، فهو تفسير بالتأكيد، لكنه لا يصلح تبريراً ولا تشويخاً لمثل ذلك البخل والتهافت على المال والاستماتة في طلبه.

لم أكن لأتوقع من شاعر يمثل تلك العبقرية أن ينتبه إلى ما حذر منه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام اليهود الضالين بقوله: «لا تستطيعون عبادة الله والمال معاً في آن واحد»، فمن تجراً على ادعاء النبوة ما كان سيلتفت إلى تحذير مثل هذا، لكن صدمتي تتجدد كلما أتمعن كيف يقر شاعر مبدع فريد بأن موقفاً عابراً تافهاً لبائع بطيخ جاهل قد غير سلوكه ومسار حياته ودفعه إلى مثل ذلك الانحدار، فاية قيمة لعبقرية لا ترتفع بصاحبها فوق التأثير على ذلك النحو بتصرف سوقي سخيف لبائع بطيخ، وإنما تتركه يتدفع بكل جوارحه ليقلد غي ذلك البائع في اعتبار ملكية مئة ألف دينار معياراً لعظمة المرء وحصانة له، وليجعل من المنطق المريض الفاسد لذلك البائع فلسفة حياته ومحوراً لسعيه ومحدداً لسلوكه وسقفاً لطموحه؟.

أنا أفهم أن يتأثر المتنبئ بتلك الحادثة تأثراً عابراً فيشير إليها ببضعة أبيات من الشعر منتقداً ذلك التقييم السقيم للمرء من خلال ما يملك من مال، وأفهم أن يسخر من تعامل بعض العامة على ذلك النحو، لكنني لا أفهم أن يتأثر جذرياً، بإعترافه، فيتبنى المغيار الذي اعتمد به بائع البطيخ ويوظف سنين عمره وجهده وشعره لجمع المبلغ الذي حده ذلك البائع لمنح ماله جدارة بالاحترام، واستحقاقاً للحصول على البطيخ مضمولاً بما يقرره هو، لا البائع، من ثمن!.

واكتب استذكاري هذا التفسير الذي ساقه أبو البركات بن أبي الفرج عن المتنبئ ذكرى حادثتين وقعتا لي:

أولهما: انفعالي بعدما كرر خادم إساعة فهم تعليماتي المتكررة له فساء الأداء أمام ضيوفي. همس

أحد الضيوف في أذني قائلا: هل تتصور أن هذا الفتى كان سوف يعمل خادما في منزلك أو في منزلي لو أن له من الذكاء والظفنة والحكمة وسرعة الفهم ما نتوقعه منه؟

شكرت ضيفي، جزاء الله خيرا، إذ أدركت على الفور أن انفعالي لبلادة ذلك الخادم لا يحل مشكلة، فلو كانت لديه القدرات الفكرية التي تؤهله للتصرف بمثل ما أشتهى لكان قد صار فعلا طبيبا أو مهندسا أو عالما أو رجل أعمال، لا خادما في منزلي.

أما الحادثة الثانية فكانت مطابقة تماما لتلك الحادثة مع بائع البطيخ التي قرأت حديث المتنبى لاحقا عنها وعن تأثيرها الجذري على سلوكه ومسار حياته.

فقد عدت الى المدينة التي نشأت فيها طفلا وصببا بعد غياب نحو عقدين، ورحلت أتجول بشوق في شوارعها وأسواقها مستطلعا أحوالها ومستعيدا حوادث ووجوها من بين زحام الذكريات... وفتت أسأل بائع فاكهة أظنه في العشرين من عمره عن سعر أحد أصناف الفاكهة، لكن الشاب ظل سارحا بنظراته بعيدا وتمتم دون أن «يتفضل» حتى بنظرة نحوي: هذا ليس مأكلا! كدت أصرخ في وجه الشاب: إن لم يكن هذا مأكلي أنا الذي التقيت وتعاملت مع نحو سبعين امبراطورا وملكا ورئيسا ومئات الوزراء في عشرات البلدان، وتنازلت الطعام في العديد من القصور وأفخم المطاعم والفنادق في عواصم لا أظن أحدا في هذه المدينة أتيج له أن يزور نصفها، فأكل من هو؟ لكنني أمسكت عن الرد، واكتفيت ببسمة أسى وإشفاق متابعا سيرى.

شهدت بعد ذلك سفهاء تتعلق بهم العيون إذ يدفع

أحدهم الآلاف ثمن زهرة تقدمها فتاة في مطعم، أو يرمي رزمة أوراق نقدية تعادل دخل عائلة لسنة كاملة عند قدمي مغنية، فتتناقل الألسن أخبار «صولاتهم وجولاتهم» تلك، وترتفع الأيدي تحية لهم إذا ما أعار أحدهم المارة نظرة وهو يعبر في سيارته أو ينزل منها، فأدركت أن المسألة ليست مجرد موقف تأفه عابر لبائع بطيخ أساء التصرف مع أبي الطيب المتنبى، وإنما هو مرض يتوارثه الناس منذ القديم والى يومنا هذا.

حذر الله عز وجل المبشرين بذلك المرض من «يوم لا ينفع مال ولا بنون»، وأوضح مآلهم بقوله: (ولو أن الذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) (الزمر/ ٤٧).

متى يستيقظ هؤلاء من غفلتهم ويفقهون تحذير خالقهم: (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين. قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) (سبا/ ٣٥ - ٣٧).

غفر الله لنا ولأمة نبينا، «والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

الهوامش:

(١) د. خير الدين عبد الرحمن، فرصة الانبعاث الثقافي العربي، شؤون عربية، القاهرة، العدد ٢٩، شعبان ١٤١٨، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٧م.

(٢) الشيخ يوسف البليدي: الصبح المنبي عن حيثية المتنبى، دار المعارف، القاهرة، ط. ٢، ص. ٩٦.

فانن الجوى

البروفيسور / سالم بن عبد الجبار آل عبد الرحمن - اليمن

ألم الجوى يكويه ثم يزيد
ألم البعد بناره الهوجاء
حب يقاسمه النهار بنوره
ويزيد نوراً عند كل مساء
أتراه يفقسو والظلام صبابه
والشوق يزهر في نجى الظلماء
والبعد لا يتسببه رغم مكوثه
ألق النجوم ببسمة الورقاء
ونسيم من يهوى يراوده متى
تلف المساء برقة الإحشاء
وميش زهر لم يفارق عينه
وضياء حب في الفؤاد سنائي
فالليل يحجب وبهم فيمده
شوقاً لهم متملك الأحشاء
والنجم يمسك وصفهم متحولاً
نوراً يفسى بخاطري وسفائي
والبدر فيهم يستمد ضياءه
ليضيء يوماً في ربا الأرجاء
فيميش في حلم يزوم رجاءه
ويظل يلمل دائماً بلقاءه

يا زهر هل وعدتنا وتركنا
للليل يسلمنا إلى البسداء
للبن يفعل ما يشاء بدرينا
للوجد للوجدان للأواء
للشوق للألم الذي نكوى به
للحب للأوهام للإعياء
لتنائر الأهات من صبّ به
فاض الجوى ليفيض بالأصداء
ما بين خلان تباعد طيفهم
وغدا وميضاً لا يفي لضياي
يدنو فلا يرجو القريب ضياءه
ولدى البعد فهل لديه وفائي
تطو الصبابه والبعد يحسده
والحب لا يقبوى لدى الأهواء
فيميش بين صبابه وتباعد
ويتيه بين محبة وجفاء
والشوق يعفيه هوى وصبابه
والبن لا يبقى لأى رجاء
ألم يعانينه المحب وبونه
بحر البعد وقسوة الصمراء

اختلاف

القدماء

حول

أبي

حيان

التوحيدي

الأستاذ الدكتور محمد عمارة، منذ سنين
خلت أثر مجلته المنهل بجمع من دراساته
وبحوثه القيمة، ذات التحليل العميق الدقيق.
ولا شك كانت، ولا تزال دراساته تلك مكان
شد وجذب للقراء لموضوعيتها.

وأخر دراسة نشرتها له المنهل كانت
بعنوان (الاسلام والفنون الجميلة) نشرت في
سبع حلقات متتاليات كان آخرها في العدد
الصادر لشهر ذي الحجة ١٤٢٣هـ. وكانت
دراسة تقييمية لمدى اهتمام الاسلام
والمسلمين بـ (الفنون الجميلة) التي تزين
الحياة وتنضرها. وتكسبها الجمال والابداع،
ويسعد بها الانسان.

وابتداء من هذا العدد، وعلى مدى سبع
حلقات متتاليات - ايضاً - تنشر المنهل لاستاذنا
الدكتور عمارة دراسته القيمة بعنوان
(اختلاف القدماء حول أبي حيان
التوحيدي) وفيها يناقش آراء القادحين
والمادحين للتوحيدي من خلال مقالات
التوحيدي ذاته. وهي دراسة تضع موازين
الانصاف لهذا المفكر الذي ظلم كثيراً.

- المنهل -



بقلم: أ. د. محمد عمارة

- مصر -

معين (١٥٨ - ٢٢٣هـ / ٧٧٥ - ٨٤٨م): «إنه كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع»!!
وهذا درس بليغ يدعوننا الى التماس أفكار المفكرين في مقولاتهم ومقالاتهم التي كتبوها هم، وليس فيما كتبه عنهم الآخرون، مهما كان احترامنا لهؤلاء الآخرين.

لكن هذا الدرس - الذي تصل بداهته وقوته الى حيث يغنيان عن طول الكلام فيه - كثيرا ما يتخلف الوعى به والالتزام لمقتضياته في الكتابة عن مقولات ومقالات كثير من الاعلام والمفكرين، فيتوارث الخلف عن السلف الكثير من الأباطيل والأوهام، التي أَلصقها الخصوم بخصومهم المفكرين.

والنموذج الذي تطمح هذه الصفحات الى سبر أغوار الحقائق والأوهام التي شاعت عنه، والتصقت به - قديما وحديثا - رغم كثرة ما كتب عنه - هو أبو حيان التوحيدى، على بن محمد بن العباس (٣١٠ - ٤١٤هـ / ٩٢٢ - ١٠٢٣م)!! والذي نريد عرض آراء الآخرين فيه على ما في مصنفاته من آراء... بل وتحقيق ما له وما ليس له في هذه المصنفات!

فكما اختلف القدماء في تاريخ ميلاد التوحيدى ما بين عام (٣١٠هـ / ٩٢٢م) وعام (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) اختلفوا في الوطن الذي نشأ فيه، فقيل: شيرازى... وقيل: واسطى... وقيل: نيسابورى... وقيل: بغدادى... بل لقد اختلفوا حتى في تاريخ وفاته ما

كان عمرو بن عبيد (٨٠ - ١٤٤هـ / ٦٩٩ - ٧٦١م) ثاني اثنين - مع واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣١هـ / ٧٠٠ - ٧٤٨م) - بلورا وقادا تيار الاعتزال، وصاغا مقولات الفلسفة العقلانية الإسلامية... وكان قائدا في الثورة التي قوضت بناء الدولة الأموية... وفي المعارضة للدولة العباسية، تهتز له قوائم العروس، ويحسب له الخلفاء كل حساب.

وفي ذات الوقت، كان عمرو بن عبيد العابد، الذي حج من البصرة الى بيت الله الحرام، بمكة المكرمة، أربعين حجة في أربعين عاما، سيرا على قدميه، ومن خلفه راحلته، التي يقودها، حاملا عليها الضعفاء والفقراء!!

وكان الزاهد الذي تخشع قلوبنا أمام دعائه لربه الذي كان يقول فيه: «اللهم اغنى بالافتقار إليك!... ولا تفقرنى بالاستغناء عنك!... وأعني على الدنيا بالقناعة، وعلى الدين بالعصمة».

ومع هذا الذي كان عليه عمرو بن عبيد - الذي رثاه وصلى عليه الخليفة أبو جعفر المنصور (٩٥ - ١٥٨هـ / ٧١٤ - ٧٧٥م)!! - وهى سابقة لم تتكرر مع غيره - لأن الكل كان «يطلب صيدا»... إلا عمرو بن عبيد - كما قال المنصور!! - مع كل هذا، وجدنا الخصومة الفكرية تذهب بأهل الحديث والسلفية النصوصية الى حيث تصنفه في «أهل الأهواء» حتى ليقول فيه الإمام الحنبلى «سيد الحفاظ» يحيى بن

*** عقائد ومذاهب وفكر المفكرين تؤخذ وتصنف من أقوالهم هم أنفسهم وليس من أقوال وقراءاة الآخرين عنهم**

بين عام (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) وعام (٤١٤هـ / ١٠٢٣م). وإذا كانت آثار الخلاف والاختلاف في الموطن وفي تواريخ الميلاد والوفاة طبيعية - وفق ملابسات ذلك العصر - وهي مما لا يقلب الموازين في تحديد مكانة المفكر ضمن تيارات الفكر ومذاهب التراث.. فإن الخطر الأكبر إنما يأتي إذا كان الخلاف والاختلاف في عقائد المفكر الذي ندرسه.. ويصبح هذا الخطر خلا وكارثة إذا نحن ظللنا نلتزم عقائد ومذاهب مفكرينا فيما

كتبه عنهم القدماء، من مصنفى المقالات والطبقات، وليس في الفكر الذي أودعه هؤلاء المفكرون المصنفات التي صنفوها!.

وسيل غريباً ومعيباً ألا تعي دراساتنا الحديثة

والمعاصرة «الأبعاد المذهبية» في التقويمات الفكرية التي جاءت عن أعلامنا في كتب المقالات وموسوعات الطبقات.

ولعل نموذج أبى حيان التوحيدي أن يكون درساً بالغ الدلالة في هذا المقام..

لقد بدأ حديث القدماء عن عقيدة التوحيدي وفكره ومذهبه، باتهام ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (٣٢٩ - ٣٩٥هـ / ٩٤١ - ١٠٠٤م) للتوحيدي بالكذب وقلة الدين والورع، والقدح في الشريعة والقول بالتعطيل (أي نفي الصفات عن الله، سبحانه وتعالى) [١].

وعلى درب هذه الإدانة سار ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين (٥١٠ - ٥٩٧هـ / ١١١٦ - ١٢٠١م)، الذي قال: «زنادقة الاسلام ثلاثة: ابن الراوندي، والتوحيدي، وأبو العلاء المعري. وشهرهم على الإسلام التوحيدي، لأنهما صرحا، وهو لجلج [لم يبين] ولم يصرح» [٢].

ومع ابن فارس وابن الجوزي سار الحافظ الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٧٤٨هـ / ١٢٧٤ - ١٣٤٨م) الذي رمى التوحيدي بسوء الاعتقاد والضلال والإلحاد [٣].

وعلى ذات الدرب سار الخوانساري، محمد باقر الموسوي (١٢٢٦ - ١٣١٣هـ / ١٨١١ - ١٨٩٥م)، الذي قال: «كان التوحيدي كذاباً، قليل الورع» [٤].

وفي مقابل هذه النماذج لاتهام التوحيدي في

برأوه.. نقل قول الذين قالوا: إنه «كان كذاباً، قليل الدين والورع، مجاهراً بالبهت، تعرض لأمر جسام من القدر في الشريعة والقول بالتعطيل».. وقول الذين قالوا: «إنه كان فاضلاً.. فقيراً، صابراً، متديناً، حسن العقيدة»[٨].

تلك هي «خارطة» آراء الأقدمين في أبي حيان التوحيدى، انتقلت متناقضاتها الحادة - ما بين الزندقة والتصوف - مروراً بالفلسفة والكلام والاعتزال - الى مؤلفات المعاصرين عن التوحيدى - مع غيبة المنهج الذى يفسر هذه المتناقضات في ضوء «العامل المذهبي» لأصحابها.. والذى ينتقل بمنطلقات التقويم للرجل من آراء كتاب المقالات والتراجم فيه، الى مقالاته هو فيما صنف من مؤلفات.

عقيدته، والتجريح لمذهبه، نجد موقف ابن النجار، محب الدين، أبو عبد الله، والذي عاصر ابن الجوزى، وسمع منه، لكنه خالفه في رأيه، فقال عن التوحيدى: «كان أبو حيان فاضلاً لغوياً نحوياً شاعراً، له مصنقات حسنة، وكان فقيراً صابراً، متديناً، حسن العقيدة»[٥].

وعلى درب الثناء على التوحيدى، ورفض اتهامه في اعتقاده سار ياقوت الحموى (٥٧٤هـ - ٦٢٦هـ/ ١١٧٨ - ١٢٢٩م)، الذى ارتفع بالتوحيدى الى النزوة، فقال: إنه «شيخ الصوفية، وفيلسوف الأدباء»، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء.. فرد الدنيا الذى لا نظير له نكاه وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن، واسع الدراية والرواية»[٦].

ومع المدافعين عن التوحيدى، وقف السبكى، تاج الدين، عبد الوهاب بن على (٧٢٧ - ٧٧١هـ/ ١٣٢٧ - ١٣٧٠م)، الذى تحدث عن التوحيدى - وقد ترجم له في طبقات الشافعية - فقال قول الباحث في القضية الخلافية: «ولم يثبت عندي الآن من حال أبي حيان ما يوجب الوقعة فيه. ووقعت على كثير من كلامه، فلم أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوى النفس، مزدرياً بأهل عصره، ولا يوجب هذا القدر ان يُنال منه هذا النيل»[٧].

أما الحافظ ابن حجر العسقلانى، شهاب الدين أبو الفضل (٧٧٣ - ٨٥٢هـ/ ١٣٧٢ - ١٤٤٩م) فلقد اكتفى بأن نقل آراء الذين اتهموا التوحيدى والذين

ذلك أن
الوعى بدور
«العامل المذهبي»
لأصحاب هذه
الآراء، ودور
التكوين الفكرى
والتجربة الحياتية
لكل منهم، كفيل
بحل ألفاظ هذه
المتناقضات.

فأبن فارس،
الذى بدأ سلسلة

**** الانتماء
الفكرى
والمذهبي
للدارس
يؤثر على
نتائج
ومستخلصات
آرائه.**

* أبو حيان التوحيدى يحتاج لدراسة منصفه ببين القادحين والمادحين *

اتهام التوحيدى في عقيدته .. كان معاصرا لأبى حيان، يساكنه في مدينة «الرئ» حيث كان الوزير صاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥هـ/ ٩٣٨ - ٩٩٥م) .. وكان ابن فارس أستاذا للصاب بن عباد .. بينما كانت للتوحيدى تجربة مرة مع الصاحب، الذى

أراد حبس التوحيدى على مكانة «الناسخ - الوراق»، وحال بينه وبين تجاوز هذه المهنة - التى كان يسميها التوحيدى «محنة الشؤم»! - وانتهت تلك التجربة مرة بفرار التوحيدى من وعيد ابن عباد، الذى هجاه التوحيدى هجاء لا أخلاقيا - مع ابن العميد - في كتابه (مثالب الوزيرين) ..

هذا هو موقع ابن فارس من أبى حيان .. أما ابن الجوزى، فكان حنبليا .. من أهل الأثر .. الذين يضيّقون بأهل الرأى .. فما بالنا إذا كان هذا «الرأى» الذى امتلأت به مصنفات التوحيدى جامعا لأراء الفلاسفة والمناطق - على مذهب أرسطو - وإخوان الصفا، الذين مزجو

الأفلاطونية بالإشراقية الباطنية الغنوصية بالاسلام! ..

ومثل ابن الجوزى - في التزام مذهب المحدثين، أهل الأثر - كان الحافظ الذهبى - رغم أنه كان شافعيا في الفقه - علم الفروع - ..

أما الخوانسارى، فلقد جعله تشييعه خصما للتوحيدى، الذى اخترع «رسالة السقيفة» ، مفضلا فيها أبا بكر الصديق على علي بن أبى طالب، رضى الله عنهما - وهو من يناصبه الشيعة كل وأشد العدا - ..

أما الذين دفعوا عن التوحيدى اتهامات الحنابلة وأهل الأثر والمحدثين .. فمنهم ابن النجار، الذى كان شافعي المذهب، كالتوحيدى .. وكان مؤرخا، ليس طرفا في صراعات المتكلمين، فهو الى أهل «الرأى» أقرب .. وكذلك كان السبكي - الشافعي، الذى أرخ لطبقات الشافعية - ومنهم التوحيدى .. والذى - وهذا هام جدا - عانى من تعصب شيوخ عصره، الذين اتهموه هو الآخر في عقيدته! .. فقرأ التوحيدى، وكتب مدافعا عن عقيدته كتابة الباحث الخبير، عندما قال: «ولم يثبت عندى الآن من حال أبى حيان ما يوجب الوقفة فيه، ووقعت على كثير من كلامه فلم أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوى النفس، مزديا بأهل عصره، ولا يوجب هذا القدر أن ينال منه هذا النيل» ..

أما ياقوت الحموى، الذى قرأ الكثير من كتابات التوحيدى - وكان له فضل حفظ العديد من

هذه الكتابات - فلقد كانت قراءاته هذه مصدرا للصورة المشرقة التي قدمها عن جهد التوحيدي ومكانته .. كما وقفت وراء ذلك الإنصاف أوجه للشبه بين ياقوت وبين أبي حيان .. فكلهما لم يكن صاحب حسب ونسب - فياقوت كان رقيقا أعتقه سيده - وأبو حيان كان من غمار الناس، حتى إنه كان - كما قال ياقوت «عمدة لبني ساسان» - أى قائدا لجماعة من المتسولين [٩] .. وكنا - التوحيدي وياقوت - يعيشان من التكسب بحرفة «الوراقة» .. ونسخ المخطوطات» وكنا - أيضا - من أهل الجمع والرواية للأفكار والأخبار، أكثر مما كانا من أهل الإبداع والاجتهاد والابتكار.

تلك هي ثمرات الوعي «بالضارطة المذهبية والحياتية» لأصحاب تلك الآراء المتناقضة والمتضادة، التي تجاوزت في كتابات القدماء عن أبي حيان التوحيدي، والتي انحدرت من كتب القدماء الى كتابات المعاصرين، دون تفسير لهذا التناقض والتضاد.

وإذا كانت تلك هي ثمرة الوعي بالعامل المذهبي والخبرة الحياتية والتكوين الفكرى لكتاب الترجمات .. فإن الفصيل الأول والأهم في تحقيق الاتهامات، بل والمناقب والفضائل، إنما هو لكتابات الأعلام الذين توجه إليهم الاتهامات، أو تكال لهم المدائح وآيات الثناء.

وهذا هو الذى تطمح إليه هذه الدراسة، وصولا الى فصل المقال فيما أحاط بالتوحيدي من حقائق ومن أكاذيب وأوهام.

الهوامش :

- (١) السبكي (طبقات الشافعية الكبرى) ج ٥ ص ٢٨٧، تحقيق: د. محمد الطناحي، عبد الفتاح الحل، طبعة القاهرة ١٩٩٢م.
- (٢) انظر مقبلة تحقيق (المقابسات) ص ٨ لحققها: محمد توفيق حسين، طبعة بيروت ١٩٨٩م - وهو ينقل عن السيوطي (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) ص ٢٤٩ طبعة القاهرة ١٣٢٦هـ.
- (٣) النهمي (ميزان الاعتدال) ج ٤، ص ٥١٨، تحقيق: علي البيجاوي، طبعة القاهرة ١٩٦٣م. انظر: د. أيمن فؤاد سيد مجلة (فصول) - المجلد الرابع عشر، العدد الثالث - خريف ١٩٩٥م.
- (٤) د. ابراهيم الكيلاني (أبو حيان التوحيدي) ص ٢٦، طبعة دار المعارف - القاهرة - سلسلة «نوايخ الفكر العربي» والنقل عن (روضات الجنات) ج ٤ ص ٢٠٥.
- (٥) مقبلة تحقيق (المقابسات) ص ٨ - والنقل عن ابن حجر المسقلاني (لسان الميزان) ج ٦ ص ٣٧٠ طبعة الهند ١٣٢٩هـ.
- (٦) المرجع السابق، ص ٨ - والنقل عن (معجم الأدباء) ج ١٥ ص ٢٨٠، ٢٨١، طبعة القاهرة ١٩٢٨م.
- (٧) د. ابراهيم الكيلاني (أبو حيان التوحيدي) ص ٥٣ - والنقل عن (طبقات الشافعية) ج ٥ ص ٢٨٧.
- (٨) مقبلة تحقيق (المقابسات) ص ٨ - والنقل عن (لسان الميزان) ج ٦ ص ٣٦٩، ٣٧٠.
- (٩) (معجم البلدان) ج ١٥ ص ٥٠.

من قراءات النص:

الإنزياح في قصيدة

أعزاء على بطاقة تهنئة لأحمد مطر

بأسلوب الخطاب عن السنن اللغوية الشائعة [٢] وقد

ارتبط هذا المصطلح بجديلية لغة النثر ولغة الشعر.

فالشعر هو أكثر الفنون الأدبية ولعا بالزيف

والمخاطبة، وتخطي الثوابت السائدة «فالنثر هو

بالتحديد اللغة الطبيعية أما الشعر ف لغة الفن أي لغة

مصنوعة... ويكون النثر هو اللغة الشائعة يمكن أن

نتحدث عن معيار تعتبر القصيدة انزياحاً عنه» [٣].

فالنثر هو لغة الخلق الطبيعي، لغة البساطة

العفوية المباشرة، والشعر هو لغة الخلق الفني، لغة

المهارة، الحذق، الإبداع ومن هنا تطرح إشكالية

المعرفة والتدقيق انطلاقاً من نمط العلاقة التي يقيمها

الدال بالمدلول، ففي النثر نلمس مطابقة بين الدال

والمدلول فتثير لدى القارئ استجابة عقلية وتمكنه

من معرفة البنى الموضوعية التي يطرحها الناثر، أما

في الشعر فالدال يتجاوز المعنى المفهومى الى المعنى

الانفعالي ليحقق الاستجابة العاطفية لدى القارئ

ويمكنه من تحصيل انفعال/ تذوق بالبنى الشكلية

التي يطرحها الشاعر، فكان انتقاء المطابقة ضرورة

ينزع النص الأدبي الى تحقيق هويته من خلال

الاختلاف عن الخطاب الشائع، والتعالي على

مرتكزات التعبير التقليدي مستنكفاً بذلك عن كل ما

هو قار ثابت، كأنه يؤسس ذاته وجماليته في - تمرده

عن التأثير القواعدي/ النصوي -، والتواصل

اللساني، فيتحول الى مغامرة داخل اللغة تهشم

عناصرها ثم تعيد بنائها في حلة جديدة ف (الكلمة

الشعرية هي في نفس الآن موت وانبعث للغة) [١].

وهكذا يغدو النص الأدبي لغة خاصة ضمن

اللغة العامة، وخطاباً غير عادي ضمن الخطابات

التواصلية العادية، وقد ظهرت مصطلحات عديدة

تبحث عن خصائص هذا الكائن اللغوي المتميز منها:

الانحراف (Deviation)، المخالفة (Infrac-

tion، الخرق (Transgression) الانتهاك

(Viol) وكل هذه التسميات تحمل دلالات

مختلفة لكنها تقارب مصطلحا شائعاً وهو الانزياح

(L'ecart) وقد عرف باعتباره حدثاً لغوياً جديداً

يبتعد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف، وينحرف

ما سكت عنه وليصرح بما لَحَّ إليه بل وليقولهُ ما لم يقل.

إن رغبة الشاعر في تعميم رسالته رغبة غير مجانية، إنه يسعى الى تحريك روح المغامرة لدى قارئه ليجعل منه سندبادا أو قارنا مغامرا يقوم بعبد الحفر في طبقات النص والغوص في أعماقه رغبة في كشف كنوزه الثمينة وجواهره المكنونة، ليصل إلى النشوة الجمالية بعد رحلة مضنية شاقة تنفي عنه طفولية التلقي، وتذيقه حلاوة الأسفار والبحث رغم المعاناة التي كابدها أثناء لحظات التلقي الشعري.

وأحمد مطر أحد الشعراء المعاصرين الذين استوعبوا هذه الاستراتيجية في تكييف القارئ مع جو النص، لذا سنتعرض الآن الى مقولات التحليل لقصيدة «عزاء على بطاقة تهنئة» من زاوية عدوله عن الكلام الشائع وانحرافه عن المألوف.

مقولات التحليل :

العنوان : يعتبر العنوان علامة دالة على النص تصدره وتعرفه وتؤطر كيانه اللغوي والدلالي بل هي

لتحقيق الإيحاء، وسلبية المعرفة شرط لإيجابية التذوق، ولعل هذا ما يبرر الغموض الذي يتحسسه القارئ في مواجهته نصا شعريا يتحدى أي منطق، ويحارب كل الثوابت؛ أولها وأخطرها النحو «فهو الركيزة التي تستند إليها الدلالة فبمجرد ما يتحقق الانزياح بدرجة معينة عن قواعد ترتيب الكلمات، تذوب الجملة وتتلأشى قابلية الفهم» [٤].

فالانزياح يجعل النص التباساً إبداعيا تتغير قابلية فهمه في حركة زنبقية من قارئ الى آخر؛ فهو يجازف بالنص ليصل الى درجة خطيرة تهدد بالطلاق بين المؤلف والقارئ وتفقد النص انتماؤه للغة، «فاللغة تتوقف عن أداء وظيفتها عندما يتخطى التعدد الدلالي حداً معيناً» [٥]، لذا على الشاعر أن يحقق الوظيفة الشعرية دون أن يغيب الوظيفة التواصلية، بل تجعل التشظي اللساني والدلالي الذي يسود نصه وسيلة/ مدعاة للإيقاع بالقارئ لا لنفوره، فالمعاني التي لا تستجيب والدلالات التي تستعصى على الإمساك هي أدوات الشاعر ليوتر اطمئنان القارئ تاركا له المبادرة التأويلية، ليقول هو

** الابداع لفسة فخاصسة في داخل اللفسة *

** الانزياح يعتمد بنظام اللفسة عن الاستعمال المألوف *

** النثر:

لفظة

البساطة

المفوية

المباشرة.

** الشعر:

لفظة

المصدق

والإبداع

والمهارة.

** الفموض

أحياناً قد

يستفز

القارئ

لاضافة

مشهد

إبداعي

جديد

للقصيدة.

بمثابة لافتة إيضاحية

تضيء مدلولاته وتكشف

إحباطه «فالعنوان هو

المفتاح الذهبي الى

شفرة التشكيل أو

الإشارة الأولى التي

يرسلها المبدع الى

المتلقي» [٦] لكن تجلّى

عنوان هذه القصيدة في

صيغة تلفظ كل تلك

الفرضيات بما تفيض

من مجازات وتجاوزات.

«عزاء على بطاقة

تهنئة» عنوان يحمل بذور

غربته، يتناقض مع ذاته

بما يسوده من تبعثر

لفظي ودلالي؛ إذ اتحد

في صلبه المتناقضان

وتصالح المتضادان

(عزاء، تهنئة) بشكل

يشير انفعال القارئ

وفضوله حين يفاجأ في

أول لقاء له بالنص بهذا

الانحراف الأسلوبي

والخروج عن النمط

التعبيري المتعارف عليه

بما يضعف في دور الوظيفة المرجعية ويجعل المعنى

مشوشاً، غامضاً، مبهماً، زاده غموضاً وإبهاماً

توالي التكرات في صيغة العنوان (عزاء، بطاقة،

تهنئة).

وكأن أحمد مطر يصر على قطع جسور

التواصل بين نصه وقارئه، نكاد نتيقن من ذلك لولا

وجود همزة وصل بين المتناقضين نقصد كلمة

(بطاقة) والتي يمكن قراءتها بأخطاء صحيحة، فلعلمها

وردت كعلامة سيميائية تجسد التماثل المادي لفعل

الكتابة، باعتبارها ممارسة إبداعية، أو حالة تجاوزية

للتأويل يباح فيها كل شيء بما في ذلك التناقض

والتشويش والانحراف والمعدل... وكأن كلمة

«بطاقة» هي شفرة خاصة للمتلقى تنبهه الى رغبة

أحمد مطر في ممارسة الكتابة كهاجس نزوع تحارب

الأشكال والمضامين السائدة من أجل الوصول إلى

إنجاز فني يجعلها لا تقول ولا تعي إلا ذاتها» [٧].

إنما تجاوزنا العنوان الى المتن نجده

مشحوناً بزويدة من التساؤلات والتهنئات:

لمن نشكر مأسيتنا

ومن يصفي لشكونا

ويجيتنا ؟

أنشكر موتنا ذلاً لوالينا؟.

وهل موت سيحيينا؟

وردت هذه التساؤلات في قوالب لغوية عادية لا

تخرج عن العرف العام للتعبير سواء في مستواها

التركيبى أو الدلالي.

ولعلها محاولة من الشاعر لخلق جو من المصالحة بين النص والمنطقي ليشاركه هذا الأخير بتجربته ومكابدته ومعاناته، يؤكد ذلك طغيان صيغة (النحن) على المقطع السابق لإضفاء جو من القلق الجماعي والمعاناة المشتركة، تظهت جليا في آهات متواصلة اضطر الشاعر إلى إيقافها بترك فضاء نصي فارغ/ فراغ مطبعي تتخلله نجمتان فقط (**) لعله إشارة الى استغراق زمني وجيز استغرقه الشاعر ليستعيد أنفاسه وفي رسم النجمتين إشارة الى الوقت الراهن وتشخيص الحالة وهذا ما أنجزه أحمد مطر في المقطع الموالي:

قطع نحن والجزار راعينا
ومنفقون نمشي في أراضينا
ونحمل عرشنا قسراً بأيدينا
ونعرب عن تعازينا لناينا [٩]

يبود الشاعر في هذا المقطع كأنه يمارس لونا من ألوان الهزيان الواعي بما يقتصره من كتابة استغراقية/ انقلابية تقفز فوق تضاريس الكتابة النمطية وتتلذذ بانتهاكاتها المحببة للسنن اللغوية المخزونة في ذهن القارئ الذي يلمس تعايشا سلميا بين ثنائيات ضدية تكاد تخلخل يقينيته وتقوض أمنه المعرفي واللساني حول مفاهيم وجوبية وفلسفية كمفهوم (المكان) الذي يتماهى معناه ضمن «النفي، اللانفي» في قول الشاعر:

«ومنفقون نمشي في أراضينا»

كما يتزعزع مفهوم «الزمان» بين قطبي الحياة والموت في قول الشاعر:

ونحمل نعشنا قسراً بأيدينا .

كما يضطرب مفهوم الحدث / الفعل في قوله:

ونعرب عن تعازينا لناينا .

تفصح هذه المفارقات الضدية الأجواء العبيثية التي يعيشها أحمد مطر حيث يختلط الشك باليقين وتتفجر الذات المنكسرة بهلوسات تخرق هذا الواقع الضبابي الكثيف، كما تكشف هذه المفارقات ولع أحمد مطر بكسر النمط المنطقي للمعاني وتجاوزه النظرة الأحادية للأشياء والمفاهيم، متخذاً من الإنزياح وسيلة لإثراء تجربته الإبداعية وتلك خاصية يطلق عليها جاكيبسون «تكامل الأضداد» أو «تولد اللا منتظر من خلال المنتظر» مما يسهم في خلق نص مشحون بالإبعاات والرموز «وينطوي على شحنات دلالية لا تتوفر على أكثر من أطياف المعاني أشبه بالأطياف الطمية شفافة غير قابلة للتحديد لكنها تستطيع أن تشغل حيزاً (زمكانياً) من خيال القارئ بما يسهم به من إثارة الوعي» [١٠] يصل النص المطري الى تمرده واجتياحه اللامتناهي حين يخترق الشاعر طابوهات المقدس المتغل والمتوارث وذلك في قوله:

فوالينا ، أدام الله والينا

وأنا أمة وسطا

فما أبقى لنا دنيا ولا أبقى لنا دنيا [١١]

** القراءة

السطمية

للقصيدة

تغنيدها

الكثير من

مضمونها.

** العنوان

هو المفتاح

الذهبي

لشفرة

التشكيل.

** معنى

النص

يكمن في

تمدد

أنظمته

وتنوع

قراءاته.

يستحضر هذا المقطع

الآية الكريمة [وجعلناكم

أمة وسطا] التي تحضر

حضوراً غائباً في هذا

النص بعد أن جرت من

دلالاتها الحقيقية كرمز

لمعاني الاعتدال

والتوسط والتسامح..

لتدل في سياقها الراهن

عن معاني الانتماء،

الاقتدار والاعتدال..

لقد حقق هذا الاختلاف

بين البنية اللغوية الماثلة

أمام القارئ والبنية

اللغوية القائمة في حسه

اللغوي مقام المرجع

النموني انزياحاً دلالياً

خلاقاً دفع بالنص

المطري الى فضاءات

صمته وتكتمه فلعل في

إلماحة الشاعر إلى

النص الشرعي إشارة

غير مباشرة لإدانتته

القاسية لممارسات

السلطة القمعية التي

تتخذ الشرع والدين

ذريعة لتضييق الخناق

على الرعية وسلبهم

حريتهم في أمور دينهم وديارهم، تتضح هذه الإدانة

رويدا في المقطع الآتي:

ولاة الأمر ما ختمت ولا هتمت

ولا أبديتم اللينا

جزاكم ربنا خيرا

كفيتم أرضنا بلوى أعادينا

وحققتم أمانينا

وهذي القدس تشكركم

ففي تنديكم حينا

وفي تهديكم حينا

سحقتم أنف أمريكا

فلم تنقل سفارتها

ولو نقلت، معاذ الله ،

لو نقلت

... لضيعنا فلسطينا

ولاة الأمر هذا النصر يكفيكم .. ويكفينا

تهانينا!! [١٧]

تكن شعرية هذا المقطع في انحرافه عن

سياق النص إذ تلمس مفارقة بين أول المقطع وآخره

فعبارة (لضيعنا فلسطينا) انعطفت بالقصيدة

انعطافا حادا إذ جات في سياقها الظاهري بصورة

غير متوقعة تأسيسا على ما قيل قبلها مما أسهم في

توتر اطمئنان القارئ الذي فوجيء بهذا التنامي

اللامنتظر للفعل الشعري الذي ساهم جماليا في

تعميق الإحساس لدى المتلقي بالمرارة واليأس

والاغتراب، وما يؤصل هذا الإحساس طغيان حرف

ميز، حرف النون، هذا الحرف السحري العجيب

الذي طالما ارتبط بقدرية الأمر إذ تجده في صيغة «كن فيكون» ليرادف معاني القدرة والإبداع والإرادة الفولاذية حتى قيل قديما:

هذا الاعتقاد دفعه الى أن يتوسل بكل وسيلة
لخلق نص متميز ينشد هويته في الاختلاف ويحقق
ذاته في تفرده، وتعاليه، وبموقعه فوق العادي
والمباشر.

واسترزق الله مما في خزائنه

فإن رزقك بين الكاف والنون [١٣]

كما ارتبط هذا الحرف بنبي كريم حقق ذاته
من خلال فعل كلامي مقدس (التسبيح) فقيل ذو
النون بل هو - النون - من الحروف التي يستعزم بها
ويصدر بها النصوص المقدسة {ن والقلم وما
يسطرون} لكن يتجرأ أحمد مطر ليكسر الطوق
الحصين فيجرد الحرف من روائه المثالي ومن قيمته
التذكارية منحرفا به عما وضع له، ليشحنه في
سياقه الجديد حمولة تراجيدية توحى بكل دلالات
التشظى والانبطار والتمزق.

عموما يمكن القول إن الفعل /الحدث الشعري في هذه القصيدة ينمو بشكل تصاعدي منطلقا من مجموعة تساءلات صيغت في قوالب لغوية محايدة ذات الدرجة الصفر من التعبير المجازي لتصل إلى بنى لغوية مشحونة بطاقات إيحائية مكثفة الدلالة تكشف محاولة أحمد مطر في الانعتاق من فعل التشرنق في فضاء المألوفية/ العادية، وإملاكه قدرة على الزيف والمخاتلة، فلغته تعتمد الى العدول أو الانحراف فتتخلى عن بذاختها وعلايتها لتصبح أقرب إلى الهجاء بإيقاعها وقاموسها ومفرداتها» [١٤].

يؤمن الشاعر بأن «معنى النص لا يكمن في تعدد تفاسيره وترجماتة وإنما يكمن في تعدد أنظمتة

الهوامش :

(١) جون كوهين: بنية اللغة الشعرية ت محمد الولي العمرى، دار طويقال للنشر، المغرب ١٩٨٦، ص ٢١٤.

(٢) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب ج ١، دار
هومة، الجزائر، تونس، ص ١٨٦.

(٣) جون كوهين: بنية اللغة الشعرية، ص ٢٣/٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٥) المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٦) د/ فوزي عيسى : تجليات الشعرية في الشعر العربي المعاصر، ص ٨٥.

(٧) الطاهر رواينية : الكتابة وإشكاليات المعنى، مجلة التبيين، العدد ٦ ، الجاخطية، الجزائر، ١٩٩٣م، ص ٨٨.

(۸) أحمد مطر : لافتات (۱) یوایو، ط (۲)، لندن، ۱۹۹۷، ص ۱۳۴.

(٩) أحمد مطر : لافتات (١)، ص ١٣٤.

(١٠) الطاهر رواينية : الكتابة وإشكاليات المعنى، ص ٨٧.

(۱۱) أحمد مطر : لافتات (۱)، ص ۱۳۵.

(۱۲) أحمد مطر : لافتات (۱)، ص ۱۳۵ - ۱۳۶.

(١٢) د/ خليل احمد خليل: مضمون الاسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، ط (٢)، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

(١٤) د/ فوزي عيسى: تجليات الشعرية في الشعر العربي المعاصر، ص ٩٦.

R. Barths : S.Z. ed. Seuil, Paris, P (19)
152.



المرأة واللغة

« مقارنات بين أحاديث النساء »

لقد نظر الباحثون الموضوعيون الى القضية نظرة علمية تعني برصد الظواهر وتحليلها دون أن يكون لهم هدف سابق يتجه الى إثارة الصراع الغوي بين الرجل والمرأة.

وحدد عن ذلك، هو الضعف الذي اعتري حرف «الراء» الذي كان قديماً يلفظ بقوة من طرف اللسان، ثم يقول الباحث: «وقد حاولت في مكان آخر أن أشير الى هذا الضعف الذي تحول إلى أصوات متنوعة وأحياناً الى حذف كامل للحرف ناتج عن تغير في الحياة الاجتماعية، فصول الراء المشددة المرتفع مقبول في الحياة العامة خارج المنزل ولكن الحياة داخل المنزل تفضل عامة العادات الكلامية الأقل ضجة، وكلما كانت هذه الحياة المنزلية راقية مالت الى التخفيف من الضجيج بأنواعه، حتى أصوات الكلام ينتابها التخفيف، وكان من نتائج ذلك أنه لم يعد يسمح لصوت الراء بإزعاج الأذن، فقد عمد إلى تلطيفه بطرائق مختلفة» [٢].

ويعضي هذا البحث في رصد الظواهر اللغوية عند المرأة في مجتمعات غربية فيتحديث عن انتقاء الكلمات عند المرأة وأن النساء في جميع البلدان تخل من ذكر أسماء أجزاء معينة من الجسم أو ذكر أسماء وظائف طبيعية لهذا الجسم بنفس الطريقة المباشرة الجريئة التي يستعملها الرجال وخاصة الشباب منهم فيما بينهم، ولذلك تعتمد النساء لإيجاد كلمات أو

ففي هذه الدراسة مقارنة بين النساء في فرنسا وإنجلترا والنساء في اليابان في مجال اللغة. ففي فرنسا وإنجلترا تتجنب النساء الكلمات المولدة، ثم إنهن كثيرات الحذر من الابتعاد عن الصيغ المكتوبة، فإن الصوت (WH) لا يكاد يلفظ في إنجلترا الجنوبية إلا في مدارس البنات، وعلى عكس ذلك نجد نساء اليابان أقل محافظة من الرجال سواء في قضية اللفظ أو في اختيار الكلمات والتعابير، وهناك ميل آخر لوحظ في لغة اليابانيات يتسع انتشاره بين الإنجليزيات والفرنسيات وهو استعمال الكلمات القوية والمبالغة في تشديد بعض الحروف من أجل التأكيد، والنساء اليابانيات يفقن الرجال كثيراً في اعتمادهن الشديد على المقاطع التي يقصد منها التهذيب مثل (NI - 90 - 0) [٧].

وفيما يتعلق بالتغيرات الصوتية التي تسببت في تعديل نظام الأصوات البريطانيات ذات دراسات النحويين الإنجليز أن النساء أكثر تقدماً في قضية اللفظ من الرجال [٢].

وهناك تغير معين يلاحظ في عدة لغات يبدو أن للنساء يداً كبرى في إحداثه حتى ولو لم يكن مسؤولات



بقلم: د. مصطفى عبد الواحد

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

ثم يقول: ويعيدا عن مثل هذا الغلو ليس لنا أن نجد فضل المرأة في هذا الصدد. إن علينا أن نهنيء تلك الأمم، وبينها إنجلترا، التي كان وضع المرأة الاجتماعي فيها مرتفعاً بحيث أتاح اللغة - الانجليزية - أن تكون أصفى وأنقى مما قد تكون عليه، لو أن الرجال وحدهم كانوا أصحاب الشأن المطلق في اللغة [٦].

ويتتبع الباحث خصائص المفردات في لهجة المرأة .. فيرى أن مفردات المرأة بصورة عامة محدودة أكثر من مفردات الرجل. فالمرأة تفضل عادة أن تسيّر في حقل اللغة الرئيسي متحاشية كل ما هو غريب أو

عبارات مهذبة وملطفة قد تصبح مع كثرة الاستعمال كالكلمات الأصلية الصريحة، وهذا ما يؤدي إلى تجنبها والعمل على إيجاد كلمات مهذبة محلها. وهكذا دواليك [٤].

ويقول الباحث: «ومما لا شك فيه أن اشمئزاز النساء الغريزي من استعمال التعبيرات الخشنة والجافة وميلهن لتداول تعبيرات مُقنَّعة وغير مباشرة كان لها أثر كبير بل عالمي على التطور اللغوي. ومثل هذا التأثير يمارس غالباً على نطاق خاص وضمن الأسرة نفسها [٥].»

ويذكر الباحث أن هناك شاهداً تاريخياً على تعاون جماعة من النسوة - للقيام بمثل هذا الدور بصورة علنية جماعية في القرن السابع عشر في فندق «رامبويه» في فرنسا وقد ناقشت هذه الجماعة كل ما يتعلق بقضايا التهجئة وسلامة اللفظ والعبارة، وقد فضلت أولئك النسوة استعمال العبارات المتأنقة التي يمكن بواسطتها تجنب الكلمات الخشنة العامة. وقد كانت هذه الحركة نظيرة للموجة الأدبية التي عمت أوروبا تحت أسماء متعددة. إلا أن هذه الجماعة من النسوة الفرنسيات تخطين في مطالبهن زملائهن من الرجال، وذلك حين رغبين في التأثير في اللغة الدارجة كاستعمالهن عبارة «باب الدماغ» للدلالة على الأنف. أو عبارة «أداة التنظيف» للمكنسة وعبارة الرفيق الدائم للأموات والأحياء للدلالة على القميص، وقد أثار تصنعهن عاصفة من الضحك انصبت على روسهن وكادت مثل هذه الحذقة أن تُنسى اليوم لولا هجاء «موابير» الخالد لهن في مسرحيته «نساء متحذقات» و«النسوة العالمت».



**** بعض الكتاب عملوا على خلق صراع
نفسوي موهوم بين الرجل والمرأة.**

**** النساء يملن إلى استخدام التمليح والإشارة، والكلمات الخفيفة النطق. * المرأة ذاكرة الجماعة ومكتبتها. * المرأة أكثر رغبة في التحدث، وأشد الحاجاً فيه من الرجل.**

خارج عن موضوعها .
أما الرجال فإنهم
يعمدون إلى صوغ
كلمات وتعابير جديدة
أو إحياء التعابير
القديمة، إذ كانوا بهذه
الوسيلة يتمكنون أو
يظنون أنهم يتمكنون -
من إيجاد تعابير أكثر
دقة وضبطاً لأفكارهم .
أما المرأة فإنها
تتبع طريق اللغة
الرئيسي في حين يتعد
الرجل عن مثل هذا
الطريق ليسلك أحيانا
مسلكاً ضيقاً أو لطيفاً
طريقاً جديداً .
ومن هنا يلاحظ
هذا الباحث أن النين
تعودوا قراءة الكتب
الأجنبية يجدون صعوبة
في قراءة الكتب التي
كتبها رجل أكثر من
تلك التي كتبها امرأة
.. وذلك لاحتواء
الأولى على كلمات
غريبة ولهجات متنوعة
ومصطلحات فنية . ولذا
فعلى هؤلاء النين
يريدون تعلم لغة أجنبية
أن يعيدوا أنفسهم أولاً

قراءة روايات كتبها نساء ، لأن تلك الروايات تهين لهم
تعلم التعابير والمفردات الدارجة التي يحتاج إليها
الأجنبي قبل غيرها والتي هي في ذاتها صلب تلك اللغة
الأجنبية .

ثم قرر الباحث سبب هذه المفارقة بين مفردات
الرجال ومفردات النساء بقوله: ويمكن أن نعزو هذه
الخاصة عند النساء إلى ثقافتهن التي كانت ومازالت
إلى يومنا هذا أقل شمولاً وفنية من ثقافة الرجال [٧] .

هذا ما يقرره هذا الباحث الغربي عن ثقافة
المرأة .. ولو قال هذا القول باحث عربي عن ثقافة
المرأة العربية لأوسع هؤلاء المتظاهرون بنصرة المرأة
لوماً وتائياً ولاتهموه بالرجعية والتعصب والجمود!

وهناك تجربة قام بها الأستاذ الأمريكي
«جاسترو» فقد طلب من تلامذته وكان عددهم خمسة
وعشرين من الذكور والإناث في صف واحد أن يكتبوا
مائة كلمة مفردة بأقصى ما يستطيعون من السرعة، ثم
يحسبوا الزمن الذي تستغرقه كتابة هذه الكلمات،
وكانت الحصيلة خمسة آلاف كلمة وكثير من هذه
الكلمات متشابهة ولكن الاشتراك في التفكير كان أكثر
عند النساء منه عند الرجال .

وبوجه عام كانت الخصائص الأنثوية التي كشفت
عنها هذه الدراسة اهتماماً خاصاً بالظروف الراهنة
والإنتاج الجاهز والزينة والفردية والمحموس .. أما
الرجل فقد أبان اهتمامه بالبعد والبناء والمفيد والعلم
والمعنوي من الأمور . وقد أشار الأستاذ «جاسترو» إلى
أنه ليس بين النساء كثيرات متفرغات لدراسة علم
اللغة .

كما أشار إلى أن المرأة أسرع من الرجل في
النواحي اللغوية فهي أسرع منه في التعلم وفي السمع
وفي الإجابة .

أما الرجل فهو أبطل لأنه يتردد ويتفكر ويمضغ الكلمة ليتأكد من نطقها... وهو بذلك يهيئ نفسه لاكتشاف التشابه والتباين بين الكلمات، سواء في المعاني أو في الجرس مما يتيح له أن يحسن استخدام الأسماء والصفات في مجالها.

ثم يعلل الباحث تفوق النساء في سرعة النطق بكون مفرداتهن أقل اتساعاً وأكثر تركيزاً من الرجال، كما يقرر أن المستوى اللغوي للمرأة هو مستوى الوسط، فالعبقريّة اللغوية في أرفع درجاتها والعجز اللغوي في أحط درجة يندر وجودهما بين النساء، بينما كان أعظم الخطباء وأشهر الأدباء من الرجال. وبين هذين الطرفين تتحرك المرأة بلسانها الذلق الواثق القادر أبداً على تصريف الكلام ولفظه على أوضح وجه وأصفاه!

ثم يختتم حديثه بأن في أيامنا هذه تحدث تطورات اجتماعية هائلة قد تكون سبباً قوياً في تعديل العلاقة اللغوية عند الجنسين[٨].

المرأة هي التي تغذي الطفل وتنشئه وتعلمه الكلام بما لا تنفك تصبه في أذنيه من عبارات لها معنى أو ليس لها معنى، وتفعم له ذاكرته بالمحصول الأول من اللغة وتعد له أول ما يلزمه من الذخيرة في رحلة حياته؟!

فليست المرأة فقط عاملاً لا يستهان به في تقرير اللغة الكلامية وصقلها، بل هي أيضاً أول معلم تتلقى هذه عنه ونحذقها منه[٩].

ثم يقول: «وكما أن المرأة كانت أحسن معاجم اللغة كذلك كانت أداة المحافظة عليها وتوريثها الأجيال التالية»[١٠].

وفي هذا الصدد نشير إلى ما رواه الأصمعي وابن الأعرابي عن النساء الأعرابيات من فصيح اللغة

مما امتلأت به كتب الأمالي والنوادر والمجالس. ومن هنا يقول المازني: «المرأة كانت ذاكرة الجماعة ومكتبتها» إشارة إلى الحكايات المتوارثة التي كانت تحفظها النساء وتقصنها على الأطفال حين النوم أو عند السمر والسهر.

بل إنه تجاوز ذلك إلى أثر المرأة في توحيد اللغات أو نقل ألفاظ من لغتها الأصلية إلى اللغات الأخرى، وذلك خلال فترات التاريخ التي كانت العروب فيها تخلف أعداداً من الأسرى والسبائا، ويندرج في ذلك أثر الجواري في نشر مصطلحات لغاتهن الأصلية إلى اللغة العربية... فكيف يمكن مع هذا ادعاء أن الرجل استولى على اللغة وخلع عليها طابع الذكورة وحرم المرأة منها.

فأين كانت المرأة حين هذا الاستيلاء؟ وهل كانت بكاء لا تتكلم ولا تعبر عن ذات نفسها فعاشرت هذه القرون المتطاولة بغير لغة وبغير تعبير؟!

« للموضوع صلة »

الهوامش :

(١) المرجع السابق ص ٢١٨. (اللغة العربية إضاءات عصرية للدكتور حسام الخطيب، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٥٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢١.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٢٥.

(٨) المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٩) قبض الريح للمازني، ص ١٨٦، المطبعة العصرية،

القاهرة، طبعة قديمة دون تاريخ.

(١٠) المصدر السابق، ص ١٨٨.

آلاء

عُروة وثقى حَبَّتْنَا بالأمل

فانطلقنا في رحاب لا تُمل

غَدْنَا الآتي رسمناه على

وردة يحضنُها فيءٌ وظلٌ

نغمُرُ الدنيا بفيض لا يرى

نكبتُ الشوق فتُبدية المقل

يُبهرُ الموهنُ [١] في إشراقنا

كلما بذرُ الدُجى بالنور هل

اجتباننا الفضل كي نكسو الهوى

سُؤدد المجد، ولكن ما عدلٌ

لا تظنُّوا أننا نخـذلكم

فوفاء الحرُّ عقدٌ لا يحل

سيظلُّ العهدُ نبعا دافقا

صدّه الهونُ [٢] كمُزن ما هطل

ويظلُّ الوجدُ نبضا موجعا

دائم التزف كجرح ما اندمل

نسأل الماضي الذي ضيعنا

كيف نمضي ٠٠٠ وإلى أين ٠٠٠ وهل؟

كيف سرنا في طريق سدّها

حاجزُ الخوف ٠٠ وكسفٌ ٠٠ ووجل!

إن جعلنا الصمت جسرًا بيننا

رابنا الخسفُ وإفراطُ المذل

أو تركنا اليأس يحلو ركبنا

فلقد ضاقت بنا كُلُّ السُّبُل

جاءت الأيام لكن ساعا

أن حَلَمَ العُمَر بئرو ما اكتمل

إن نزعنا النُصل من أعماقنا

لا تلومونا فذا جُهدُ المقل



شعر: أ. د. نور الدين صمود

- تونس -

إن بدا الشجوع علينا إننا
ما انهزمنا .. غير أن السيف كل
سُدّة العلياء ما ضاقت بنا
إننا كُنّا .. وصرنا .. ونظل ..

نهتدي بالله في غُريتنا
فالذي يهديه ربّي لن يضل
سوف يُجزينا وقد طال السُرى
واحة شطآنها شمسٌ وظل
وإذا الفرحنة نقت بابنا
قله الأمر إذا شاء فعل
غيمه الآلاء مرّت من هنا
مُرّنها غوثٌ .. وجودٌ .. وأمل

الهوامش :

(١) الموهن : نصف الليل أو بعد ساعة منه .

(٢) الهون : الرقيق والنفقة والوقار والتواضع وفي التنزيل
العزیز (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
هوناً) .

نحتمي بالعزم ما طال المدى
علنا نقوى على الأمر الجلل
علمونا الغدر .. قد نعتزكم
إننا بالعفو عنكم لم نصل

أيهذا الفجر لا تترك لنا
شعلة الوجد، فإننا لم نزل
نسأل الأقدار في شدتنا
لم يُشجينا الهوى منذُ الازل؟
جاءنا النور ولم نحفل به
فاستجار الليل بالفجر المظن
دع لنا الجنوة .. لا ترحل بها
فهوانا قبلما جاء ارتحل

نحن عند الخطب طودٌ شامخٌ
نركب الصُعب، ولا نخشى الزلل
لن نردّ النور عن آفاقنا
طبعنا فيضٌ على البرّ جبل

الدكتورة بنت الشاطيء

عائشة عبدالرحمن



قال بشار بن برد عن الخنساء حين سُئل عن شعرها، تلك غلبت الفحول، وهو قول جدير بالدكتورة بنت الشاطيء، لأنها في نتاجها العلمي قد برزت تبرزاً واضحاً، فكتبت في النقد والأدب والتفسير والبلاغة ما يكتبه المتخصصون من النابهين، وأصبحت مؤلفاتها العلمية مراجع ممتازة في المكتبة العربية، وهي في نتاجها الأدبي مبدعة غاية الإبداع، عالجت القصة والمقال الأدبي ونظمت الشعر، وكتبت الرسائل في نسق شفاف تلمس فيه حرارة العاطفة، وبلاغة التصوير، وقل من يسمو إليها من زميلاتها الجامعيات!

الاتصال الأدبي بعد أن تركت بنت الشاطيء دمياط، والتحقت بكلية الآداب بالقاهرة، فتم التعارف الشخصي بعد أن سبق التعارف الأدبي، وصارت عائشة الروح الناهض بالمجلة. تشرف على الاختيار، وتتابع الطبع والمراجعة، ولا يخلو عدد من مقال اجتماعي ضاف يعالج شؤون المرأة، تكتبه عائشة بروح المؤمنة الملتزمة التي نشأت في أسرة علمية ذات طابع ديني هادف، وقد عالجت الشعر حينئذ فنشرت قصائد ذات جودة وبهاء، ولكن النثر بفنونه المختلفة غلبها على الشعر، وإن ظلت روحه مرفقة في بيانها القصصي، وبخاصة ما كانت تنشره بمجلة الهلال عن فضليات النساء!

لقد كنت في أول عهدي بالتدريس بالمعاهد الثانوية حين أصدرت بنت الشاطيء كتاب (بطلة كربلاء) زينب بنت الإمام، وقد قرأت الكتاب فبدا لي فيه رأي نشرته بمجلة الرسالة بتاريخ ١٩٥٢/٤/٧

كانت بنت الشاطيء قبل أن تتصل بكلية الآداب، صاحبة قلم، إذ ظهرت بواكيرها الأدبية في مجلة النهضة النسائية التي كانت تصدرها السيدة الفاضلة لبيبة^[١] أحمد على مدى عشرين من السنوات، وهي زعيمة أصيلة من راعيات النهضة النسوية في مصر، النهضة الحقيقية ذات الميدان الشريف الطامح إلى معالي الأمور. لم تعرف الحفلات البراقة، والاجتماعات الإعلامية ذات الاستهواء الأنشوي، ولكنها عرفت النضال في ثورة ١٩١٩م، واتخذت من الصحافة ميداناً لنهضة المرأة المسلمة، وما كانت مقالات الأدبية الناشئة (عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطيء) تصل إلى مكتبها بالمجلة حتى فسحت لها مكاناً دائماً، وامتد





بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية - مصر

العدد (٩٧٩) حيث قلت فيما قلت:

القارئ، بعد ذلك أن يعتمد على نتائجه وأحكامه، بل ينتظر منه أن يعجب ببراعة اللوحة وأناقة التصوير، لذلك كان من العجب أن تتحدث المؤلفة عن الأسطورة البقاء، ثم تقرنها بذكر مصدرها التاريخي القديم، لتوهم القارئ أنها تنقيد بنصوص المؤرخين الثقات».

ومضى المقال يضرب الأمثلة في أكثر من ستة أعمدة ولا يتسع المجال هنا لتفصيل ما قلت، وكنت أنتظر أن تتفضل الدكتورة الفاضلة بالرد موضحة وجهة نظرها، أو مصححة ما يبدو لها من الخطأ فيما كتبت، ولكنها صمتت كما صمتت عن نقد مماثل كتبته السيدة وداد سكاكيني بمجلة الثقافة بعد ظهور مقالتي بأسبوعين، وفيه اتفاق تام لوجهة نظري، ولا أقول إن الكاتبة السورية النابهة قد تأثرت بما كتبت، ولكن أقول، إن هذا الاتفاق قد جعلني أطمئن إلى صحة اتجاهي، وإلى أنني لم أكن مغاليا فيما نقدت، وأذكر أنني بعد عامين من نشر المقال قابلت صديقا حميما للدكتورة بنت الشاطي، وهو من الأبناء الذين يزاومونها في مدرسة الأستاذ الخولي الأدبية، فدار بيننا حديث عن مقالتي الخاص ببطلة كربلاء، فقال: إن الدكتورة لم تشر إليه أبدا في حديثها المتصل دائما بنتائجها المتواصل، وهو يعرف عنها عزوفها عن كل ما ينشر بمجلة الرسالة، إذ يوجد ما يشبه النفور بين الأستاذ الخولي والأستاذ الزيات!

أخذت أطالع آثار الدكتورة بإعجاب، وبخاصة فيما كتبه عن آل البيت النبوي، لأن عاطفتها الصادقة كانت تتفحها بخواطر رائعة تهز القارئ وتشجيه، وأذكر أنني حين طالعت كتابها عن السيدة سكينة بنت الحسين، لم أوافق على كثير مما نقلته الدكتورة عنها مستندة إلى كتب الأدب والمسامرات، وأكثر ما بها ملفق مكنوب؛ وقد همت أن أرد عليها ولكن سكوتها عن الرد علي، جعلني أتوقف، ثم بدا لي أن أتحدث عن

لقد بدى الكتاب بحديث عن زينب بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم) - لا زينب بنت علي - (رضي الله عنه) فوضحت كيف تزوجت السيدة الكريمة بمكة، ثم تركتها إلى المدينة مهاجرة لدى والدها العظيم، وكيف وقع الزوج أسيرا يوم بدر ثم افتقدته زوجته الحبيبة فأطلق، وعاد ثانية إلى المدينة مسلما ليصحب زوجته! وكل ذلك قد شغل فراغا كبيرا من الكتاب لتوافق السيدتين في الاسم فقط! وكنا نتجاوز عن المؤلفة لو أسهبت في حديثها مرتين أو ثلاثا، بلا مناسبة ملح، ولكنها تمضي في الكتاب على هذه الوتيرة فما تكاد تلم بموقعة أو حادثة حتى تسهب في تسجيلها وتحليلها، لأهون سبب، وأضعف داع، مما جعلني أعتقد أن الدكتورة الجامعية قد ظلمت كتابها ظلما عنيفا، حين أسمته (بطلة كربلاء) وماذا عليها لو استبدلت به عنوانا ينطبق على مدلوله، فلا تصدم القارئ بأنباء تعدها دخيلة غريبة، ولكن المؤلفة أرادت أن تتحدث في غير موضوع!

ومضى المقال ينبه إلى استطرادات لا داعي لها، وإلى أساطير زيت في تاريخ السيدة زينب ما كان لها أن تسطر في ترجمة أدبية تلتزم الحقائق، وقد قلت بصدد ذلك:

« والقارئ حين يطالع الكتاب، يلمس تناقضا يكره ويأباه، فالدكتورة الفاضلة تعلن أنها حرصت على أصالة الألوان التاريخية، كما رسمها المؤرخون الثقات، وتعلن من جهة أخرى أنها لم تستطع أن تغفل الظلال الأسطورية أو تهون من شأنها، لما لها من الروعة والإيحاء، مع أن الذي يحرص على آراء المؤرخين الثقات، لا ينبغي أن يلتفت إلى الأساطير والخرافات، فإن فعل، فقد ودع التاريخ والبحث العلمي، وانتقل إلى الفن الأدبي يهيم في أوديته، فلا ينتظر من

السيدة سكيئة لمناسبة مشابهة وكانت الرسالة قد احتجبت، فنشرت مقالا تحت عنوان (مهلا أيها الكتاب) بمجلة الأزهر بتاريخ (نوفمبر ١٣٧٤هـ) وقلت في نفسي لو قرأته الدكتور فستعلم أنني أخالفها في بعض ما تنتحيه! دون أن أشير إلى اسمها الكريم، لأني بيني وبين نفسي أقدر مكانتها الأدبية، وأعلم صدقها الأمين، كما أعتقد وهذا حق - أنها أوسع نظرا، وأبعد اطلاعا فقد تعلم ما لا أعلم!

ثم شاعت الملابس الخاصة بتدريسي البلاغة المعاصرة، أن أكتب بحثاً مستقلا في سفر خاص عن كتاب (دفاع عن البلاغة) للأستاذ أحمد حسن الزيات، وهذا الكتاب قد تعرض لنقد عاصف كتبته الدكتور بنت الشاطي، وتجت في علي الأستاذ تجنيا واضحا، ولابد لمن يكتب سفرًا عن (دفاع عن البلاغة) أن يلم بما قاله الناقدون عنه، ومن بينهم الدكتور بنت الشاطي، فكتبت مقالا نقديا أوازن فيه بين رأي الأستاذ الشهيد سيد قطب في الكتاب، وقد وفاه حق من الإطراء، ورأي الدكتور بنت الشاطي، وقد هوت به دون منطق قوى وكان مما قلت ردا على الدكتور [٢]:

«إن الدكتور بنت الشاطي قد أعلنت أنها لا تعرف الزيات معرفة شخصية، ولكن بعض عارفيه قد قال لها عنه إنه يتكلف من المشقة والجهد في سبك عباراته وتآليف جملة الشيء الكثير، وأنه يصبر كثيرا على تحت الألفاظ واختيارها مما لا يدور على ألسنة الناس»، وهذا تهجم خارج عن النقد المحايد، فالزيات حين يتكلف المشقة والجهد في الصياغة، إنما ينتج أدبا رصينا هتف به المنصفون جميعا، وأهل بين الكبار مكانا لا ينكر أما القول بنحت الألفاظ واختيارها مما لا يدور على الألسنة فطرف مغرض، لأننا نقرأ المقال الطويل لدى الزيات فلا نجد فيه غير كلمة أو كلمتين على الأكثر تمتان إلى الغرابة، والرجل مذهب في إحياء بعض الكلمات، لتؤدي ما لا يؤديه سواها، ثم تقول الدكتور إن الكتاب من مطبوعات الرسالة التي تحمل جميعا طابع المدرسة القديمة، وهي مدرسة تكرة حرية التعبير وبساطة الأداء، وقرب المأخذ».

وكلمة مطبوعات الرسالة قد تدل على أن الرسالة دار عامة لنشر الكتب، والحق أن مطبعة الرسالة كانت تنشر بعض الكتب أحيانا على حساب أصحابها دون تدخل في اتجاهها الأدبي، وإذن فليست هناك مطبوعات للرسالة تكرة حرية التعبير، وبساطة الأداء، فإذا أرادت الدكتور مجلة الرسالة نفسها، فهذا هو الظلم الأكبر الذي لا يسترنقاب، لأن الزيات لم يكن وحده الذي يملأ صحف الرسالة على فرض أنه يكره حرية التعبير وبساطة الأداء، إنما كانت الرسالة ميدانا لصفوة أدباء الشرق، جال فيها طه حسين والعقاد والرافعي والمازني والبشري وأحمد أمين، وعبد الرحمن شكري وتوفيق الحكيم وفريد أبو حديد ومحمود تيمور وزكي مبارك، أف يكون هؤلاء ممن يحملون طابع مدرسة تكرة التعبير، وبساطة الأداء، وإذا كان الأمر كذلك، فإن إذن مدرسة التعبير الحر، وفي أي مكان».

هذا شيء قليل مما كتبته في هذا الصدد، وقد نشرت الكتاب بمصر والسعودية طبع مرتين هنا وهناك، ولم أشأ أن أبعث بنسخة منه للدكتور الفاضلة، وقلت في نفسي لابد أن أحد تلاميذها أو زملائها ممن يكفون على قراءة البحوث البلاغية سيقروا الكتاب، ويتحدث إليها عما جاء فيه بشأنها؟

مضت حقبة طويلة، لم أتحادث عن الدكتور بشيء عنها في مقالاتي، ثم أقامت محافظة دمياط حفلة تكريم بنت الشاطي باعتبارها من نابهاة المحافظة، بل من أعلامها الكبار، ودعى للحفل فضلاء كثيرون، تحدث علماءهم عن المحتفى بها حديث الصديق الوفي، وأفاضوا في تعداد مزاياها الأدبية وتشعب مواهبها الكثيرة، وكنت أجلس في الصف الأول مع المستمعين، وفي إحدى فترات الراحة هتف باسمي من ناداني لأمر خاص، فطلعت الدكتور إلي وشع على وجهها الابتسام، فرأيت حين أتيت الفرصة أن أشرف بلقائها، فقابلتني بما لا أتوقع من العطف الرقيق، وفسحت بجوارها مكاناً أجلس فيه وخجلت كأنني استشعرت خطا سابقا وقعت فيه، وما هو بخطأ في الحقيقة، فقلت في شبه الاعتذار، لقد كنت صغيراً

يا سيدتي حين تحدثت في الرسالة عن كتاب بطلا كربلاء منذ زمن بعيد، فأشرق وجهها بالإبتسام وقالت في لهجة مرحلة، وكنت أنا صغيرة أيضا، ولا عتاب مع الصغار! قلت إنك كبيرة الفضل منذ عرف الناس قلمك السيال، فطلعت إلي، وأخذت تقول: إني حين تحدثت عن سيدات البيت الفضليات وكلهن من أرفع طراز، أردت أن أقدم للشباب نماذج طيبة من تاريخنا النسوي المجيد، لأن الساحة كانت مليئة بسير المنحدرات من ذوات الاشتهار الكاذب في الفن والأدب المكشوف مع اسراف زائد في تمجيدهن، وكأتهن معجزات الدهر، وكانت سير هؤلاء النابهات من بيت النبوة الكريم لا تكتب الا في مجلات دينية متواضعة الطبع والتوزيع بحيث لا يقرأها إلا نفر محدود من ذوى الإيمان المطنن، وليسوا في حاجة الى تاريخهن لأنهن يطالعونه في صحفهم المحدودة، فرأيت أن أنتقل بالقراء انتقالا إيمانيا، فاتفقت مع دار الهلال أن أكتب في سلسلة كتاب الهلال الشهرية سير هؤلاء الكريمات، وقد لاقى ما كتبت قبولا غير منتظر بحيث تعددت طبعات الأجزاء المنفردة الى حد أدهش القارئ على إصدار كتاب الهلال، ثم رأيت أن أجمع أجزاء السلسلة في مجلد كبير، فكان له من الذبوع ما جعلني أوالى طبعاته، وقد عرفت بتجربتي الذاتية أن القارئ العربي مؤمنٌ شديد الإيمان، وأنه إذا وجد زادا إيمانيا انجذب إليه فليت الذين يجهلون هذه الحقيقة يعلمونها جيدا، وهي حقيقة يعرفها الناشرون تماما فما يكادون يفتقون على أثر ديني لكاتب موثوق به حتى يتهافتوا على نشره مرجحين، ثم اتصلت حلقات التكريم فانقطع الحديث وأنا أشوق ما أكون الى إتمامه، ولكن هذا ما كان.

وقد لاحظت في الشهور الأخيرة قبل أن تنتقل الدكتوراة الى عالم البقاء أنها في مقالها الأسبوعي بجريدة الأهرام الذي يصدر يوم الخميس لا تس الواقع الراهن بتوجيهات نيرة تكون ذات فائدة كبرى إذ تقتصر على شذور من التاريخ الإسلامي البعيد قد تكون في مجموعها مشتهرة، ولولا أسلوبها الأدبي لكانت من الحديث العاد، لاحظت ذلك فتأملت بيني وبين

نفسي، وجعلت أتساءل لماذا لا تغامس الكاتبة الكبيرة واقفنا المعاصر، فتحدث عن تيارات منحرفة تزاحم بها الساحة الصحفية ويتولى كبرها قوم لا يرجون لله وقارا، لماذا تسكت عن أعداء الشريعة الإسلامية الذين يرمجوننا بمقالاتهم المنحرفة، وتخلع عليهم الصحافة اللاهية ألقاب التمجيد، فإذا أراد ناقد ملتزم أن يجادل بالتي هي أحسن، امتنعت الجريدة عن نشر الرد، ولكنها لن تمتنع عن بنت الشاطيء فهي ذات صوت مسموع! كنت أتساءل عن ذلك بيني وبين نفسي، ثم علمت بعد رحيلها الأليم، أنها كانت مريضة لا تستطيع في علتها المتصلة أن تكتب الجديد، فكانت ترسل أجزاء تاريخية من كتاب لها لم ير النور بعد، لتملأ به فراغ الصفحة المسندة إليها كل أسبوع، وأذن فهي معذورة كل العذر، ومهما كان من أمر مقالاتها هذه، فهي أفضل بكثير مما يجاورها من شطحات تصدع الروس، ويكتبها أصحابها مباهين.

إن الفراغ الهائل الذي تركته بنت الشاطيء لن يملأ، فقل من الباحثات الجامعيات من رزق قوة الفكر وحرارة التعبير معا، لأنك إذا وجدت المتخصصة في شؤون الدين منهن، فلن تجد معها بلاغة العرض، وإشراق الأسلوب وإذا وجدت صاحبة الأسلوب البارع فلن تجد لديها الزاد الفكري الدسم الذي كان بعض ما تحوى الرحلة العريضة في سجل مواهبها المتعددة، وقد كتبت جزءا هاما من سيرتها الذاتية في بعض ما أصدرته من مطبوعات، ولكني لم أرجع الى ما كتبت، لأنني أتحدث عن ذكريات خاصة تتصل بي، والذين أفاضوا في رثائها، وهم كثيرون، قد كشفوا كثيرا من جوانب نتاجها الحافل، ولا يزال المجال فسيحا لمن يريد.

الهوامش :

- (١) للسيدة ليبة ترجمة وافية بالجزء الخامس من كتاب النهضة الإسلامية للدكتور محمد رجب البيومي.
- (٢) أحمد حسن الزيات بين البلاغة والقصد الأدبي ص ٨٧ للدكتور محمد رجب البيومي.

نقطة سوداء في تاريخ مشرق

الصراع بين الأمين والمأمون :

قسم الخليفة هارون الرشيد ولاية العهد بين ثلاثة من أولاده أحدهم بعد الآخر، وهم: الأمين وله بلاد الشام والعراق والحجاز، والمأمون وله خراسان، والقاسم المؤتمن وله الجزيرة وأرمينية، ولما تولى الأمر الابن الأول الأمين[*]، حثه وزيره الفضل بن الربيع على أن يجعل ابنه موسى ولياً لعهد بدلا من المأمون، ووافق الأمين بعد إلحاح من الفضل، وبذلك نكت ما قطعه على نفسه من عهد، فأرسل الأمين الى جميع الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم، ولما بلغ ذلك المأمون وبلغه أن الأمين عزل أخاه القاسم عما كان والده الرشيد ولاه من الأعمال، علم أنه يريد خلعه فقطع البريد وأسقط اسمه من الطراز، وبعث الأمين بوفد مكون من ثلاثة أنفار يطلبون من المأمون رضاه بتقديم موسى بن الأمين على نفسه في ولاية العهد فرفض المأمون، وعاد الوفد ليخبر الأمين بامتناع المأمون، واستقرت الأمور لفترة ثم أخذ الفضل بن الربيع يلح على الأمين حتى رضي أن يخلع المأمون، ويباع لابنه موسى بولاية العهد ونهى الفضل عن ذكر المأمون والقاسم في الدعاء لهما على شيء من المنابر، وكان موقف المأمون عندما بلغه أن الأمين خلعه عن ولاية العهد وترك الدعاء له أن منع من وصول البريد إليه ليخبره بخلعه من ولاية العهد حتى لا تثير الناس ضده.

عظمتها، وأخذت المواجهة العسكرية بين الطرفين تنذر بقرب وقوعها، وبالفعل استعد كلا الأخوين الأمين والمأمون للمواجهة فعين المأمون طاهر بن عيسى الخزاعي قائداً لجيشه، والأمين عين علي بن عيسى بن ماهان قائداً لجيشه بطلب من الفضل بن الربيع.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الفضل بن الربيع وزير الأمين، والفضل بن سهل وزير المأمون هما السبب في تأجيج نار العداء بين الأخوين، فالفضل بن الربيع لم يكن يحب المأمون ولا ولايته، والفضل بن سهل يأمل بأن تكون الخلافة للمأمون وأن تكون (مرو) حاضرة الخلافة العظمى لتعود لخراسان



بقلم : عبدالله بن ناصر الحديب

السعودية - الخرج

عهد أبيه فأجابه أهل مكة ونادى داود في البيت الحرام بخلع الأمين وبيعة المأمون، وذهب داود بنفسه الى (مرو) وأعلم المأمون بما تم في الحجاز فسر المأمون، وأقر داود على ولاية الحجاز، وتطورت الأحداث، وأصبحت جيوش المأمون تحاصر بغداد حصاراً شديداً، وعانت بغداد من الجوع والهدم والتحريق وغابت محاسن بغداد بعد أن كانت جنة الدنيا، وكان الأمين قد استعان بالصيادين والشطار والمسجونين من أهل بغداد فكان الشر الذي أصاب المدينة أكثر مما أصابها من العدو المهاجم، واستنفذ الأمين كل وسائل الدفاع وانتهى الأمر بمقتله سنة ١٢٨هـ.

بذلك يُسدل الستار عن ذلك الصراع بين الأخوين، وإن كان الخليفة العباسي هارون الرشيد أراد أن يجعل ولاية العهد لأكثر من واحد من أبنائه سبباً في قوة الدولة العباسية وتماسكها بتعاون أبنائه الثلاثة إلا أن ذلك كان سبباً لتأجيج نيران الصراع بين الأمين والمأمون، والذي انتهى لصالح الأخير، وإذا كان هذا الصراع يعد النقطة السوداء في صفحات تاريخ الدولة العباسية، فإن هذا لا يطمس تلك الصفحات المشرفة في تاريخ تلك الدولة.

(*) الأمين أمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور فهو هاشمي الأب والأم ولم يتفق ذلك لغيره من الخلفاء إلا لطي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما.

في الحقيقة إن الأمين بتعيينه ابن ماهان قد خدم أخاه المأمون من حيث لا يشعر، لأن أهل خراسان لم يسنوا ما عاملهم به علي بن عيسى بن ماهان من إساءة وما تعرضوا له من الفظائع مدة ولايته في عهد الرشيد، فكان تعيينه لحربهم قد أثار في قلوبهم الحقد لرد هذا العدو، علاوة على ذلك فقد كان ابن ماهان يستخف بقائد الأمين طاهر بن عيسى، ووقع القتال بين الجيشين واقتتلوا قتالاً شديداً قتل على أثره ابن ماهان وهزمت جيوش الأمين، فسلم الفضل بن سهل على المأمون بأمير المؤمنين، ووصل هذا الخبر الى بغداد على غير ما ينتظر القوم فانتخب الأمين جيشاً ثانياً أمده بالسلاح والمؤن، وعين عبد الرحمن الأنباري لقيادة الجيش وأوصاه بعدم الاغترار كما فعل ابن ماهان، ولما علم طاهر خرج وهزم عبد الرحمن وكان سبب الهزيمة التي لحقت بجيش الأمين يرجع الى ما حدث فيه من اضطراب بين الجند بعكس جند المأمون الذي كان منظماً وهادئاً، لا تزیده الأيام إلا قوة، ثم أخذ المأمون يوجه قواده للاستيلاء على الولايات والأقاليم، فاستولوا على فارس والمدائن.

وفي تلك الأثناء حصل في الحجاز ما زاد من قوة المأمون، ذلك أن داود بن عيسى كان عاملاً للأمين على مكة والمدينة فلما بلغه ما فعله الأمين من خلع المأمون وأخذه الكتابين اللذين بجوف الكعبة وتمزيقهما جمع حجة الكعبة والقرشيين الفقهاء ويايعو للمأمون، لأن الأمين قد ظلم وقد خرج عن

تهدف هذه الدراسة الوصفية الى تحديد المشكلات التي تعاني منها برامج الأطفال، التي تقدمها قنوات التلفزيون الخليجية لأطفال ما قبل المدرسة سن ٢-٦ سنوات، وذلك من خلال رصد ومتابعة ما تقدمه هذه القنوات ووصفه وتفسيره، مع الاهتمام بتحديد هذه المشكلات بغية مواجهتها، لحماية أطفال هذه المرحلة الهامة من حياة رجال الغد من مخاطرها وأضرارها، خاصة وأن ما نقدمه لهم الآن يحدد شخصياتهم بكل معارفها وقيمتها وسلوكياتهم في المستقبل، كما يحدد طبيعة المجتمع الذي سوف يعيشون فيه[١].

وتشير الدراسات الاعلامية وغيرها الى مكانة التلفزيون في هذه المنطقة ومنذ بدء دخوله في بداية الستينيات كمصدر هام للاعلام والتشويق الاجتماعي والترفيه بين وسائل الاتصال الأخرى[٢]، ويرجع ذلك الى ارتفاع مستوى المعيشة الذي يتيح انتشار أجهزة الاستقبال التلفزيوني وبمعدلات عالية تفوق المعدلات السائدة في الدول النامية عامة والعربية بصفة خاصة، حيث تشير الاحصائيات الى أن متوسط نسب انتشار الأجهزة في المنازل في منطقة الشرق الأوسط يصل الى ٤١٪، بينما نجدها تتزايد بصورة واضحة في دول المنطقة لتصل الى ٨٨٪ في سلطنة عمان و٨٣٪ في منازل دولة الامارات العربية المتحدة، و٦٢٪ في منازل دولة قطر، و٥٨٪ في دولة البحرين، و٤٤٪ في منازل المملكة العربية السعودية، وتؤكد احصائيات المنظمات العالمية والدراسات الاعلامية في هذا المجال[٣]، هذا بالإضافة الى افتقار غالبية دول المنطقة الى وسائل أخرى للتسلية والترفيه، وقد أشارت إحدى الدراسات الى أنه بالرغم من أن معظم الناس تقبلوا برامج التلفزيون يشوق زائد من زاوية التسلية لدرجة أنهم كيفوا نظام حياتهم اليومي ليتوافق مع مواعيد التلفزيون[٤].



المشكلات الاعلامية في برامج التلفزيون الخليجي الموجهة لأطفال ما قبل المدرسة، وكيف نواجهها؟

بقلم: د. محمد معوض ابراهيم

رئيس قسم الإعلام بكلية الآداب - جامعة الكويت

لماذا برامج التلفزيون الخليجي الموجهة للأطفال ما

قبل المدرسة؟

أولاً : لأن الطفل في هذه السن المبكرة يبدأ في الارتباط بالتلفزيون ومشاهدته بانتظام بعد أن كانت مشاهدته عرضية في سن الثانية، حتى أصبحت المشاهدة جزءاً هاماً وأساسياً في حياتهم اليومية، حيث يقضى أطفال هذه المرحلة نصف ساعات يقظتهم اليومية في مشاهدة برامج، كما أن أطفال هذه المرحلة هم أكثر أفراد الأسرة خاصة والمجتمع بصفة عامة مشاهدة للتلفزيون حتى أن الدراسات العلمية تقرر بأن الوقت الذي يقضيه أطفال ما قبل المدرسة يعادل الوقت الذي يقضونه في دور الحضانة أو رياض الأطفال وتشير الدراسات أن الاقبال على التلفزيون من قبل أطفال هذه المرحلة يطغى على الوسائل الاعلامية الأخرى حيث نلاحظ أن ٣٧٪ من الأطفال يستعملون الجهاز بانتظام في سن الثالثة و٦٦٪ من الأطفال يستخدمونه في الرابعة وأكثر من ٨٠٪ من الأطفال يستخدمونه في سن الخامسة وأكثر من ٩٠٪ يستخدمونه بانتظام في سن السادسة، وتشير الدراسات أيضاً أن ٩٠٪ من الأطفال يعرفون التلفزيون حق المعرفة قبل أن يقرأوا أول صحيفة، و٨٠٪ من الأطفال يتعرفون على التلفزيون حتى قبل أن يتعلموا في المدرسة نطق أي كلمة مكتوبة و٦٦٪ من الأطفال يتعودون على المشاهدة قبل أن يذهبوا الى السينما[٥].

ثانياً : يؤكد الخبراء على أنه لم يسبق لأية وسيلة إعلامية أن أثبتت قدرة فائقة في جذب انتباه الأطفال وإثارة اهتمامهم مثل التلفزيون الذي يقدم مشاهد متكاملة تعتمد على الصوت والصورة والحركة واللون، وينسجم طفل هذه المرحلة مع عملية المشاهدة، حيث تثيره اللقطات والمشاهد الحية والصور أو الرسوم المتحركة بألوانها الزاهية وصوتها أو مؤثراتها الصوتية والحانها الموسيقية المقتربة بها، والتي تدل على عمق مشاعرها وأحاسيسها، وبما يزيد من فعاليتها وقربها من مدارك أطفال ما قبل المدرسة، الذين يجدون لذة قصوى في متابعة بعض البرامج التلفزيونية، خاصة وأن الطفل في هذه المرحلة يؤخذ بكل متحرك مرئى أو مسموع، كما يزهو فرحاً بالصور الحية أو المتحركة للأشياء والحيوانات والطيور... الخ، كما تشير الدراسات أن للتلفزيون قيمة خاصة في نقل المعرفة والخبرة الأمر الذي لا يمكن تحقيقه بأي أسلوب آخر ويمكنه أن يساعد الأطفال على تعلم أنواع مختلفة من المهارات أو المراحل التي يمر بها عمل معين[٦] نظراً لمزاياه وخصائصه السابقة وقدرته على تكبير الأشياء المتناهية الصغر وتقديم التفاصيل الدقيقة عن طريق استخدام الصور واللقطات القريبة Close up وتحريك الأشياء الثابتة بقدرة فائقة بصورة سريعة أو بطيئة Slow Motion والتي تعاون في فهم الحركة بدقة واستيعاب مكوناتها[٧]، ويعتبر التلفزيون من

عن ذاته وبما يؤثر على شخصيته، حيث تشكل اتجاهاته وقيمه وسلوكياته وتتبلور تجاربه وفقاً لما يتلقاه^[١١]، ويزيد عدد أطفال هذه المرحلة عن ٢٥ مليون طفل في المملكة العربية السعودية، وأكثر من ٣٠ من المليون طفل في دولة الكويت، وأكثر من ٢٠ من المليون طفل في دولة الامارات العربية المتحدة^[١٢]، ويتميز أطفال هذه المرحلة بعدم تمكنهم من التركيز لفترات طويلة كما أنهم نشطون مفعمون بالحركة المستمرة، يميلون الى اللعب، ولديهم حب استطلاع واسع لمعرفة الأشياء والأشخاص والمواقف، كما يتميزون بقدرتهم على الحفظ وتريد الكثير من الأغاني والأناشيد، ولديهم القدرة على تعلم واكتساب المفاهيم الجديدة والغريبة، ويحتاجون الى الحب والعطف والحنان والتقدير والانتباه والاهتمام والرعاية، كما يحتاجون الى تزويدهم بالاتجاهات الدينية والروحية والشعور بالطمأنينة، والعادات الاجتماعية السليمة في التعامل والتفاعل والحديث^[١٣].

خامساً: سهولة ويسر التقاط الأطفال في الخليج لبرامج محطات التلفزيون الخليجية عامة وبرامج الأطفال فيها بصفة خاصة، حيث لاحظنا أن بث محطات التلفزيون الخليجية يتعدى نطاق حدود دولها الصغيرة المساحة، والمتجاوزة الحدود في امتداد جغرافي متصل لا تكاد تعترضه عوائق طبيعية أو عقبات كالمرتفعات أو الجبال التي تعوق انتشار وصول الموجات التلفزيونية، هذا بالإضافة الى قوة غالبية محطات الارسال التلفزيوني في منطقة الخليج والتي تتميز بقدرتها الهائلة، ويجعلها تكتسب مشاهدين جدداً

أكثر وسائل الاعلام ايضاحاً وقدرة على التفسير والتوضيح لما يتميز به من خاصية الجمع بين الصورة الحية وصوتها وبما يعطى احساساً بالآفة ويزيد من مشاركة الأطفال، ونعلم أنه كلما ازدادت درجة المشاركة كان التأثير كبيراً^[١٤].

ثالثاً: كما تشير ملاحظتنا المنهجية أن المساحات المخصصة لأطفال ما قبل المدرسة تفوق المراحل الأخرى فيما تقدمه القنوات التلفزيونية الخليجية التي تتميز باهتمامها البالغ ببرامج الأطفال حيث تخصص لها مساحات زمنية تعادل ساعات إرسالها في محطات التلفزيون المتقدمة^[١٥]، وينسب عالية ونعلم أن برامج الأطفال تتراوح بين ١١ - ٢٤٪ من ساعات إرسال التلفزيون الكويتي، و١٤ - ١٦٪ من ساعات إرسال قنوات تلفزيون دولة الامارات العربية المتحدة، و١٥٪ من برامج التلفزيون السعودي، وحوالي ١٣٪ من ساعات إرسال تلفزيون سلطنة عمان، وأكثر من ١٢٪ من ساعات إرسال التلفزيون القطري^[١٦].

رابعاً : أن هذه البرامج التلفزيونية تخاطب أهم وأخطر المراحل العمرية التي تسبق تعلم الطفل القراءة والكتابة، وتعتبر فترة تكوين هامة في حياة الأطفال، ففيها يكون الطفل مفهومه

**** أكثر
من ٩٠٪ من
الأطفال
تجذبهم
برامج
التلفاز ***



**** المشاهدون كيفوا مواعيدهم اليومية لتتوافق مع نظام التلفزيون ***

من المحطات التلفزيونية المجاورة وهذا يعني أن برامج المحطات التلفزيونية المجاورة تستقطب نسبة كبيرة من مشاهدي برامج تلفزيون الكويت، ومن هذه القنوات السعودية بنسبة ٢٦٪ وتلفزيون دبي ١٠٪ وأبوظبي ٦٪ والبحرين ٦٪ وقطر ٤٪ وإيران ٤٪ [١٦]، ناهيك عن البرامج الأخرى التي تنتقلها محطات التلفزيون الخليجية على إحدى قنواتها العاملة أو يتم استقبالها عن طريق استخدام الهوائيات مختلفة الأنواع التي تلتقط موجات تلفزيونية لما يقرب من ٩٩ قناة أخرى [١٧] منها ١٦ قناة تلفزيونية عربية بالإضافة الى القنوات الفضائية الأجنبية.

وهكذا تقع المنطقة العربية عامة والخليجية خاصة في نطاق البث التلفزيوني لعدد من أقمار الاتصالات مثل سياسات واليوسات وعربسات وغيرها، وأقمار

في الدول الخليجية المجاورة، وبالتالي يتيح للأطفال اختيارات متعددة من برامج الأطفال فيها، وهذا ما تؤكده الدراسات الميدانية في منطقة الخليج، حيث تشير إحدى الدراسات الهامة في هذا المجال الى أن ما يقرب من ٦١٪ من الأطفال في دولة قطر على سبيل المثال يشاهدون برامج الأطفال من تلفزيونات خليجية أخرى [١٤]، كما قررت نسبة كبيرة من أمهات الأطفال في منطقة الخليج بلغت ٨٣٫٦٤٪ أن أبنائهم يشاهدون برامج الأطفال التي تقدمها محطات تلفزيونية خليجية أخرى [١٥].

وتشير نتائج إحدى الدراسات الخليجية الهامة في مجال دراستها لأنماط وعادات المشاهدة بين عينة الدراسة في دولة الكويت أن ٩٥٪ من مجموع مشاهدي برامج التلفزيون يشاهدون محطة أو أكثر

**** نصف ساعات اليقظة عند الاطفال يقضونها امام الشاشة.** **** الصوت والصورة والحركة واللون عوامل جذب لا يقاومها الطفل.**

البحر المباشر وبالتالي يمكنها استقبال عدد كبير من القنوات التلفزيونية باستخدام الهوائيات السابق الاشارة إليها، والتي يجب توافق مواصفاتها مع مواصفات الاشارات الهابطة من الأقمار الصناعية وكلما زادت قدرة الاشعة أو الاشارات الهابطة من الأقمار الصناعية كلما أمكن استقبالها بهوائيات أصغر[١٨].

وتشير الدراسات الخليجية الى أن هناك إقبالا على هذه القنوات وخصوصا العربية كالقناة الفضائية المصرية والتي جاءت في المرتبة الاولى لمشاهدي التلفزيون في دولة الامارات العربية المتحدة، وفي المرتبة الثانية لمشاهدي التلفزيون في دولة الكويت بنسبة ٧٥٪، بينما جاءت القناة العربية

MBC في المركز الأول في دولة الكويت بنسبة ٩٠٪، والثانية في دولة الامارات العربية المتحدة أما باقى القنوات العربية الأخرى انخفضت نسبة المشاهدة لكل منها[١٩].

وفي قطر بلغ عدد مشاهدي القنوات الأخرى بين ٥٩ و ٧٧٪ كحد أدنى وأعلى على التوالي عند مستوى ثقة ٩٩٪، ومن أهم المحطات التي يشاهدونها تلفزيون دبي بنسبة ٨٩/٨٥٪، وتلفزيون البحرين بنسبة ٨٤/٨٣٪، والتلفزيون السعودي بنسبة ٥٣/٥١٪[٢٠]، هذا بخلاف القنوات العربية الأخرى، والتي بدأت بث برامجها التجريبى في نوفمبر ١٩٩٣م، ومنها قنوات راديو وتلفزيون العرب أول شبكة تلفزيونية عربية متخصصة تقدم حاليا خمس قنوات تلفزيونية منها أول قناة تلفزيونية عربية متخصصة للأطفال وتبث ١٢ ساعة يوميا منها ساعتان ونصف الساعة باللغة العربية والباقي باللغات الأجنبية[٢١]، وكذلك شبكة أوربيت التي أعلنت بدء ارسال قنواتها العشرين في مطلع عام ١٩٩٤م، أما القنوات الأجنبية التي تستقبلها محطات التلفزيون الخليجية وتعيد بثها فمعها القناة الاخبارية الأمريكية CNN والتي بلغ الاقبال عليها في إحدى الدول الخليجية من المشاهدين بنسبة ٥٠٪، والقناة العالمية لتلفزيون هيئة B.B.C البريطانية بنسبة ٢٢٪ من مشاهدي القنوات الأجنبية[٢٢]، ناهيك عن القنوات الأجنبية الأخرى التي يستقبلها المشاهدون في منازلهم من الهوائيات ومنها قنوات التلفزيون الأمريكى ومنها تلفزيون النجم STAR Tv بقنواته الخمس وقناتى التلفزيون الفرنسى والاسرائيلى والهندي ZEE TV

(أ) برنامج الفتح يا سمسم:

ويعتبر البرنامج اكبر انتاج خليجي عربي يوجه أساسا لأطفال ما قبل المدرسة، كما يراعي البرنامج الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ - ٩ سنوات بنسب محددة في حلقاته ويتكون البرنامج من ثلاثة أجزاء ويضم الجزء الواحد ١٢٠ حلقة يستغرق انتاجها عامين وتبلغ مدة الحلقة الواحدة نصف ساعة، ويهدف البرنامج الى الارتقاء بمستوى الطفل الخليجي والعربي من خلال تحقيق العديد من الأهداف والتي تزيد عن أحد عشر هدفا منها ما هو تثقيفي أو تعليمي أو ترفيهي أو ترفيهي ٠٠ الخ، حيث يقدم المعلومات والخبرات المفيدة والمنوعة ويجسد أهدافه من خلال فقرات مشوقة وفعالة ويقف خلف البرنامج ورشة برامج الأطفال التلفزيونية CTW الأمريكية وهي إختصار Children Television Workshop والتي لها خبرتها في انتاج البرامج التربوية للأطفال، ومنها شارع السمسم Sesame street ويخاطب أطفال ما قبل المدرسة في مرحلتى رياض الأطفال والحضانة ويتناول العديد من المجالات كالحساب واللغة والمعرفة العامة والصحة وآداب الحوار ٠٠ الخ، والاخلاق والقيم مستفيدا من النجوم والشخصيات الأمريكية المحبوبة بالاضافة الى ثلاث دُمى متحركة مرحة وهى - Bart Ernest - Kermit هذا بالاضافة الى ليفي من الخبراء والمختصين من التربويين والاعلاميين وأساتذة علم النفس والعاملين في مجالات الانتاج التلفزيوني من معدى وكتاب النصوص التلفزيونية والمخرجين والمصورين والممثلين ومسجلي الصوت وموزعي الاضاءة ومسؤولي الخدمات الانتاجية كالديكور

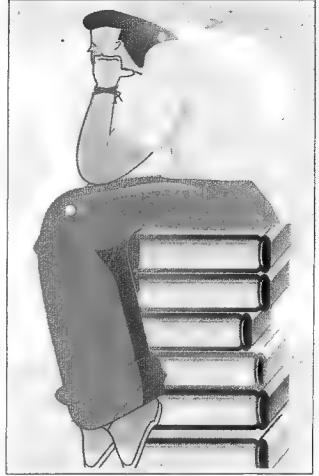
وبالباكستاني وغيرها كثير، والتي يخشى من تأثيرها الذى يطفى على تأثير المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالحضانة أو رياض الأطفال وتهتميش دور الأسرة ٠٠ الخ.

ساسنا: لا تحظى هذه المرحلة العمرية في الغالب باهتمام منتجى برامج الأطفال في دول الخليج العربي لما تتطلبه من إمكانات مادية وفنية وبشرية كبيرة قد لا تتوافر للمحطات التلفزيونية الخليجية منفردة في الوقت الذى تشير فيه التجارب إلى نجاح الانتاج الخليجي المشترك في هذا المجال، ومنه ما قامت به مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي، والتي انشئت بموجب قرار وزراء إعلام دول الخليج العربي في اجتماعهم في ابو ظبي عام ١٩٧٦م وباشرت أعمالها بانتاج برامج مشتركة إذاعية وتلفزيونية تبرز السمات المميزة لشعوب المنطقة وتتعامل مع مشاكلها البيئية والتعريف بترائثها وأمجادها ويطولاتها وتاريخها في مختلف المجالات مع تنمية العلاقات الثقافية بين دول المنطقة [٢٣]، ومقرها الدائم مدينة الكويت، وقد قامت المؤسسة بانتاج أكثر من مائة برنامج غطت العديد من المجالات التعليمية والتربوية والتثقيفية وتعنى في المقام الأول بالطفل الخليجي والعربي، ثم بتوعية الجمهور غير أنها اتجهت في الفترة الأخيرة الى توعية الجمهور بشكل مكثف [٢٤]، ومن أهم انتاجها الذى يخاطب أطفال ما قبل المدرسة «افتح يا سمسم» وأخيرا «افتح يا وطنى أوباك» ونتناولهما بشيء من التفصيل:

في أغلب مشاهد الاستديو، وتؤدي هذه المشاركة الى جذب انتباه الأطفال الى فقرات البرنامج حيث يشاهدون ذاتهم من خلال مشاركة أطفال يقاربونهم عمرا، من جهة أخرى فإن ذلك يؤدي الى تشجيع الأطفال على المشاركة في البرنامج أو أثناء مشاهدته وخصوصا في المواقف التي تتطلب التعبير عن ذاتهم في مواقف الحياة اليومية، من جهة أخرى يسعى البرنامج الى تعريف الطفل الخليجي بانتمااته الخليجية والعربية والاسلامية بطريقة مشوقة يرغب فيها الأطفال ويميلون إليها وتفيد في تعميق قيم الانتماء لديهم واكسابهم الاتجاهات الدينية والروحية من خلال مواقف درامية بسيطة يتمكن أطفال هذه المرحلة العمرية من إدراكها.

(ب) برنامج إفتح يا وطني أبوابك :

وهذا البرنامج يخاطب أساسا أطفال ما قبل المدرسة سن (٣ - ٦) سنوات، وهو عبارة عن مجلة تليفزيونية T.V Magazine متكاملة ومستنوعة المضمون حيث المشاهد الدرامية والأفلام الحية والدمى والعرائس والرسوم المتحركة والأغاني والأناشيد التي تثير اهتمام أطفال ما قبل المدرسة وتجذب انتباههم، وتم التخطيط والاعداد بشكل جيد ومندروس لحقات هذا البرنامج الذي ظهرت أولى حلقاته على شاشات التليفزيون الخليجي اعتبارا من أول العام الحالي ١٩٩٥م، وتم الاستفادة من نتائج البحوث والدراسات التربوية والميدانية التي خطط لها فريق عمل من التربويين وأساتذة علم النفس والاعلاميين والذين تعاونوا جميعا في وضع منهج ودليل عمل واضح على



الفضائيات ألقت متعة القراءة عند الشباب

والملابس والاكسسوار والاثاث والمكياج والمناظر والخطاطين والرسمين وفنني الصوت والمؤثرات الصوتية... الخ. ذلك من متطلبات العمل التليفزيوني ليوظفوا الرسوم المتحركة والمشاهد الحية والدمى والعرائس والأغاني والأناشيد والفقرات التمثيلية وتجسيد وتحقيق الأهداف التي يسعى إليها البرنامج بغية الارتقاء بفكر الطفل الخليجي والعربي، وتغطي حلقات البرنامج أغلب النشاطات والعلاقات الاجتماعية ويثير فضول أطفال ما قبل المدرسة وغيرهم ويلبي احتياجاتهم المعرفية والمهارية والوجدانية.

ولعل من أهم فقرات البرنامج مشاركة الأطفال

**** سبلات برامج الاطفال المشاهدة تفوق اجابياتها. ** التلفاز اذا أحسن استخدامه فانه يكسب الطفل مهارات جديدة. ** البرامج المستوردة تنافى وقيم المجتمع المسلم.**

الحيوان أو في المطاعم أو المطار أو الملاعب أو في البر... الخ. ذلك من أماكن متنوعة، كما تم تحديد صفات الشخصيات بدقة متناهية سواء من حيث العمر أو من الناحية العقلية أو النفسية أو المستوى الثقافي أو المهارات والهوايات أو علاقاتها الاجتماعية وكذلك مظهرها العام... الخ. ولعل أهم ما تهدف إليه حلقات مسلسل برنامج «افتح يا وطني» هو تزويد الأطفال واثارة اهتمامهم بقررات البرنامج وحلقاته المختلفة، وأهم مبدأ تربوي يتبناه البرنامج هو التعليم من خلال اللعب مستفيدا من المواقف الدرامية الهادفة والبسيطة وكذلك الفكاهة بمختلف اشكالها سواء الحركية الممثلة في حركة الوجه على سبيل المثال

ضوء نتائج البحوث والدراسات الميدانية التي استفاد منها الكتاب المتخصصون والمنتجون والمعدون من مختلف أنحاء الوطن العربي وشكلوا ورشة عمل كانت حصيلتها حلقات المسلسل الذي يتكون من ٩٠ حلقة مدة الواحدة نصف ساعة تقدم باللغة العربية المبسطة والميسرة ويغطي نفس أهداف افتح باسمم ولكن بعد تكثيف وتعميق وتطوير عدد من الأهداف التي يسعى الى تحقيقها ومنها الجانب التاريخي والحضاري والروحي.

فمثلا تم دعم الجانب الروحي في المشاهد بنسبة ١٢٪ بعد أن كان ٧٪ في حلقات البرنامج السابق (افتح باسمم) كذلك التركيز على تعلم اللغة العربية بنسبة ١٧٪ والتفكير العلمي وتنظيم الادراك بنسبة ١٥٪ والعلوم بنسبة ١٠٪، وقيم العمل والتعاون بنسبة ٨٪، الوطن العربي (الهدف القومي) ٨٪، مجلس التعاون الخليجي ٧٪، الصحة النفسية والجسدية ٥٪، الهوايات ٥٪، الأمثال والقصص الشعبية ٤٪ [٢٥].

ويشارك في البرنامج عدد متميز من أطفال الخليج وبعض نجوم المنطقة بالاضافة الى الدمى الجديدة التي تم انتاجها بعد دراسة وافية ومفصلة لعدد من الشخصيات والنماذج التي لها علاقة واضحة بالمجتمع والانسان الخليجي بصفة عامة والطفل الخليجي على وجه الخصوص، وتتطور بعض هذه الشخصيات معرفيا وسلوكيا في حلقات المسلسل وتحرك في أماكن مختلفة سواء داخل أو خارج الاستديوهات كما في رياض الأطفال أو في السوق المركزي أو على شاطئ الخليج أو المدينة الترفيهية - أو في الحدائق العامة أو في النوادي أو في حديقة

وترتبط هذه الفكرة ارتباطاً وثيقاً بالانتماء الخليجي والعربي والاعتزاز بلغة الوطن حتى يتسنى للأطفال فهم وقائع مسلسلات الرسوم المتحركة بلغته العربية وإدراك ما يدور فيها من معانٍ من خلال الصوت. وتبدأ العملية بترجمة حوار الفيلم الأصلي الى اللغة العربية نقلاً عن النص الأصلي للفيلم، وإن لم يكن هناك نص مكتوب تتم الترجمة الفورية عن طريق السمع، ويعد أن تتم الترجمة يعهد بها الى معدى وكتاب النصوص البرمجية التلفزيونية لصياغة الحوار بما يتماشى مع موضوع فيلم الرسوم المتحركة ومع النوق العربي والخليجي والاسلامى[٢٨].

سابعاً: تشير الدراسات السابقة أنه حتى منتصف السبعينيات لم تستخدم حكومات المنطقة محطات التلفزيون الخليجية سوى باستثناءات محدودة في توجيه برامج تربية أو تنمية منتظمة الى قطاعات مستهدفة من المشاهدين ومن بينها الأطفال، بينما كان هناك تركيز واضح في تلك الفترة على برامج الترفيه والتسلية وخصوصاً التمثيليات أو المسلسلات والافلام العربية أو الأجنبية الطويلة والتي كانت تشكل نسبة كبيرة من ساعات إرسال التلفزيون الخليجي آنذاك، وبلغت نسبتهما على سبيل المثال ٤٩٪ من وقت إرسال التلفزيون القطري، و٤٢٪ في تلفزيون الكويت، و٣٤٪ في تلفزيون الامارات العربية المتحدة ويتسبب هذا بالإضافة الى عوامل أخرى كثيرة في زيادة نسبة البرامج المستوردة في المحطات الخليجية ولعل هذا يدفعنا لتحديد المخاطر والمشكلات التي تعاني منها برامج الأطفال الخليجية موضع دراستنا.

أو المفاجأة أو التناقض... الخ، أو اللفظية المتمثلة في تريد تعبير ذى إيقاع معين يؤدى الى اضحاح الأطفال بالإضافة الى الإيقاع الحركي والكلمات ذات الجرس الموسيقى كما في الأغاني والأناشيد الجماعية والقصيرة التي تهتم أطفال المرحلة وتثير فضولهم وتؤهبها الشخصيات المشاركة في البرنامج ومنها الدمي التي تتخذ شكل البشر وتتميز بالطرفة والغربة في حركتها أو أدائها الصوتي وكذلك بعض الحيوانات والطيور التي يألها أطفال هذه المرحلة[٢٦]. وهكذا نلاحظ أن البرنامج لكى يؤثر في جمهور الأطفال سن ما قبل المدرسة عرف الرموز والمفاهيم التي يفهمها هؤلاء الأطفال وتجذبهم[٢٧].

(ج) دبلجة العديد من مسلسلات الرسوم المتحركة للأطفال:

وتعنى كلمة DOUBLAGE نقل مسلسلات الرسوم المتحركة من لغتها الأصلية نقلاً كلياً عن طريق إضافة الصوت العربى سواء كان حواراً أو تعليقاً أو مؤثراً صوتياً وغيرها ليناسب أطفال منطقة الخليج العربى وغيرهم من الأطفال العرب،

**** سلوكيات
الطفل
وقيمه
وتجاربه
الجديدة
يأخذها
من الشاشة
بمعيده
عن رقابة
الوالدين ***

**** المجتمع الاسلامي له من القيم والاخلاق ما يختلف عن المجتمعات الاوروبية .. وهذا ما ينبغي تأكيده.**

على مدى الأربع والعشرين ساعة طوال الليل والنهار، وفي الوقت الذي لا تسمح فيه الامكانيات المادية أو الفنية أو البشرية المتمثلة في الطاقات العاملة ملء هذه الساعات بانتاج تليفزيوني جيد، أدى ذلك الى اعتماد تليفزيونات الدول الخليجية بشكل واسع على البرامج المستوردة بصفة عامة، والتي بلغت نسبتها ٨٠٪ في تليفزيون قطر، و٦٥٪ في تليفزيون دولة

المشكلات الاعلامية ماهيتها وأنواعها :

على ضوء الدراسات السابقة ومن خلال ملاحظتنا المنهجية، ومتابعتنا المستمرة لبرامج الأطفال في مختلف المحطات التليفزيونية الخليجية، قمنا بتحديد المشكلات التي تعاني منها برامج الأطفال في هذه المحطات في محاولة لتحديد أبعادها، وكيفية مواجهتها، من أجل تحقيق مستقبل أفضل لدول هذه المنطقة، ويمكن تصنيف هذه المشكلات على النحو التالي:

- ١ - مشكلات خاصة بمضمون الرسالة الاعلامية في برامج الأطفال.
- ٢ - مشكلات خاصة بالقائم بالاتصال، وتنعكس على مستوى برامج الأطفال.
- ٣ - مشكلات ترتبط بمحطات التليفزيون الخليجية كمؤسسات إعلامية تخاطب أعدادا ضخمة ومتباينة، لها أهدافها وسياساتها التي تنبثق من سياسات دول المنطقة.

- ٤ - مشكلات عامة ترتبط بالموقف الذي يحيط بالأطفال أنفسهم خلال متابعتهم لبرامج الأطفال التليفزيونية، وسنحاول تحديد هذه المشكلات بشيء من التفصيل:

(١) المشكلات الخاصة بمضمون برامج الأطفال:

اعتماد المحطات الخليجية بشكل واسع على برامج الاطفال المستوردة: نتيجة لاهتمام المحطات الخليجية بالكم، وتضحيتهم بالكيف في سبيل زيادة ساعات الارسال

الامارات العربية المتحدة، وأكثر من ٥٠٪ في تليفزيون الكويت والمملكة العربية السعودية [٢٩].

من جهة أخرى فإن قلة الانتاج الجيد من البرامج الموجهة الى أطفال ما قبل المدرسة، أو غيابه يفتح الباب على مصراعيه لاستيراد برامج الاطفال، وخصوصا برامج الرسوم المتحركة الأكثر اثارة لاطفال ما قبل المدرسة، والتي يبدأون في مشاهدتها عند سن مبكرة، لأنها محددة تحديدا جيدا، فكل فعل يتم تجسيده في مشاهد حية وصور ملونة تعمل على جذب انتباههم المتذبذب باستمرار عن طريق استخدام

**** العنف والمخدرات والجنس قوادم مشتركة في كل البرامج المستوردة ** البرامج المحلية للأطفال عليها ترسيم الفضيلة في المشاهدين**

الحدث والحركة والمؤثرات الصوتية والموسيقية، وبالتالي تعمل على تركيز انتباههم عليها، وتشويقهم لمتابعها [٢٠:٠] وتشغل برامج الرسوم المتحركة مساحات واسعة من الوقت المخصص لبرامج الأطفال في هذه القنوات التلفزيونية الخليجية، حيث تشير دراساتنا السابقة أنها تمثل ٦٦,٧٪ من مضمون برامج القناة الأولى لتلفزيون المملكة العربية السعودية، بينما ترتفع النسبة فيها خلال الأجازات ونهاية الأسبوع لتصل إلى ٨٥,٨٪، كما تشكل ٧٣,٠٪ من وقت برامج الأطفال في القناة الأولى لتلفزيون الكويت، بينما تقل في الأجازات لتصبح ٦٠,٨٪، بسبب تقديم بعض البرامج المنتجة محليا مثل (مجلة الأطفال)، وتبلغ نسبة

الرسوم المتحركة للأطفال في قناة دبي ٦٤,٧٪، بينما بلغت نسبتها ١٠٠٪ في تلفزيون الشارقة [٣١]، كما تشير الدراسات السابقة إلى أن برامج الرسوم المتحركة تحظى باهتمام محطات التلفزيون الخليجية بشكل واضح لملء ساعات الإرسال ولاشباع رغبات واهتمامات الأطفال الذين يقبلون عليها بصورة كبيرة، وتشير الإحصائيات أن ٨٢,١٪ من أطفال الكويت يقبلون على مشاهدتها، وفي سلطنة عمان يقبل ٩٢,٦٪ من الأطفال على مشاهدتها، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة يفضلها ٣٩,٥٩٪ من الأطفال بشكل دائم، بينما يقبل عليها أحيانا ٥٦,٥٥٪، ونادرا ما يشاهدها ٣,٨٦٪، وفي دراسة أجريت على عينة مختارة من الأطفال الخليجيين في الدوحة قرر ٩٧,٢٦٪ من بين ٤٠٠ طفل أنهم يشاهدون مسلسل رسوم الأطفال المتحركة (السنافر)، و٩١,٣٢٪ منهم يشاهدون مسلسل القرية الليفة، و٧٤,٤٪ منهم يشاهدون رسوم متحركة غير ناطقة وغير مترجمة [٣٢].

مصادر برامج الرسوم المتحركة :

وتستورد محطات التلفزيون الخليجية برامج الرسوم المتحركة الموجهة إلى الأطفال من الدول الصناعية، ومنها اليابان، والولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة البريطانية، وفرنسا، أو من شركات أو مؤسسات الإنتاج التلفزيوني الخاصة في بعض الدول العربية، وتشير الدراسات أن إحدى المحطات الخليجية (قناة دبي) تستورد ٤٢٪ من المملكة المتحدة البريطانية، و٢١,٨٪ من الولايات المتحدة الأمريكية، و١١,٨٪ من فرنسا [٣٣]. وتعتبر الرسوم المتحركة في

والجنس، والعنوان، والخدا، والمغالطات التربوية والخرافات، والأفكار التي تنسم بالزيف والتحريف، كما لا تتضمن نسق قيم متماسك، بخلاف نزعتها الاستهلاكية، كما تتضمن قدرا من القيم غير المرغوب فيها، حيث تقدم نماذج تسعى الى التحطيم والدمار، واستخدام القوة والعنف في تحقيق أغراضها الذاتية، مما يجعل منها أداة سلبية للتكيف الاجتماعي، وتعمل على اضعاف الانتماء الى الوطن ومنطقة الخليج، كما تعمل على توسيع قاعدة الاغتراب في المستقبل القريب، والاغتراب تعبير عن عدم الرضا، والرفض للمجتمع وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان، وأخطره فقدان الذات، ويرتبط بها شعور بالضيق والوحدة وعدم الاحساس بتكامل الشخصية واتزانها، ويخشى من أثرها عليهم، وفقدان ثقتهم بأنفسهم وعدم التزامهم وتسيبهم، وتؤكد الدراسات أن كمية العنف في برامج الأطفال الأجنبية اكبر بكثير بالمقارنة مع برامج البالغين، فكل ساعة من برامج الأطفال تحتوى على ٢٥ فعلا عنيفا بالمقارنة مع خمسة أفعال عنيفة في كل ساعة من برامج البالغين [٣٦]، كما تشير الدراسات أن أفلام الكارتون Cartoon F. تزداد بها مظاهر العنف مع الحيوانات أو الطيور أو حوادث الطبيعة.

للدراسة صلة في العدد القادم بإذن الله تعالى

مراجع الدراسة :

- (١) د. محمد الرميحي، الآباء يملكون الحصرم والأبناء يضرسون، في الطفل العربي والمستقبل، كتاب العربي الثالث والعشرون، مجلة العربي، ابريل ١٩٨٩م، ص ١١.

- (٢) حمدي قنديل وآخرون، شبكة تلفزيون الخليج، تقرير اليونسكو، (استتمل)، ص ١٤

مقدمة برامج الأطفال التي يتم استيرادها ضمن ما تستورده المحطات التلفزيونية الخليجية من برامج أخرى.

خطورة البرامج المستوردة:

يشكل الاستيراد الضخم للبرامج المعلقة أو المستوردة وترجمتها على المدى الطويل تهديدا خطيرا للشخصية الثقافية للدولة التي هي في التحليل النهائي الفرد [٣٤]. وهذه البرامج المستوردة تتضمن مظاهر سلبية كثيرة فأغلب الرسائل المتضمنة في البرامج المستوردة تصور عالما تبدو فيه المخدرات والكحوليات كأمور شائعة ولا يختلف تصوير الجنس عن ذلك كثيرا، وتشير الدراسات التحليلية لضمون برامج التلفزيون في الدول التي يتم استيراد البرامج منها أنه في خلال ٣٦ ساعة من برامج التلفزيون الأمريكي على سبيل المثال كان هناك ١٤٩ رسالة متصلة بموضوع المخدرات، منها ١٢١ رسالة مؤيدة بنسبة ٨١,٢٪، و٢٢ رسالة مناهضة بنسبة ١٤,٨٪، وقيمت ست رسائل منها غير واضحة الدلالة، وتؤكد دراسة أخرى أن قصص العنف تعتبر القاسم المشترك الأعظم بين البرامج الأمريكية، حيث ترد قصص العنف فيها بمعدل ثمان حالات في الساعة الواحدة، كذلك فإن برامج التلفزيون البريطاني B.B.C. تتضمن في الساعة الواحدة حالتين من العنف المثير للمشاعر [٣٥]، وجميعها لها تأثيرها وأضرارها على ثقافة المجتمع.

أما في برامج الأطفال التلفزيونية المستوردة فإنها تتضمن مظاهر سلبية كثيرة، منها زج الطفل الخليجي في متناقضات لا علاقة لها بواقعه أو ثقافته، هذا بالإضافة الى العنف بكافة أشكاله وصوره،

- (٨) د - محمد معوض، المدخل الى فنون العمل التلفزيوني، دار الفكر العربي، ص ١٠.
- (٩) المرجع السابق ص ١٩٢.
- (١٠) د - محمد معوض، برامج الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال عبر القنوات التلفزيونية الفضائية لدول الخليج العربي، الواقع والمستقبل، في ندوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي، العين، جامعة الامارات العربية المتحدة ٨ - ١٠ مايو ١٩٩٤م ص ٧.
- (١١) د - وزارة الاعلام والثقافة، إذاعة وتلفزيون قطر، الكتاب السنوي ١٩٩٢م، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، ١٧٣ - ١٧٨.
- (١٢) د - الاعلام الداخلي بوزارة الاعلام بالملكة العربية السعودية، الاعلام السعودي النشأة والتطور، الرياض، دار القمم للعلام، ١٩٩٢م ص ١١٠.
- (١٣) د - خضير بن سعود الخضير، الاهتمام بالطفل دليل على الرقي، العدد السابع السنة الخامسة، دراسات دولة الامارات العربية المتحدة ١٩٩٤م ص ٢٧٦.
- (١٤) د - منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) مرجع سابق ص ٧٩.
- (١٥) د - سمعية يهادر، من أنا، البرنامج التربوي النفسي لضربة من أنا الموجهة لأطفال الرياض بين النظرية والتطبيق، الكويت، مؤسسة التقدم العلمي ووزارة التربية ١٩٨٣م، ص ١٠٨ - ١١١.
- (١٦) د - وزارة الاعلام بدولة قطر، نمط الاستماع والمشاهدة لبرامج الاطفال في كل من إذاعة وتلفزيون قطر، الشركة الحديثة للطباعة ١٩٨٥م، ص ١١٥.
- (١٧) د - المرجع السابق ص ٢٦٩.
- (١٨) د - وزارة الاعلام بالكويت، إدارة البحوث والترجمة، بحث استطلاع آراء المواطنين في بعض البرامج التلفزيونية، مطبعة حكومة الكويت ١٩٩١م، ص ١٧.
- (١٩) D.J.Jepthenson, Sattelite T.V., (١٧) second Edition, Great Britain, Red-

- سمود دهلوي، الواقع التلفزيوني في منطقة الخليج قبل ظهور الأقمار الصناعية، ورقه مقدمة لنوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي، العين، جامعة الامارات العربية المتحدة ٨ - ١٠ مايو ١٩٩٤م ص ٧.
- (٢٠) Berwanger, Dietrich, Television in (٣) the third world, New Technology and social
- منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) وضع الاطفال في العالم ١٩٩٢م، عمان، المكتب الاقليمي للشرق الاوسط وشمال إفريقيا، ص ٧٩.
- (٢١) د - سمير محمد حسين، الاعلام التلفزيوني الخليجي والتنمية الشاملة، عدد ١٣، سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونية، الرياض، جهاز تلفزيون الخليج، ١٩٨٨م، ص ٢٩.
- (٢٢) د - ولبشرام وآخرون، التلفزيون وأثره في حياة أطفالنا، (مترجم) المؤسسة المصرية للتأليف والانتباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م ص ٤٧ - ٤٨.
- (٢٣) د - عبد الفتاح أبو معال، أثر وسائل الاعلام على الطفل، ط ١، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٩٠م ص ٤٧.
- (٢٤) د - نواف عويان، الطفل والتلفزيون، عدد [٢] الاذاعات العربية، اتحاد الاذاعات العربية، ١٩٩٠م، ص ٥٧.
- (٢٥) د - ابراهيم إمام، الاعلام الاذاعي والتلفزيوني، ط ٢، دار الفكر العربي ١٩٨٥م ص ٢٣٠.
- (٢٦) د - اتحاد إذاعات الدول العربية، برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون، حلقة دراسية، عدد ٧، سلسلة دراسات وبحوث إذاعية، القاهرة، مؤسسة روز اليوسف.
- (٢٧) د - سمير محمد حسين، مرجع سابق ص ٧٠ - ٧١.
- (٢٨) Berwanger Dietrich, Low cost film (٧) and T.V. Production in Developing countries, Germany, FES, 1976, PP. 202 - 203.

الثاني العام الجامعي ١٩٩٤/٩٣ (مسجل على شريط كاسيت).

(٢٦) مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك، برنامج افتح يا وطني أبرار، مواصفات الشخصيات ومسرح الأحداث، يوليو ١٩٩٣م.

(٢٧) Michael Kunczik, Communication and social change, Germany, FES, 1991, P.27.

(٢٨) د. جيهان رشتي، التنسيق والتعاون في مجال التلفزيون عالميا وعربيا، عدد ٦، سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونية، الرياض، جهاز تلفزيون الخليج ١٩٨٣م، ص ٧٤.

د. محمد معوض - فنون العمل التلفزيوني، دار الفكر العربي، ص ٩٣ - ٩٤.

(٢٩) Michael Kunczik, op., Cit., - P.214

Berwanger Dietrich, television in - the third world op/, Cit., P. 56.

(٣٠) جون كوندري، سارق الوقت التلفزيوني والطفل الأمريكي مجلة الثقافة العالمية العدد ٦٦ السنة الحادية عشرة، سبتمبر ١٩٩٤م، ص ١١٩.

(٣١) د. محمد معوض، برامج الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال عبر القنوات التلفزيونية الفضائية لدول الخليج العربي، مرجع سابق ص ٢ - ٣.

(٣٢) سعود دهلوي، مرجع سابق، ص ٨.

(٣٣) د. محمد معوض، برامج الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال عبر القنوات التلفزيونية الفضائية لدول الخليج العربي، مرجع سابق.

(٣٤) د. ابراهيم إمام، مرجع سابق ص ١٨٥.

(٣٥) د. عبد الله الشبيلي، نحو إعلام أفضل، ط ١، الرياض، مطبعة سفير ١٩٩٢م ص ٢٧٥.

(٣٦) جون كوندري، مرجع سابق ص ١١٩.

د. محمد معوض ود. ياسين الياسين، موقف المشاهدين في دولة الكويت من القناة الفضائية المصرية بعد التحرير، دراسة ميدانية، الرسالة ٩٨، الحولية ١٠، ١٩٩٤م - ١٩٩٥م ص ١٩.

(١٨) الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي بالتعاون مع كلية الهندسة جامعة الملك سعود، البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في دول مجلس التعاون، مطبعة الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجية، ١٩٩١م، ص ٦١.

د. سعد ليبي، العرب وأقمار البث التلفزيوني المباشر، عدد ١٤، سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونية، الرياض، جهاز تلفزيون الخليج ١٩٩٠م ص ٣٠.

(١٩) وزارة الاعلام بالكويت، إدارة البحوث والترجمة مرجع سابق ص ١٧.

(٢٠) وزارة الاعلام بدولة قطر، مراقبة بحوث المستمعين والمشاهدين، بحث نمط الاستماع للبرنامج الانجليزي ومشاهدة القناة ٣٧ من إذاعة وتلفزيون قطر للناطقين باللغة الانجليزية، دراسة ميدانية، نوفمبر ١٩٨٥م ص ٤٥ - ٤٦.

(٢١) حوار مع الشيخ صالح كامل، مجلة الوطن ٣ ديسمبر ١٩٩٤م.

د. حمدي قنديل محاضرة عن المؤتمرات الثقافية لوسائل الاتصال الحديثة سلبا وإيجابا في المنتدى الفكري الثاني لدول مجلس التعاون الخليجي، الكويت، مساء ١٣ ديسمبر ١٩٩٤م.

(٢٢) د. محمد معوض ود. ياسين الياسين، مرجع سابق ص ٦٥ - ٦٦.

(٢٣) مكتب التربية العربي لدول الخليج، دليل المنظمات والهيئات الخليجية المشتركة، الرياض ١٩٨٢م ص ١٨.

(٢٤، ٢٥) مقابلة مع السيد عبد الوهاب سلطان، مدير عام مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك مع طلبة قسم الاعلام كلية الاداب جامعة الكويت، الفصل الدراسي



احصاء أدبية

رواج الفش على شاشة الدش!

قال ابن الشاطر [١]: جرى ذات يوم نقاش جاد وجدال حاد بيني وبين أستاذي الرياضي الفلكي نصير الدين الطوسي [٢] في مرصده بمراغة وسط حشد من الفلكيين المسلمين والهنود والصينيين، عندما تقدمت بجذازات بحثي [٣]، وأعلنت أمامهم حقائق جديدة ونتائج مفيدة بأدلة عديدة [٤]:

وإن كـبـير القـوم لا علم عنده
صغير إذا التفت عليه المحافل!

وقلت : الأرض كوكبٌ صغير وليست نجماً .
والأرض تتحرك وليست ثابتة بل تدور حول
الشمس .

وأنا الفرخ أقول: إن الأرض تدور رغم أنفك وأنف
البيروني وأنف أمير خوارزم! أو تظن أن الأرض
راسية في قعر الكون ثابتة لا تتحرك يا أبا جعفر!
فاستشاط غضباً، ثم قام فتوضاً، وأطرق هنيهة حتى
سكت عنه الغضب .

والأرض تشبه الكرة أو البيضضة، ولها تابع يدور
حولها وهو القمر!

فانبرى لي أستاذي نصير الدين يرشقتني بسهام
أسئلته، ولذعني بلهيب تعليقاته ليقتنعني بأن الأرض
ثابتة ثبات الشم الراسيات، ثم قال:

فقال : لقد شويشت أفكاري، وأثرت أعصابي،
فاتنتي بدليل من التنزيل الحكيم .

يا بني، إن الأرض لا تدور، وإذا كانت تدور
فكيف يمكن أن يرجع طير الى وكرة؟!

قلت : سبحان الله يا أبا جعفر، كأنك لم تسمع
بقول الله تعالى: {وكل في فلك يسبحون}[٧] .

قلت : هذا رأي أستاذك أبي الريحان البيروني [٥]،
وقد نسي أن دوران الأرض يدير كل ما عليها، فكأنها
بالنسبة الى ما عليها ساكنة لا تدور .

قال : إله اكبر، كأنني لم أسمع بهذه الآية إلا
الساعة، وكان أبا الريحان البيروني لم يقرأها بعد!

قال : أو تسفه رأي أبي الريحان البيروني، وهو من
علمت علماً ونبوغاً، وأتت مازلت فرحاً لم يتم عذارك [٦]
ولم يشتد عودك؟!

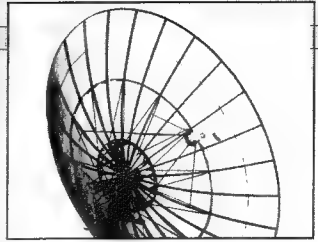
قال ابن الشاطر: فلما انفض المجلس طلب مني
أستاذي الطوسي أن أصحبه مع أبي البقاء
العكبري [٨] في رحلة الى أبي الريحان البيروني في
الهند للتثبت من نتائج بحثي، وبعد أيام أعددنا الزاد
والخيل وانطلقنا من خوارزم الى الهند، والشيوخ
العكبري يحدثنا، ويقص علينا، ويشنف أذاننا بروائع
المتنبّي حتى وصلنا الى دار أبي الريحان فاستقبلنا

قلت : إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه، فلا تعيرني،
وأنت الذي تكرر على مسمعي كل يوم:
تعلم فليس المرء يولد عبداً
وليس أخوه علم كمن هو جاهل!



بقلم: د. أحمد عطية السعودي

- الأردن -



لا يسمع عشر بيضات؟!

قال : ليس طبق أكل يا جائع، بل طبق يلتقط الصور والأخبار التي تبثها الأقمار، ولكل قمر صناعي مدار كقمار الروس والفرنسيين والإنجليز وعربسات!

قلت : من هم عربسات يا أبا الريحان ؟!

قال : يا شاطر ، العرب ثلاثة أقسام : عرب عاربة، وعرب مستعربة، وعرب سات!

أما العرب العاربة والمستعربة فأهل الكرم والنخوة، والحق والقوة ، والمجد والعزة .

وأما عربسات فهم قوم قريظ بن أنيف [١٠] الذين قال فيهم:

لكن قومي وإن كانوا نوى عند

ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة .

ومن إسائة أهل السوء إحساننا
فليت لي بهم قسواً إذا ركبوا

شدوا الإغارة فرساناً وركباناً!

وسات من السبات، وهو النوم العميق . وفي رطانة العجم تعني: المتفرغ للهو والمتعة الذي كسر قلعه ورمى سيفه، وإذا ما استنهضت همته ترنح وتبطح وترنم مع النواصي:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء

وداوني بالتى كانت هي الداء

قال العكبري: لم لا يكونون متوحدنين متعاونين متآلفين، ولسان حالهم في المشهد والمغيب:

إننا إذا اشتد الزمان

ونساب خطب وأدبهم

واكرمنا، ثم سأل الطوسي عن كروية الأرض ودورانها، فقال أبو الريحان: لله دركم، لقد حسمت هذه المسألة، وأصبح العالم قرية بالدش وأنتم في لقط ودش!

قال الطوسي: كيف أصبح العالم قرية؟ لقد أعظمت الفرية ٠٠ إننا نراه واسعاً شاسعاً لو سار فيه جواد لما قطع نصفه في مائة سنة.

قال : بالدهش يا أبا جعفر، ألا تعي ما أقول؟!

فهاب أبو جعفر أن يسأل أستاذه عن الدش، وأثر أن يصمت ويسمع.

فقلت : وما الدش يا عمي؟! فنظر إلي متعجباً من جرأتي عليه رغم صغر سني، والتفت الى الطوسي: من هذا الولد الصغير يا أبا جعفر؟

قال: هو تلميذي الفطن الذكي الملحاح الجريء الذي سميت ابن الشاطر لفرط نباهته وشطارته!

قال أبو الريحان: يا شاطر، الدش جمعه دشات، ويدلع (دشدوش) أو (الستلايت البشوش) . وهو طبق كبير يلتقط الموجات من الأثير، ويحولها الى صوت وصورة، فكذلك ساعته في بخارى أو المنصورة أو عند ملك في مقصورة أو بين يدي عالم خبير في أمريكا أو بلد شكسبير [٩] .

قلت : ما تعني يا عمي بأمريكا وشكسبير؟!

قال : أمريكا بلد اكتشفه رجل عربي اسمه الأمير «كا» فسمي باسمه، أما شكسبير فرجل عربي اسمه للشيخ زبير هاجر الى لندن فحرقوا اسمه، وحلقوا رأسه، وسرحوا شعره فاشتهر فيهم بالمسرحي!

قلت : كيف يكون العالم بين يديك مجموعاً في طبق

الفيت حول بيوتنا

عند الشجاعة والكرم؟

قال : يا أبا البقاء، أنت شارح ديوان المتنبي، وأوعى الناس بما فيه، ألم يَمْرَبْ قوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

قلت : يا عمي، يا أبا الريحان، أرنا تنظر إلى الدش ففسر ونبش، فلخذنا إلى غرفة مجاورة فلما رأيته:

لم أدر جني سباني أم بشر
أم شمس ظهر أشرفت لي أم قمر

قال أبو جعفر الطوسي: ما شاء الله، هذا هو السحر الحلال، والابداع الباهر تستحضر به صور الناس من كابل أو مكناس أو بكين أو تكساس، ولكن بأي شيء تقلب هذه المحطات يا أبا الريحان؟

قال: بالريموت كونترول ! قال: أهو اسم ملك الجن؟! قال: كلا يا أبا جعفر، بل اسم جهاز صغير يتحكم بالقنوات الفضائية طوع أصابعك ورهن مزاجك، ومشتهى آمالك وبه تنعم حياتك ولسان حال الريموت يدعوك:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى!

قلت : يا عمي، أيسيل من القنوات الفضائية ماء يشرب منه الناس ويسقون دوابهم؟

قال : بل يسيل منها صديد الفاحشة، وقطران الخلاعة، وسُمّ الإلحاد والانحلال إلا بعضها فإنك واجد فيها ما يغذي الروح، ويشحذ الهمة، ويطي الصروح، وقليل ما هي.

قال أبو جعفر: إنها إنن مُفسدة للعيش، ومذلة للنفس، ومجلبة للبؤس، وقد:

نل من يغبط النليل بعيش

رب عيش أخف منه الصمام [١١]

قال أبو الريحان : رويدك أبا جعفر، فلو سمعت المخدوعون بالدش لا تهموك بالرجعية والظلامية والكلاسيكية والتطرفية والتخلفية والذكتاتورية والمخوخية!

قال أبو البقاء العكبري: الآن فهمت ما استصعبت من شعر المتنبي وتبين لي أن هذه الرائية على لسان الدش:

إني لأشرفني أرجاء قرطبة

سُمي وبالصين أخزى بنت يغبورا
أزودت تلك وهذي غير مكتوث

في ليلة قبل أن استوضع النور
ولا يراني جني ولا بشر

إلا وغارته كسلان مثبورا
أمتع العرب إفساداً لنفسوتها

والروم والتürk والأكوخ والدورا [١٢]

قال أبو الريحان : إلا تكف هذه الفضائيات عن الغش والخداع فسيكون مصيرها كبقرة الغشاش الطماع!!

قلت : وكيف كان ذلك؟

قال : زعموا أن رجلاً طماعاً كانت له بقرة، وكان يطلبها كل يوم، ويمنق [١٣] لبنها بماء كثير ويبيعه للناس غاشأ لهم، وذات ليلة دهم سيل غزير فجرف البقرة وأهلكها، وفي الصباح لم يجد الرجل بقرته، فطفق يفتش عنها، فقالت له ابنته الصالحة: عد يا أبت لقد أغرقها الماء الذي تمذقه بالبن!

قال أبو جعفر: ما أدري ولست إخال أدري كيف يبيع الولدان لأولادهم المراهقين، وبناتهم العرائس أن يتابعوا العروض السخيفة، ويشاهدوا المناظر المنكرة واللقطات الخليعة؟!

أبو جعفر رياضي فلكي، أشرف على عبد من الملكين المسلمين والهنود والصينيين، وحجرت كتب المتوسطات، وصنف في الجبر والمقابلة، ت ٦٧٧هـ.

(٣) جذاذات: جمع جذاذة، وهي قطعة الورق التي تشبه بطاقات البحوث.

(٤) عديدة: بمعنى كثيرة وليمت هنا بمعنى معدودة أو قليلة، أجاز ذلك مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٥) أبو الريحان البيروني:

فيلسوف ورياضي وفلكي ومؤرخ، من أهل خوارزم، أقام في الهند، وله جهاز في تقدير الثقل النوعي، ألف «تاريخ الهند» والاستيعاب في صناعة الأسطرلاب». قال عنه المستشرق الألماني، ادور سخاو: إنه أعظم عقلية عرضها التاريخ، ت ٤٤٠هـ.

(٦) عذار الغلام: جانب لحيته (ج) عذُر.

(٧) سورة يس/ آية ٤٠.

(٨) أبو البقاء العكبري: عبد الله بن الحسين، لغوي نحوي له «شرح ديوان المتنبي» وإملاء ما من به الرحمن من إعراب القرآن، ت ٦١٦هـ - ١٢١٩م.

(٩) شكسبير: شاعر إنجليزي مسرحي، له مكبث، وهملت، وتاجر البندقية، والملك لير وغيرها، ت ١٦١٦م.

(١٠) قريظ بن أنيض :

شاعر إسلامي، أغار على إبله الثلاثين ناس من بني شيبان فأخذوها فاستجد قومه قلم ينجده، فأتى مازن تميم فركب معه نفر فاطردوا لبني شيبان مائة بغير فندعوا إليه فقال هذه الآيات ومطلعا:

لو كنت من مازن لم تستحيح إبلي

بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان!

(١١) الحمام : الموت.

(١٢) جرى تغيير في بعض كلمات الآيات، وهي ليست للمتنبي. يفيور: لقب ملك الصين. (انظر أصل الآيات في رسالة الغفران، تحقيق علي شلق، ط ١/ ١٩٧٥ ص ١٢٤).

(١٣) مدق : اللبن والشراب بالماء : مزجه وخلطه.

(١٤) هذه الآيات لأبي العتاهية. أصل البيت الأخير: خير من الساعات في ...

قال أبو البقاء: لا عجب، فقد قال فيهم المتنبي: من يهن يسهل الهوان عليه!

قلت : يا أستاذ، هل جبل هذا الدش على الفساد، فلا مجال لإصلاح أو اجتهاد؟

قال : إذا صلحت نفوس القائمين عليه طاب وأثمر وأنتج وأزهر، وإن فسدت فقد اتسع الخرق على الراقع، وهلك الراعي والراعي، وأثم الرائي والسامع، ثم أنشد:

تمست حضارة أمة قد أسلمت

للفاجرين عنانها للقياد!

قال أبو البقاء: والله ما الهند لي بدار، ولا الدش لي بجار، وإنني عازم على الفرار، وعندي رفيف خفيف يز يابس

تلكاء في زاوية وكسور ماء بارد

تشريه من مسافيه وغرفة ضيقة

نفسك فيها خاليسه خير من الدشات في

ظل القصور العاليه [١٤]

قال أبو الريحان البيروني: إذا رجعت الى خوارزم فالتمسوا كتابي «الاستيعاب في صناعة الأسطرلاب» فإنني سأؤشحه بذيل جديد جذاب أشهى للعاقل من الرضاب، وسأجعل عنوانه: «رواج الغش على شاشة الدش»!

الهوامش :

(١) ابن الشاطر: فلكي شهير، قال بدوران الأرض حول الشمس، وأخذ عنه كوبرنيكس، كان يعمل في جامع دمشق في ١٣٥٠هـ، وقد أفاد من آراء نصير الدين الطوسي.

(٢) نصير الدين الطوسي:

لغتنا الجميلة .. أين هي من الإعلام؟!

«خطؤكم في رميكم أهون علي من خطئكم في كلامكم»

ثمة أخطاء لغوية يقع فيها الأساتذة المتحدثون في البرامج بشتى أنواعها ومجالاتها المسموعة منها والمرئية.. لا سيما عندما تصفي الى المقابلات الأدبية عبر وسائل الإعلام المختلفة تسمع تخبطاً لغوياً، وكذلك ترجمة الأفلام الأجنبية.. حيث المئات من الأغلط التي (تصم الأذان) كما يقولون. بله سقم الترجمة في أحيان كثيرة حيث لا يفهم منها شيء، إضافة الى ركاكة لغتها وفسولتها.

يؤكد ذلك وجود عدة مؤلفات في المكتبة العربية حول الأغلط في الإعلام المقروء ورغم ذلك نجد الاغلط مستمرة، بل دائمة.

ناهيك أنه يكرر الخطأ عشرات المرات، وكما في قوله «حالة الطقس» وفي كل صحيفة نقرأ - على الأغلب - «الطقس هذا اليوم» ويقصد به حالة الجو، (والطقس) غير صحيح - لأنه لا يوجد جذر في اللغة العربية في الحروف الثلاثية (ط ق س)، ويتصل بهذا الخطأ، خطأ آخر، يستعمل كثيراً وهو (الطقوس)، فنقول: الطقوس الشرقية أو الطقوس الدينية، ونقصد به الشعائر أو العادات أو التقاليد، فكلمة «الطقوس» غير صحيحة، والصواب أن نقول: التقاليد أو العادات الشرقية والشعائر الدينية، وجاءت كلمة

ومن تلك المؤلفات : كتاب صدر في أواخر القرن الماضي بمنوان: «مفالات الكتاب ومناهج الصواب» بقلم الأب جري جنن البواسي - مطبعة القديس بولس - حريصا (لبنان) - دون تاريخ. وكتاب «إصلاح الفاسد من لغة الجرائد» المطبوع في نهاية الربع الأول من هذا القرن (تأليف: محمد الجندي - مطبعة الترقى) ..

وما نلاحظه من خلال متابعتنا للشاشة الصغيرة - التلفزيون - كما في قول المذيع «الأرصاء الجوية» خطأ، والصواب: أن نقول الرصد الجوي،

بقلم: عبد الحميد غزي بن حسن - سوريا

وهذا «السوى» من الكائنات. وهذه الألفاظ «الغير» مفهومة. والصواب أن يقول: «وسوى هذا من الكائنات» وهذه الألفاظ غير المفهومة، ويدخل في هذا النوع من اللفظ تعريف لفظ «بعض». فإنها لا تعرف على الإطلاق.

- استخدام «لام» الاختصاص والملك في غير موضعها يؤدي الى ركاكة وضعف في تركيب الجملة اللغوي، وقد كثر ذلك في السنوات الأخيرة، حتى بات نتيجة التكرار والتواتر، وكأنه صواب. وصحيح (لام) الاختصاص في قولنا: «الجنة للمؤمنين» على سبيل الاختصاص. وصحيح (لام) الملك في قوله سبحانه: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} على سبيل الملك [٣].

- ونغلط حين نقول «في السن المبكرة للطفل»، فالأصح أن نقول «في سن الطفل المبكرة» فلفظ «المبكرة» هو صفة لكلمة «سن» ويجانبون الصواب عندما يقولون في نشرات الأخبار: «جرى ذلك إثر قتل الجنود الإسرائيليين لاثنتين من الفلسطينيين» وكان يجب أن يقال: «١٠٠ اثنين من الفلسطينيين» لأن كلمة «اثنتين» هي معمول المصدر المضاف الذي يعمل عمل الفعل المبني للمعلوم، فهي إذناً «مفعول به».. ولا سيما عندما يعدي بعض المذيعين (فعل قرض) الى مفعول، فيقولون: قرضت فلاناً مبلغاً من المال، وهذا غير صحيح، وصوابه: أقرضت فلاناً مبلغاً من المال.

- ويكثر اللفظ في فتح همزة «أن» أو كسرهما، وهي واجبة الفتح في المواضع التالية:

الشعائر: المقصود بها: أعمال الحج، أو كل ما جعل علماً لطاعة الله، أو ما ندب الله إليها وأمر القيام بها. قال تعالى في سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ} [١]، والأخطر في ذلك، ومن باب التسلية اللغوية في حياتنا اليومية، حيث راجت هذه الأيام، كلمة (سفاري) لتدل على هذا النوع من ملابس الرجال، وقد جاعتنا هذه الدرجة - أي الموضة - من بلاد الغرب، لأن هذه الكلمة تطلق هناك بمعنى رحلة الصيد، وأصلها العربي واضح كل الوضوح، والذاهب الى رحلة الصيد يرتدي زياً خفيفاً، فانتقلت لفظة «سفاري» من الرحلة الى دلالة الملابس التي نراها اليوم. وكذلك كلمة «دير» الأثرية التي لا نزال نجد تضبطاً في جمعها من «أديرة» والى... الخ، والصواب «أديار».

وإضافة الى ما سبق، من الأغلاط الشائعة في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية:

- جاء «نفس الرجل»، ورأيت «ذات المرأة».

فقد استعمل لفظاً «نفس» و«ذات» للتوكيد في غير سياقهما الفصح الصحيح، ذاك أن لفظ التوكيد المعنوي: «جميع - نفس - عين - كل... الخ» ينبغي أن يرد بعد الاسم المراد توكيده أولاً، ويشترط ثانياً لإقامة التوكيد بهذه الألفاظ أن تضاف الى ضمير يعود على المؤكد ويناسب [٢]، فيقال: جاء الرجل نفسه» و«رأيت المرأة ذاتها».

- إن كلمتي «سوى» و«غير» هما من أدوات الاستثناء، تردان هكذا دون إدخال «ال» التعريف عليهما، واللفظ الصراح في تعريفهما، كأن يقال:

بعض المذممين قصروا قامة لغتنا الفالدة باخطائهم

٢ - وثمة مواضع أخرى، كأن تأتي في أول الجملة المضاف إليها ما يختص بالجميل نحو «جلستُ حيث إن زيدا جالس» أو أن تقع قبل اللام المعلقة نحو «والله يعلم أنك لرسوله»[١٥]، أو أن تقع محكية بالقول نحو «قال إني عبد الله»[١٦]، وأن تقع جواباً للقسم كقوله تعالى: «حم والكتاب المبين إنا أنزلناه»[١٧]، وأن تقع خبراً نحو «زيد إنه فاضل».

٣ - وليس من ضوابط في الإعلام المسموع أو المرئي لضبط هذه الهمزة، فقد يكسرونها حيث ينبغي أن تفتح كقولهم «وأضاف إن» وقد يفتحونها حيث ينبغي أن تكسر كقولهم «قال أن».

والسؤال الذي يلوح في الأفق:

«من أين تتسرب الأغلط إلى وسائل الإعلام؟!»

(١) لا بد من الإقرار بأن شمة ضعفاً عاماً، في مستويات الدراسة، في اللغة العربية، يتجلى في النحو والصرف والبلاغة... والإملاء... واللغة ذاتها. وهذا يرجع إلى قلة الحصيلة العلمية عند المعلمين أنفسهم.

(٢) الترجمة الرديئة، واحدة من مجالات الإسهام الواسعة في الأغلاط اللغوية، نتيجة ذلك تسربت تراكيب إلى اللغة العربية، هجينة تماماً، من مثل قولهم: «كلما كثر الغيم، كلما كثر المطر» ومعروف أن «كلما» المصدرية الظرفية، لا تحتاج إلى تكرارها في الجواب مرة ثانية، قال الشاعر:

كلما أنبت الزمان قناة

رغب المرء في القناة سنانا

ولتلافى تلك الأخطاء ينبغي علينا أن نحسن استخدام اللغة وفق أصولها وقواعدها وبشيء من

١ - أن يكون المصدر المؤول منها ومن معموليها محل للإعراب: الفاعل «أو لم يفكهم أنا أنزلناه»[٤] أي: إنزلنا، أو نائب الفاعل «قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن»[٥].

٢ - أن تقع مفعولاً لغير القول (ولا تخافوا أنكم أشركتم بالله) [٦].

٣ - أن تقع في موضع رفع بالابتداء (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) [٧]، أو أن تقع في موضع الخبر «اعتقادي أنك فاضل».

٤ - أن تكون مجرورة بالحرف (ذلك بأن الله هو الحق) [٨] أو أن تكون مجرورة بإضافة (إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) [٩].

٥ - أن تقع تابعة - على سبيل العطف أو البديل (أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين) [١٠].

٦ - أن تقع بعد «لولا» و«لو» و«إلا» نحو «لولا أنك تعمل لاحتجت الآخرين» و«لو أنه عمل لتصدى لل فقر» و«تعجبني أخلاقه إلا أنه كثير النسيان» [١١].

- ويجب كسر همزة «إن» في المواضع التالية:

١ - في ابتداء الكلام (إنا أعطيناك الكوثر) [١٢]، وأن تقع في أول الصلة (وأتيناه من الكوثر ما إن مفاتيحه لتتواءم) [١٣]، أو في أول الصفة «مررت برجل إنه فاضل» أو في أول الجملة كقوله تعالى: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) [١٤].

٣ - عرض ترجمات الأفلام والتمثيليات والبرامج الأجنبية، على المراجعين المدققين اللغويين قبل طباعتها وتسجيلها على الأشرطة، على أن يكون هذا شرطاً لشرائها أو مبادلتها [١٩].

٤ - إصدار نشرة بأهم الأغلط مع تصويبها .

وتعميمها على العاملين الرئيسيين في الإذاعة والتلفزيون .

الهوامش :

- (١) سورة المائدة - الآية / ٢ .
- (٢) «شذور الذهب في معرفة كلام العرب» لابن هشام - شرحه محمد محي الدين عبد الحميد - مصر الجديدة - يوليو ١٩٤٨م ص ٤٤٢ فما بعد .
- (٣) «أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد» تأليف: سعيد الخوري الشرتوني - مطبعة اليسوعية - بيروت - سنة ١٩٨٩م .
- (٤) سورة العنكبوت / ٥١ .
- (٥) سورة الجن / ١ .
- (٦) سورة الأنعام / ٨١ .
- (٧) سورة فصلت / ٣٩ .
- (٨) سورة الحج / ٦ .
- (٩) سورة الزاريات / ٣٣ .
- (١٠) سورة البقرة / ٤٧ .
- (١١) «الواضع» محمد زرقان الفرخ ص ١٨٠ .
- (١٢) سورة الكوثر / ١ .
- (١٣) سورة القصص / ٧٦ .
- (١٤) سورة الانفال / ٥ .
- (١٥) سورة المنافقين / ١ .
- (١٦) سورة مريم / ٢٠ .
- (١٧) سورة النحان / ١ .
- (١٨) «الجزيرة» العدد ٨٢٧٦ لعام ١٩٩٥م .
- (١٩) «الفة العربية الفصيحة في العصر الحديث» تأليف: سمر رويحي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٩٣م .

الدقة، والسطوع بجمالها وحقيقتها، لأن ما يقال ويكتب ينشر ويقرأ وإن يكن في دائرة ضيقة، فيتسرب إلى سلائق الأجيال وألستهم، بإسفافها وأخطائها واضطرابها . من جهة، ونحن المربين والكتاب والمذيعين ومقدمي البرامج وعلى خشبة المسارح . علينا أن نقدم لغة سليمة، نتحرى صفاها ونبتعد عن الأخطاء الشائعة . لأن اللغة بحد ذاتها وعاء الفكر، والفكرة النقية يجب أن تقدم في وعاء نقي . والواجب لا يقتضي الاكتفاء بالثقيف الشخصي، بل يتعداه إلى تثقيف اللغة، وذلك بعدم التساهل في حق اللغة، وعدم الرضا بإلقاء الحبل على الغارب والأخذ فقط بخط اللغة . ولا يصح بأي حال أن نعد الفكرة هي الأساس، وإن اللغة تأتي في المحل الثاني أو الثالث أو العاشر، وعلينا أن نكشف عن فاعلية العربية وامكاناتها للتعبير العلمي والفني [١٨] .

ومع ذلك، يبقى الأمر المهم هو أن نرتقي بوسائل إعلامنا المسموعة والمرئية إلى درجة تقل معها الأغلاط إلى الحدود الدنيا، والعلاقة بيننا وبين هذه الوسائل جدلية، فهي تؤثر فينا مثلما تؤثر فيها . وحسبنا تدوين هذه المقترحات بغية تحسين الأراء:

١ - يجب تقديم دروس تقوية في مسائل اللغة العربية ونحوها وصرقها، يشارك في الاستماع إليها مقدمو البرامج والمترجمون .

٢ - ضرورة وجود دائرة من المراجعين المدققين اللغويين ذوي الأهلية، يتابعون نشرات الأخبار والبرامج والأعمال المترجمة، من أجل تصويب ما يرد فيها من أغلاط ولفت أنظار المسؤولين عنها مباشرة، ويمكن استشارتهم في أثناء إعداد نشرات الأخبار .

الفرق بين ملك ومالك



الفرق بين الملك والمالك

عندما يقرأ الإنسان قوله تعالى ﴿مالك يوم الدين﴾ من سورة الفاتحة، ثم يرجع إلى كتب التفسير أو بالأحرى إلى كتب القراءات، يجد أنها تقول إن هناك قراءة بـ (ملك) وقراءة بـ (مالك)، فيخيل إليه أن لا فرق بينهما ما دام أنهما قراءتان قرأ بهما النبي ﷺ عليه وسلم، لكن العلماء لا تمر عليهم مثل هذه الأمور دون تمحيص وتحقيق، وبيان الفرق بين الكلمتين، وقد قال الإمام القرطبي عن القراءتين في هاتين الكلمتين ما يلي :

اختلف العلماء أيهما أبلغ ملك أو مالك، والقراءتان مرويتان عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر وعمر، ذكرهما الترمذي .

ف قيل : ملك أعم وأبلغ من مالك، إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً؛ ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك ، قاله أبو عبيدة والمبرد .

وقيل : مالك أبلغ؛ لأنه يكون مالكا للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفاً وأعظم، إذ إليه إجراء قوانين الشرع، ثم عنده زيادة التملك .

وقال أبو علي : حكى أبو بكر بن السراج عن بعض من اختار القراءة بملك، أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله (رب العالمين) فلا فائدة في قراءة من قرأ مالك لأنها تكرار .

قال أبو علي : ولا حجة في هذا؛ لأن في

قوله تعالى (مالك يوم الدين) قرأ محمد بن السُمَيْقِع بنصب مالك، وفيه أربع لغات مَالِك ومَلِك ومَلْكَ - مخففة من مَلِك - ومليك .

قال الشاعر :

وأيام لنا غـرر طوال

عصينا الملك فيها أن ندينها

وقال آخر :

فائق بما قسم المليك فإنما

تسم الخلائق بيتنا علامها [١]

الخلائق : الطوائف التي جبل الإنسان عليها .

وروي عن نافع : إشباع الكسرة في مَلِك ، فيقرأ ملكي على لغة من يشبع الحركات وهي لغة للعرب ذكرها المهدي وغيره اهـ [٢] .

وقد تولى الإمام القرطبي - رحمه الله رحمة واسعة - بيان الفرق في هذه المسألة، كما تولى

النقل عن العلماء، فقال: [٣]



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الثالث: أنك تقول مالك الملك، ولا تقول ملك الملك.

قال ابن الحصار: إنما كان ذلك لأن المراد من مالك الدلالة على الملك - بكسر الميم - وهو لا يتضمن الملك - بضم الميم - ملك يتضمن الأمرين جميعاً، فهو أولى بالمبالغة، ويتضمن أيضاً الكمال، ولذلك استحق الملك على من دونه: ألا ترى إلى قوله تعالى [إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم] [٨] ولهذا قال عليه السلام «الإمامة في قريش» [٩]، وقريش أفضل قبائل العرب، والعرب أفضل من العجم وأشرف، ويتضمن الاقتدار والاختيار، وذلك أمر ضروري في الملك، إن لم يكن قادراً مختاراً نافذاً حكمه وأمره، قهره عدوه وغلبه غيره وأزبرته رعيته، ويتضمن البطش والأمر والنهي والوعد والوعيد، ألا ترى إلى قول سليمان عليه السلام [ما لي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين لأعذبه عذاباً شديداً] [١٠] إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والمعاني الشريفة التي لا توجد في المالك.

قلت: وقد احتج بعضهم على أن مالكا أبلغ: لأن فيه زيادة حرف، فلقارنه عشر حركات زيادة

التنزيل أشياء على هذه الصورة: تقدم العام ثم تذكر الخاص، كقوله [هو الله الخالق البارئ المصور] [٤] فالخالق يعم، وذكر المصور لما فيه من التنبيه على الصنعة ووجود الحكمة، وكما قال تعالى [وبالآخرة هم يوقنون] [٥] بعد قوله [الذين يؤمنون بالغيب] [٦] والغيب يعم الآخرة وغيرها، ولكن ذكرها لعظمها، والتنبيه على وجوب اعتقادها، والرد على الكفرة الجاحدين لها، وكما قال [الرحمن الرحيم] فذكر الرحمن الذي هو عام، وذكر الرحيم بعده لتخصيص المؤمنين به في قوله [وكان بالمؤمنين رحيماً] [٧].

وقال أبو حاتم: إن مالكا أبلغ في مدح الخالق من ملك، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك. والفرق بينهما: أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإذا كان الله تعالى مالكا كان ملكا، واختار هذا القول القاضي أبو بكر بن العربي، وذكر ثلاثة أوجه:

الأول: أنك تضيفه إلى الخاص والعام فتقول مالكا الدار والأرض والثوب، كما تقول مالك الملوك. الثاني: أنه يطلق على مالك القليل والكثير، وإذا تأملت هذين القولين وجدتهما واحداً.

عن قرأ ملك؟

قلت: هذا نظر الى الصيغة لا إلى المعنى، وقد ثبتت القراءة بملك، وفيه من المعنى ما ليس في مالك على ما بينا، والله أعلم.

قال الإمام القرطبي (المسألة) السادسة عشرة: لا يجوز أن يتسمى أحد بهذا الاسم، ولا يدعى به إلا الله تعالى.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض» [١١] وعنه أيضا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال «إن أئخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك» زاد مسلم «لا مالك إلا الله عز وجل» [١٢].

قال سفيان: مثل شاهان شاه.

وقال أحمد بن حنبل: سألت أبا عمرو الشيباني عن أئخنع؟ فقال: أوضع، وعنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «أغيط رجل على الله يوم القيامة وأئخبته رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله سبحانه» [١٣].

قال ابن الحصار: وكذلك ملك يوم الدين ومالك يوم الدين، لا ينبغي أن يختلف في أن هذا محرم على جميع المخلوقين كتحريم ملك الأملاك سواء.

قال القرطبي: وأما الوصف بمالك وملك وهي

(المسألة) السابعة عشرة، فيجوز أن يوصف بهما من اتصف بمفهومهما، قال الله العظيم [إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً] [١٤]، وقال (صلى الله عليه وسلم) «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة» [١٥].

قال القرطبي: إن وصف الله سبحانه بأنه ملك كان ذلك من صفات ذاته، وإن وصف بأنه مالك، كان ذلك من صفات فعله ١٠٠.

الهوامش:

- (١) انظر تفسير الطبري ١٣/١٨٣.
- (٢) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٠.
- (٣) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٤٠ - ١٤٣.
- (٤) الحشر/ ٢٤.
- (٥) البقرة/ ٤.
- (٦) البقرة/ ٣.
- (٧) الأحزاب/ ٤٣.
- (٨) البقرة/ ٢٤٧.
- (٩) صحيح البخاري ١/٣٦١، صحيح ابن حبان ١٠٠/٤٤٤، سنن البيهقي الكبرى ٨/١٤٤.
- (١٠) التل/ ٣١.
- (١١) صحيح البخاري ٥/٢٢٨٩ - ٦/٢٦٨٨، صحيح مسلم ٤/٢١٤٨.
- (١٢) صحيح البخاري ٥/٢٢٩٢، صحيح مسلم ٣/١٦٨٨، سنن أبي داود ٤/٢٩٠.
- (١٣) المراجع نفسها.
- (١٤) البقرة/ ٢٤٧.
- (١٥) صحيح البخاري ٣/١٠٢٧ - ٥/٢٣١٦، صحيح مسلم ٣/١٣٣٠ - ١٥١٨، صحيح ابن حبان ١٥/٥١.

اعد الحوار : هيثم يحيى الخواجة - الامارات



د. عبد الكريم الأشتر

بطاقة تعريف:

- الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر:
- ولد ونشأ في مدينة حلب بسورية.. وحصل على الشهادة الجامعية من جامعة دمشق.
- رحل الى القاهرة ونال شهادتي الماجستير والدكتوراه.
- عمل أستاذاً للأدب العربي والدراسات العربية في عدد من الجامعات العربية، منها: سورية - الأردن - الجزائر - الامارات العربية، والعراق.
- شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات واللقاءات الادبية والثقافية.
- عضو لجنة التحكيم في جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع آل نهيان لقصة الطفل العربي.
- أهم كتبه وأثاره:
- تعريف بالنثر العربي الحديث.
- معالم في النقد العربي الحديث.
- دراسات في أدب النكبة (الرواية).
- نصوص مختارة من الأدب العباسي (اختيار وتقديم: في الشعر والنثر).
- كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (اختيار وتحقيق وتقديم).
- النشر المهجري.
- فنون النشر المهجري.
- نصوص مختارة من الأدب العربي الحديث (اختيار وتقديم: في النشر).
- دعل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت.
- شعر دعل بن علي الخزاعي (جمع وتحقيق وتقديم).
- غروب الأندلس وشجرة الدر (دراسة للمسرحية والرواية)
- حديث الاثنين (من أدب المقالة)
- الشعر العربي في كibar مثليه (دراسة من العصر الجاهلي الى العصر الحديث).
- دراسات في الأدب والنقد والاجتماع.

التراث .. والمعاصرة

المعادلة الصعبة .. !

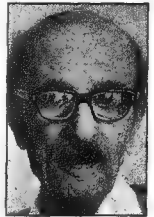
المنهل في حوار مع:

الأستاذ الدكتور

عبد الكريم الأشتر



نزار قباني



ميخائيل نعيمة

**** لم نفلح حتى اليوم في كتابة المعادلة الصعبة بين التراث والمعاصرة ***

كانت مناسبة طيبة
عندما التقيت الأستاذ
الدكتور عبد الكريم
الأشتر الذي زار أبو
ظبي مؤخراً باعتباره
عضواً في لجنة تحكيم
جائزة الشيخة فاطمة
بنت هزاع آل نهيان
لقصة الطفل العربي .
ود . الأشتر عالم
بارز في ميدان الأدب
تخرج على يديه الكثيرون
عن تجربته الأدبية
وعن آرائه في الثقافة
كان هذا الحوار:

*** النقد العربي**
الحديث: ما موقعه في
ساحة الدراسات الأدبية
في كل مجالاته . وما
حجم عطائه وأدائه؟ وما
أسباب تخلف نقبنا
الصحيث في بعض
اتجاهاته وبعض
موضوعاته؟
**** لا جرم أن**
ميدان النقد اتسعت
اليوم كثيراً، وأصبح
هناك نقد لكل جنس من

أجناس الأدب، وأصبح هناك نقاد متخصصون في كل
فن أدبي فتعددت الميادين والاختصاصات، لكن الذي
لا بد من قوله إننا - فيما يبدو - ما عدنا نمسك بدفة
توجيه الثقافة، كما ما عدنا نمسك بدفة التوجيه
الحضاري . فالنقد جزء من حضارة الأمة، لأنها
تفحص تراثها، وتفحص واقعها الفكري، وواقعها
الثقافي العام، فنحن لا نزال في كثير من مفاهيم
النقد، كما لا نزال في كثير من مفاهيم الحياة عالة على
الحضارة التي نعيش في ظلها، لذلك من الطبيعي أن
نجد هذا التقصير في هذا المجال، ثم إننا لم نفلح إلى
اليوم في كتابة المعادلة الصعبة بين التراث، وبين ما
نسميه المعاصرة، وما نسميه الثقافة الحديثة .
ما نزال عاجزين عن كتابة هذه المعادلة الصعبة .
يعني كيف نأخذ من التراث، ونوظفه في خدمة ثقافتنا
المعاصرة؟ وفي خدمة الفكر العربي المعاصر . أرى
أننا لا نزال عاجزين عن كتابة هذه المعادلة، لذلك
ينقطع بعضنا - تماماً - عن العصر، وينقطع بعضنا -
تماماً - عن التراث . . . ننقطع عن العصر فنصبح أسرى
الماضي، وننقطع عن التراث فنصبح عاجزين في الواقع
عن دخول العصر بهويتنا الثقافية الخاصة .
في عالمنا الأدبي اليوم هناك نوع من الخلط
والفوضى في الميدان النقدي . . . إننا نجد بعض النقاد
لا يكادون يعرفون نقادنا القدامى . حتى الأسماء
والكتب لم يطلعوا عليها . . . ونجد - أيضاً - كثيراً من
النقاد الذين يعملون في ميدان النقد لم يطلعوا على
ميادين النقد الحديث . . . ثم نحن في مرحلة تمزق،
وهذا ينعكس على كل مجالات النشاط الفكري . . .
مرحلة خلخلة نفسية وفكرية وروحية . . . ومن الطبيعي
في مثل هذا الواقع أن تطالع الصفحة النقدية على مثل



نجيب محفوظ



محمود درويش

**** إن أي أدب
نكتبه إن لم
تكن فيه
رائحتنا الخاصة
لا يكتب له أن
يصل الساحة
المالية.**

العربية أن تتنقش شعرها
دونها. ووفر لها الرموز
الواضحة، ولم يفرط في
التجريد بل كان أقرب
إلى الحسية في رموزه
كلها. فهو يفهم الحداثة
على أنها نوع من التزاوج
ينبغي أن يتوفر للحداثة
وهذا ما يجعل القارئ
العربي مقبلاً عليها وغير
منقطع عنها.

أقرأ بعض الشعر
الذي ينشر هنا وهناك
فأحس بأن كثيراً من
النماذج الشعرية غير
مفهومة لدى قاسم
نفسي هل تختلف؟ ثم
أسأل نفسي أيضاً كيف
يستطيع القراء الفهم؟

*** هذا الغموض هل
محتاج الحداثة؟ أم
سببه الغموض الذي
وصل حد التغميض؟**

**** عندما درس
بعض الشعراء التراث
درسوه على أساس
تسليط مفاهيم نقدية
غريبة فيه، وكأننا غريبوا**

ما ذكرت من الغموض، أو مثل ما ذكرت من التقصير
أو مثل ما ذكرت من الخلطة والغموض.

الصلات الشخصية بين الأدباء ضرورية ومهمة
لخدمة الفكرة وتطورها في مجال النقد. ولكتنا بكل
أسف. نعمل بعقلية الشلل. نحن - مثلاً - ننتسب إلى
خط فكري معين فنعلي من شأن الأدباء الذين ينتسبون
إلى هذا الخط الفكري بشكل أو بآخر، ونهاجم أو نهمل
الأدباء الآخرين. قد نعلي من شأن أديب من الدرجة
الرابعة أو الخامسة أو السادسة، لأنه ينتسب إلى الخط
الفكري الذي نحن نعمل فيه، أو تنتسب إليه الشلة
لوالها الفكري، ونهمل مظاهر النشاط الفكري الأخرى
فهناك - كما ترى - عجز فكري مشفق من العجز
الحضاري العام باعتبار أن النشاط الفكري هو وجه
من وجوه الحضارة التي تعيش الأمة على مفاهيمها.

*** وماذا عن الحداثة؟ هل تطال فنوننا الأدبية
جميعها؟! بمعنى آخر هذا الكم الكبير من النتاج
الأدبي ... ما مدى علاقته بالحداثة؟**

**** في رأيي مفهوم الحداثة عندنا لم يتبلور بعد
... ما أعنيه هناك حداثات، وإنسان ضمن هذه
الفوضى الفكرية... دعنا نسميها خلطة فكرية... كل
فئة تفهم الحداثة على نحو معين، فالذين يكتبون شعر
التفعيلة (الذي سميناه الحر في مرحلة من الزمان)
يفهمون الحداثة على أنها التخلص من قيود الشعر
التقليدي أو العمودي مع أن الفن هو تطويع للقيود.
وهذا الكلام لا يعني أنني أستنكر شعر التفعيلة، أو
أنظر إليه نظرة سلبية فهناك شعراء كتبوا شعر
التفعيلة، ووفروا لها كل أدوات التأثير. فنزار قباني
استطاع أن يوفر للشعر الموسيقى التي لا يمكن للآذن**

للمعاصرة، وإنما هناك فهم لأولويات العصر والدخول فيه.

لكن أن نحفظ بأوراقنا الخاصة، أن نحفظ يهوئنا فهذا ضروري تظل الكلمة التي قالها غاندي: «أريد أن أفتح نوافذي على العالم، لكن دون أن تقتلني رياحها» صحيحة، والعتب على أدبائنا ومفكرينا... تصور أن البعض يفكرون - تماماً - في حدود ما هو شائع في التراث العالمي دون قراءة معمقة لتراثنا وفكرنا القديم.

نحن نقرأ التراث الهندي وما فيه من تناسخ وتصوف وغير ذلك دون أن نقرأ المتصوفين العرب... عندنا أشياء باهرة، وما أظن أن البعض اطلع عليها أو قرأها بالعمق المطلوب، وإذا قرأوا فتكون القراءة في ضوء ما قرؤوه من التراث الهندي عن التصوف والمطلوب أن تكون القراءة في ضوء النظرية الإسلامية ما أريد قوله: لنا هوية فكرية ليس من باب التعصب، وإنما من باب الفهم.

حين نطلع على تصوص أو نماذج من الآداب العالمية، ونود أن نقومها يجب أن نقومها من خلال نظرتنا الخاصة وبما نحصل من موروث ثقافي وحضاري وروحي وبناء على ذلك فأنا أقرأ طاغور لا كما يقرؤه الهندي أقرؤه وأفهمه، وأفهم كل المحركات الروحية من خلال خلفية معينة تنطلق من معرفتي بكتاب المتصوفة العرب مثل الحلاج والسهروردي وكثير من الرموز...

التراث بدل أن يقرؤه قراءة جديدة.

هؤلاء الذين درسوا الشعر القديم - الجاهلي حصراً - على أساس المنهج الأسطوري بدوا كثيراً من صور الشعر الجاهلي وحقائق الشعر الجاهلي على طريقة فهمهم... ألبسوه ثوباً لم يكن الشاعر يفكر فيه على الإطلاق، ولا أعقد - إطلاقاً - أن الشاعر الجاهلي كان يفكر أو يتصور الأشياء على النحو الذي تصوره.

باعترادي سيطول بنا الزمان حتى تصفو النظرة إلى الحداثة وتستقيم - ونستطيع في ضوء المزاوجة بين التراث والمعاصرة دون أن يكون هناك تعصب للتراث أو



جبران خليل جبران



محمود محمد شاكر



نازك الملائكة

**** لا نزال في كثير من مفاهيم النقد عالية على الحضارة.**

**** جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع آل نهيان لقصة الطفل المربي جديدة في وجهما الموسمي.. تطل على المستقبل من خلال الطفل ودولة الإمارات جديدة بتطلعاتها.**

الإنكليزية وبغيرها من اللغات، فنعيمه - مثلاً - قرأ بالروسية جوانب من النقد عند النقاد الروس، وهو يعلي من شأن بيلينسكي، ونحن لا نكاد نعرف بيلينسكي. ثم هم تأثروا بطبيعة الحياة في المهجر.. التجربة الروحية والنفسية التي عاشوها من طبيعة ملونة وخصبة.. وعندما أنظر الآن للذين يعيشون في أمريكا ينظرون إلينا كما لو أنهم عاشوا في القمر، وعادوا إلى كوكب آخر. بينما حمل المهجريون معهم أرضهم وذكرياتهم، وصور الحياة في وطنهم، ولذلك لم ينقطعوا عنا.. فالحداثة التي كتبوها أقرب إلينا من كثير من صسور الحداثة التي أقرؤها عند البعض الآن. كأن هؤلاء انقطعوا تماماً عنا. فهل الحداثة تعني التخلي عن أكثر مما نقل إلي، أو مما أعرفه في تراثي؟

درست أدب المهجر وفيه متصوفة مثل ميخائيل نعيمة، وجبران خليل جبران وغيرهما.. وعندما كتبت الرسالة الجامعية.. كتبتها في ضوء منقطع - تماماً - عن الجو الروحي الذي ورثته، ويعمل في روحي.. وعندما أعود إلى القراءة بهرتني بعض الإطلاقات الروحية عند جبران ونعيمه ولو كنت قرأت بعض المتصوفة قراءة أعمق، وحملتها معي وأنا أكتب الرسالة الجامعية لكنت أنفذ نظراً. وما دام هؤلاء قد كتبوا بالعربية للعرب فأنا أستطيع أن أقدم ما كتبوه في ضوء توجههم، وهذا الذي لفتني إليه في يوم من الأيام وفهمني ذلك - آنذاك - الأستاذ محمود شاكر الذي قال لي: (أنت تدرس التصوف في المهجر، ووقفت أمام بعض رموزهم وصورهم لكن هل قرأت (فلاناً وفلاناً وفلاناً) من المتصوفة المسلمين وكيف اتجهوا اتجاهاً معيناً مثل النفري؟) قلت له: لا أعرف أن هناك مثل هذا الكتاب. قال لو قرأته ستجد أن كثيراً مما قاله المهجريون لا يسمو - إطلاقاً - إلى ما سما إليه النفري.. حين تتسع الرؤية تضيق العبارة، فذلك يلجأ الإنسان إلى الرمز.

*** بمناسبة الحديث عن أدب المهجر.. ما سمات الحداثة عند المهجريين؟**

****** لما كتب المهجريون أنبهم في المهجر، نقلت بعض المجلات والصحف نتاجاتهم إلى صحفنا ومجلاتنا، وقد كان لجلة المقتطف بصورة خاصة دور الريادة في هذا الأمر بينما مجلاتهم لم تكن تصل إلى البلاد العربية، وإن وصل فعدد ضئيل لا يذكر يرسل إلى الأهل والأقارب في لبنان وسورية وفلسطين. لقد تأثر أدباء المهجر بما قرؤوا في الأدب باللغة

** النقد

جزء من

حضارة الأمة.

** يجب أن

ندخل العصر

بهيويتنا

الثقافية

الخاصة.

** وظيفة

المحادثة

تقريب

الأديب من

عصره.

** فني

قصيدة النثر

روح شعرية

.. وهناك

نماذج

متبقى.

صحيح أن المهجريين

تأثروا بالإنجيل المترجم،

وتجد عند بعضهم

غرابات لكنهم - مع ذلك -

جسدوا بالصورة

والصياغة اللغوية فبقي

تجديدهم مقبولا فجبران

على سبيل المثال قد يكون

أكثرهم بعداً عن تراثنا

لكنه قريب جداً من هذا

التراث، فكتابه المسمى

(النبي) يسميه

(المصطفى) وهو أفضل

كتب جبران، وأكثرها

شيوعاً، وقد ترجم الى

أكثر من خمسين لغة

عالمية، الكتاب يحمل

صوت جبران ونظرتة الى

الكون والحياة .. فجو

الإنجيل جو شرقي ..

على كل حال ما يجب أن

أشير إليه هو أن

المهجريين في أمريكا

الجنوبية والبرازيل أقرب

إلينا بكثير من مهجري

الشمال، لأنهم ظلوا

متصلين بالتراث اتصالا

أعمق قد يكون لطبيعة

البيئة التي عاشوا فيها -

التي تأخذ من الأندلس ومن الوسط الذي عاشوا فيه،

ولذلك كان الجو أقرب إلينا .. لتوقف قليلا عند حداثة

الشمال نجد أن ما نسميه حداثة الآن كتبه نسيب

عريضة منذ عام ١٩١٣ ولا يكاد يذكر الآن اسمه في

هذا المضمار، يقول في إحدى قصائده :

لربى بعيد

وأنا وحيد

ما من مجيب

ما من حبيب

صرخات ممزقة نوع فيها، لكنه لم يتخل عن

الموسيقا، ولم يتخل عن القافية وإن كان نوع فيها .

خذ الآن ما نسميه بقصيدة النثر، كتبها جبران

وغيره من أدباء المهجر، كتبوا النثر بلغة الشعر وكتبها

نعيمه بالصورة التي نعرفها عنده.

إن أدب هؤلاء فيه رائحة الشرق، لم يبتعدوا

عنها في أعمالهم وفنونهم الأدبية كلها .

قرأت قصصاً لبعض أدبائنا ولم أفهم شيئاً منها،

الشاعر محمود درويش بنى سمعته على طلعته

الأولى .. على شعره الأول لكنه الآن غير ذلك إذ ما

معنى قوله: (كباذنجانة نضجت؟) لقد غربنا حتى

أذواقنا.

إذا كان هناك فرق بين حداثة المهجريين وحداثتنا

فهو أننا غربنا حداثتنا، وأن المهجريين بقوا متصلين

بنا .

لقد جدت الآن مذاهب وروى، وأرى أن نكون

قريبين من الحداثة، لكن دون أن نبتعد عن الساحة ..

إن أي أدب نكتبه إن لم تكن فيه رائحتنا الخاصة لا

يكتب له أن يصل الساحة العالمية، وخير مثال على ذلك

الروائي نجيب محفوظ الذي وصل الساحة العالمية لأن أدبه حمل رائحة الوطن - أحياء القاهرة وحواليها، والناس الذين يعيشون فيها .

*** إذا كان لكل عصر حدثه - بغض النظر عن قوتها وضعفها - ألا توافقني بأن الحداثـة ترتبط بالجودة والجدة والتوصيل؟ وما رأيك بمن يقول إن حداثـة العصر العباسي اقتصرـت على المضمون فقط؟**

****** الذي أراه - في الجملة - أن وظيفة الحداثـة تقرب الأديب من عصره فحداثـة أدباء العصر العباسي قربتهم من عصرهم الذي عاشوا فيه، وحداثـة هذا العصر يجب أن تقربنا من عصرنا . هذه هي وظيفة الحداثـة، وإلا ما معنى ذلك! ليست هناك حداثـة مقصودة، الحياة .. طبيعة الموقف .. الزمن .. طبيعة المرحلة .. هي التي تقودنا إليها .. الذي أعنيه أنني لا أظن أن أبا نواس برموزه التي وصل إليها، وبالشكل الشعري، وغير ذلك .. لم يتقصد ذلك، وإنما عبر عن روح العصر، وحتى رموز العصر التي فرضت خليطاً من الثقافات تأثر بها شعراء العصر ومنهم أبو نواس .

إنني أخالف من يقول إن الحداثـة في العصر العباسي اقتصرـت على المضمون لتتذكر قضية مذهب البديع، ومذهب القرب من الطبيعة الذي مثله التماميون والطبيعيون .. إن حداثـة أبي تمام أثرت في الصورة الشعرية فتجربته تقوم على تعميق المعنى من جهة وعلى تجديد الصياغة من جهة أخرى ، لذلك وصف شعره بالانفلاق والغموض . كل ما في الأمر أن الحداثـة مرتبطة بالعصر، ويحدود العصر الذي عاشوه .. نحن الآن نعيش حضارة، وهم عاشوا حضارتهم وأملوا على العصر حضارتهم . العصر الآن يملئ علينا كيف

نعيش، وكيف نفكر .. لذلك بقيت حداثـتهم مفهومة ومرتبطة بترائهم .

التماميون - أصحاب البديع - وجدوا من يدافع عن أبي تمام، والمتنبّي يحمل ديوان أبي تمام أينما ذهب .. وكان يقول هو الذي علمه كيف يتعمق المعنى . وأسأل بماذا جددنا نحن إذا تجاوزنا قضية التفعيلة والتخلص من رتبة القافية؟ دلائل الفوضى أن بعضنا أضرب عن القافية على الإطلاق، وبعضنا أخذ بها على صورة من الصور، وبعضنا راعى بين الأخذ بالقافية، وعدم الأخذ بها كما كان يفعل نزار قباني الذي خلف أثراً مهماً لأنه قرأ التراث قراءة ممتازة برغم أن في بعض صياغته ضعف يمكن أن يعرفه الذين صلتهم بالتراث قوية .. نزار تنسم في شعره من تراث العروبة، رائحة البلدة التي نشأ فيها، وبذلك استطاع أن يكتب معادلة ناجحة وخاصة حافظه على الموسيقى في الشعر .

لم يفرط أبداً بموسيقا الشعر كما يفعل البعض، وإذا كانت نازك الملائكة حكمت عن البحور الممزوجة والبحور الصافية، ونصبت من نفسها قيماً على ما يصلح وما لا يصلح فإن هذا فسح المجال لإدخال البحور بعضها ببعض الى حد ضاع فيه الإيقاع، والأذن العربية لا تستطيع أن تتخلى عن الإيقاع ومن يؤمن بغير ذلك مخدوع .

يظن هؤلاء أنهم يكتبون شعراً يمكن أن يبقى في الزمن .. أما عن قصيدة النثر فأعترف بأن فيها روحاً شعرية، وأن هناك نماذج ستبقى، لكن لن تبقى على أنها شعر نثري وإنما تبقى نوعاً من النثر الشعري الجميل الذي يحمل حرارة في الروح وحرارة في الفكر .

التوأمان عبد القدوس الأنصاري ومجلة المنهل

(قصة ريادة الصحافة السعودية في المدينة المنورة)



بقل: د. عبد الرحمن الشبلي - عضو مجلس الشورى

عبدالكريم الحنين وكيل إمارة المدينة المنورة، ورئيس وأعضاء النادي الأدبي بالمدينة المنورة، وجمع من محبي الثقافة والأدب والفكر.. وسعد بحضور هذا اللقاء الأدبي الثقافي الأستاذ/ زهير بن نبيه الأنصاري نائب رئيس التحرير لمجلة المنهل، وبعض أسرة المنهل.

وفي نهاية المحاضرة قدم الأستاذ/ زهير الأنصاري دروع المنهل هدية لسعادة وكيل إمارة المدينة المنورة.. الأستاذ المهندس عبدالكريم الحنيني وللدكتور/ عبد الرحمن الشبلي، وللدكتور/ عبد الله عبيد الرحيم عسيلان رئيس النادي.

في مساء يوم الثلاثاء ١٤٢٤/١/٨ هـ الموافق ٢٠٠٣/٣/١١م، وفي النادي الأدبي في المدينة المنورة، ألقى الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الشبلي / عضو مجلس الشورى وعضو المجلس الأعلى للإعلام، محاضرة قيمة بعنوان «التوأمان: عبد القدوس الأنصاري ومجلة المنهل.. قصة ريادة الصحافة السعودية في المدينة المنورة، وكانت المحاضرة قيمة مضموناً وعرضاً، وأفاد منها الجميع.

وجاءت هذه المحاضرة لفتة وفاء وتقدير للأستاذ الراحل عبد القدوس الأنصاري ومجلته المنهل التي أسسها في المدينة المنورة.. شرف هذا اللقاء الأدبي والثقافي الأستاذ م/

سيحدثنا المحاضر عن مجلة المنهل وعن صاحبيها - أيضا - وعن ريادة الصحافة في المدينة المنورة.

والدكتور عبد الرحمن الشبيلي علم من أعلام الثقافة والفكر والإعلام والتعليم في بلادنا.

ولد الدكتور في مدينة عنيزة عام ١٣٦٢هـ وتلقى دراسته الجامعية أول ما تلقاها في كلية اللغة العربية جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وحصل منها على الليسانس عام ١٣٨٢هـ ثم حصل على البكالوريوس في الجغرافيا من جامعة الملك سعود، ثم الماجستير في الاعلام من جامعة كانساس بأمريكا عام ١٣٨٩هـ، ثم الدكتوراه في الاعلام - أيضا - من جامعة ولاية أواهيو الامريكية عام ١٣٩١هـ، وكذلك - أيضا - درس دورة في اللغة الفرنسية.

أما ما يتعلق بخبراته العملية والعلمية فهي كثيرة.

إذ يعتبر من رواد الاعلام في بلادنا رافق بداية إذاعة الرياض، كما رافق - أيضا - بداية التلفزيون - تلفزيون المملكة العربية السعودية - وقد كان مديرا عاما للتلفزيون من عام ١٣٩١هـ الى ١٣٩٧هـ .

كما كان أيضا استاذًا للاعلام في جامعة الملك سعود، وأيضا تولى وكالة وزارة التعليم العالي، وكان - أيضا - أمينًا عاما للمجلس الأعلى للجامعات، وله العضوية في مجالس الجامعات وعضوية في المجلس الأعلى وهو أيضا - صاحب مشاركات جمة في مجال الاعلام وفي المؤتمرات وفي السنوات داخل المملكة وخارج المملكة.

كما أنه الآن هو عضو في مجلس الشورى.

له مؤلفات عديدة من أهمها:

- نحو إعلام أفضل.

- محمد احمد الشبيلي - سيرة ذاتية.

- إعلام وأعلام.

- الاعلام في المملكة السعودية.

والشيخ محمد بن جبير جوانب من سيرته .

هذا وقد قدم سعادة رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي د. عبدالله عسيلان للمحاضرة بكلمة جاء فيها :

يطيب للنادي الأدبي بالمدينة المنورة أن يلتقي بكم في هذه الأمسية المباركة في إطار نشاطه النبوي ويسعدني ويسرني في مستهل هذه الكلمة أن أرحب بسعادة/ وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة على تفضله بحضور هذه المحاضرة وذلك دليل على العناية بجانب الثقافة والاهتمام بهذا الجانب.

كما يسرني أن أتوجه بالشكر الجزيل للاخوة الحضور أيضا الذين أسعدونا بحضورهم، وقبل ذلك أيضا أتوجه بالشكر الجزيل لسعادة الدكتور/ عبد الرحمن الشبيلي الذي تجاوب مع دعوة النادي على الرغم من كثرة أعماله ومشاغله . . فله منا جميعا الشكر الجزيل.

وسننش في هذه اللحظة - أو في هذه الساعة - التي ستخصص لهذه المحاضرة سنعيش مع موضوع قيم وعلى جانب كبير من الأهمية؛ ذلك لأنه يتحدث عن شخصية من شخصيات المدينة العلمية والثقافية التي كان لها دور واضح ملموس في ثقافة المملكة العربية السعودية الأستاذ الرائد عبدالقدوس الأنصاري، وأيضا له دور رائد في مجال الصحافة عن طريق مجلته المنهل التي تعد بحق من المجالات الهامة جدا، المجالات الثقافية والأدبية، ولئن عرفنا مجالات مصرية معروفة مشهورة مثل مجلة الرسالة ومجلة المقتطف فإن مجلة المنهل في تقديري لا تقل شأنًا ومكانة ومنزلة وأهمية في نشر الثقافة والأدب عن هذه المجالات.

وما كان لنا أن نتعرف على ألوان من الثقافة الأدبية والثقافة بعامة - ما كان لنا أن نتعرف على ذلك - إلا من خلال هذه المجلة فقد وقفنا من خلالها على كتابات لرواد الأدب والثقافة في بلادنا وغير بلادنا .

وثبت هنا نص محاضرة الدكتور الشيبلي :

أعلم أن أمري في هذه المشاركة كقصة جالب التمر الى هجر، أو بالأحرى إلى طيبة المباركة، وأثق أن كل واحد من متقفيها يدرك جانباً من جوانب الموضوع أو كله، وكان الأنسب أن يلقي في أي منتدى إلا في هذا النادي، من أجل ذلك، عملت قدر الإمكان، على طرق الموضوع من زاوية مختلفة، عليّ أتلافى تكرار معلومات معروفة، وحسبي أن أذكر أن هذا العنوان الذي اخترته لهذه المحاضرة، هو أحد الموضوعات القليلة، التي يظنها المرء سهلة فإذا هو ممتنع، وواسعة فإذا هو ضيق، وواضحة فإذا به محير .

كُتِبَ الكثير عن التوأمين : عبد القدوس الأنصاري ومجلة المنهل، حتى صار مجموع ما كتب من مقالات أو دراسات عنهما يحتاج، بحد ذاته، إلى فهرسة، وكدت لا أجد ما أكتب عنه لهذه الأمسية، لكنني وقد اختزلت كثيراً من المعلومات المعروفة عن المنهل ومنشئها، أتوقف عند محطات تعد في تقديري، من أبرز ما يوجب به تاريخ الصحافة والطباعة في المدينة المنورة، وعلاقتها (الأنصاري)، وتاريخ منهل العذب، الذي - أي المنهل - يعتبر بحق موسوعة المعارف، وسجل الإدارة والآداب والعلوم خلال سبعة عقود، وأحد معالم الثقافة الشاخصة في بلادنا، لكن ما تأتي به هذه المحاضرة يظل غيضاً من فيض ما يمكن أن يقال عنهما .

صحافة المدينة المنورة في العهد العثماني :

لكنني قبل الحديث عن المنهلين التوأمين : الأنصاري ومجلته، أورد مقدمة موجزة عن تاريخ الصحافة والطباعة في المدينة المنورة، الذي أقتنر بدؤه بصور صحيفة (الرقيب) لحرريها إبراهيم خطاب،

وأبو بكر الداغستاني، وكانت جريدة تخط باليد وتطبع على ورق الجيلاتين، وكذلك بصور صحيفة (المدينة المنورة - الأولى) التي حررها محمد مأمون الأرزنجاني بالعربية والتركية، وقد صدرتا بعد عام أو أقل من صدور أول صحيفة حجازية في العهد العثماني في مكة المكرمة (حجاز أو الحجاز الرسمية ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م).

ظهرت صحيفتا (الرقيب والمدينة المنورة - الأولى) في عام واحد، هو سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م إبان العهد التركي، وهو عام مشهود في تاريخ الصحافة في الحجاز، ظهرت فيه صحيفتان أخريان في مكة المكرمة (شمس الحقيقة وصفا الحجاز) وجريدة واحدة في جدة (الإصلاح الحجازي)، فصار مجموع ما صدر في مدن الحجاز في عامي ١٣٢٦هـ / ١٣٢٧هـ ست صحف، ما لبثت أن اختفت سريعاً لأسباب مختلفة فنية ومالية وسياسية .

والذي يظلب على الظن، أن صدور هذه الصحف دفعة واحدة في فترة زمنية متقاربة قد ارتبط بصور الدستور العثماني ١٩٠٨م، الذي أجاز للولايات الخاضعة للحكم التركي مبدأ إصدار صحف خاصة بها، تسمى باسمها وتنتق بصوتها وتعبّر عن شؤونها، كما اقترن مع صدور قانون المطبوعات العثماني (في عام ١٩٠٩م)، وهي فترة زمنية شهدت صدور صحف آخر في ولايات عثمانية مختلفة من المشرق العربي، ومن بينها بغداد، التي - من طريف ما أعلم - صدر فيها في العام نفسه جريدة لا علاقة لها بالأخرى، تحمل اسم (الرقيب)، لأديب وصحفي عراقي مشهور من أصل نجد هو عبد اللطيف ثيان .

مرت سبع سنوات، كان الوضع السياسي والعسكري فيها في المشرق غير مستقر، سعى



نائب رئيس تحرير المنهل يسلم درعاً تذكرياً لسعادة وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة

الأشراف خالها الى
الاستقلال بالحجاز عن
الأتراك، مستفيدين من
ظروف الحرب العالمية الأولى،
فما كان من الأتراك الذين
اقتصر حكمهم على المدينة
المنورة إلا - على قول أحمد
السباعي ومحمد على مغربي
وغيرهما - أن نقلوا الجريدة
الرسمية (الحجاز) من مكة
المكرمة الى المدينة المنورة،
يشرف عليها السيد حمزة
غوٲ، ويساعده في تحريرها

إجراء تحقيق علمي حولها، فإذا ما سلمنا بأن جريدة
(الرقيب) كانت تطبع على الجيلتين وتخط باليد، فقد
أشار محمد لبيب البتوني الذي زار المدينة المنورة في
سنة ١٢٢٧هـ الى جريدة (المدينة المنورة - الأولى)
مطبوعة بمطبعة البالوزة (البالوطة)، التي تعني بالتركية
نوعاً من الطباعة الحجرية)، وربما تكون تلك هي
المطبعة العلمية التي أسسها كامل الخجا لتلبية
احتياجات التجار من المطبوعات، لكن د. عباس
طاشكندلي يرجح أنها لم تجلب إلا في عام ١٢٢٩هـ
(١٩١١م).

أما جريدة (الحجاز) المدنية التركية، وهي من
أربع صفحات بالعربية، فيبدو أنها كانت قد طبعت
بمطبعة حكومية عرفت باسم (مطبعة الحجاز) جلبت
من مدينة حلب لهذا الغرض، رفقة بدر الدين
التعساني، وقد اقترن وجودها - في تقديري - بوجود
السلطة العثمانية ثم نقلت أو اندثرت بانتهاؤها، وقد
يكون التعساني نفسه عاد بها الى الشام، وذلك بدليل

الصحفي السوري بدر الدين التعساني، فصدرت في
١٢/٩/١٣٢٤هـ (١٩٠٧/١٠/١٩١٦م) ثلاث مسرات في
الاسبوع قبل أن تصبح شبه يومية، في حين أصدر
الهاشميون في مقابلها جريدة (القبلة) في مكة المكرمة،
كما صدرت صحف هاشمية أخرى في مكة المكرمة
وجدة.

ومع أن جريدة (الحجاز) صدرت قوية في المدينة
المنورة، كما يبدو من شكلها وموضوعها، تساندها
السلطة العثمانية وإن لم تصرّح بسمتها الرسمية، إلا
أنها توقفت - على الأرجح - في عامها الثاني (١٣٢٥هـ -
١٩١٧م) بعد صدور (١٠٥) عدد منها، متأثرة بشح
ورق الطباعة، ولتتعطل بذلك الحركة الصحفية في
المدينة المنورة لعقدين قادمين.

بدايات الطباعة في المدينة المنورة:

أما بالنسبة لبدايات الطباعة في المدينة المنورة،
فإن تفاصيلها ما تزال غامضة، تنتظر من يجتهد

تحقيق أدق، وقد كتب فيها كل من د. أحمد الضبيبي ود. يحيى الجند ود. عباس طاشكندي وغيرهم.
أما بالنسبة (للمنهل)، فقد طبعت أعدادها الثلاثة الأولى في مطبعة طيبة، ثم نقلت إلى مطبعة الحكومة (أم القرى) في مكة المكرمة، وكانت تتألف من أربعين صفحة، بإخراج مبسط، وتبويب فني واضح.

نظام المطبوعات :

كانت كل صحف الحجاز (التي صدرت في العهدين العثماني ثم الهاشمي) مشمولة بقانون المطابع والمطبوعات التركي الذي صدر في ١١/٧/١٣٢٧هـ/ ١٣/٧/١٩٠٩م [٢].

وفي ظل العهد السعودي، صدر - متأثراً بسابقه التركي - أول نظام للمطبوعات والمطابع في سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، أي قبل ثمانية أعوام من صدور (مجلة المنهل وجريدة المدينة المنورة)، وقد جدد هذا النظام بصدور نظام آخر للمطبوعات والمطابع عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م [٣].

وكانت أول إدارة سعودية للمطبوعات قد استحدثت بأمر السلطان (الملك) عبد العزيز رحمه الله في مكة المكرمة في محرم سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م [٤].
ولما صدر نظاما المطبوعات والمطابع (في عامي ١٣٤٧هـ و ١٣٥٨هـ)، جعل إدارة المطبوعات تلك مرجعاً للصحف السعودية، ولإصدار تراخيصها، وقد تحول اسم هذه الإدارة، بعد فترة وجيزة إلى اسم قلم المطبوعات، وألحقت بوزارة الخارجية عند إحداث الوزارة سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، وذلك على أساس أن جزءاً من مهام قلم المطبوعات هو إصدار البلاغات الرسمية المتعلقة بالأمور الخارجية، والأصل، أن كل الأجهزة الحكومية آنذاك كانت ترتبط بالأمير فيصل رحمه الله، فهو نائب الملك في الحجاز ووزير الخارجية

فترة انقطاع طويلة دامت عشرين عاماً (بين ١٣٣٥هـ - ١٣٥٥هـ) قد مرت دون أن يكون لتلك المطابع شأن طباعي يذكر في المدينة المنورة، حتى إن عثمان حافظ أشار في روايته لقصة إصدار جريدته (مطلع ١٣٥٦هـ) إلى أن مطبعته القديمة (طيبة) كانت الوحيدة آنذاك، مما دعاه إلى أن يستورد مطبعة جديدة من مصر لتعزيزها.

ثم هناك مطبعة طيبة الفحاء التي جلبها أحمد الفيض أبادي وعبد الحق نقشبدي (وربما مع غيرهما) سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٥م، وكان مقرها مدرسة العلوم الشرعية، ثم آلت ملكيتها فيما بعد لعثمان حافظ - كما أسلفت - وأسماها (مكتبة ومطبعة طيبة)، وكانت بدائية بسيطة تستخدم لطبع الأوراق التجارية والكتب المدرسية، وقد لوحظ أن عبد القدوس الأنصاري قد طبع فيها أول كتبه: إصلاحات في لغة الكتابة والأدب ١٣٥٢هـ، ثم جلب عثمان حافظ مطبعة جديدة من مصر طبع عليها جريدته (المدينة المنورة - الثانية)، وسمى المطبعة باسمها.

من هنا يستطيع المرء أن يجتهد في تلخيص بدايات الطباعة في المدينة المنورة على النحو الآتي [١]:

- ١ - في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م مطبعة أهلية صغيرة (طبعت فيها جريدة المدينة المنورة - الأولى).
- ٢ - في عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م مطبعة حكومية صغيرة (طبعت فيها جريدة الحجاز).
- ٣ - في عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م مطبعة أهلية كبيرة (طبعت فيها جريدة المدينة المنورة - الثانية).

ومن ثم يتبين أن تحديد أسماء المطابع المدنية وتواريخ إنشائها ومعرفه أسماء أصحابها وعناوين الكتب الأولى والصحف التي طبعت فيها، يحتاج إلى

ورئيس مجلس الوكلاء الذي تطور فيما بعد ليصبح مجلساً للوزراء.

تُساق هذه المعلومات لأن البعض كان يستغرب ارتباط شؤون المطبوعات بوزارة الخارجية، التي أصدرت ترخيص (مجلة النهل وجريدة المدينة المنورة) وما صدر بعدهما، كما يستغرب اشتراط وجود كفيل غارم وتقديم ضمان مالي من أجل منح الترخيص، أو صدور صك شرعي به، فهي أمور تفهم من نظام المطبوعات المعمول به وقتذاك (وبخاصة المادة ١٥ من النظام الأول الذي صدرت المجلة في ظله).

عبد القدوس الأنصاري :

سوف ان نستغرق الوقت القصير لهذه المحاضرة بالحديث مفصلاً عن أمور تعرفونها، فعبد القدوس الأنصاري، ولد سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م وتربى، بعد سن الخامسة، يتيماً في كنف أستاذه وقريبه الشيخ محمد الطيب الأنصاري رحمهما الله، وقد حفظ القرآن الكريم في صغره، وعمل بعد تخرجه من مدرسة العلوم الشرعية في التدريس، ثم في إمارة المدينة المنورة * [أ]، ثم رئيساً لتحرير جريدة (أم القرى) بين ربيع الأول ١٣٥٩هـ وحتى نهاية ١٣٦١هـ، ثم سكرتيراً لمجلس الوكلاء، ثم موظفاً في ديوان نائب الملك في الحجاز، ثم في ديوان رئاسة مجلس الوزراء، وقد عشق القراءة والأدب متأثراً بصديقه الأستاذ عبيد مدني رحمه الله، وبدأ - كما سيأتي ذكره - يكتب في (صوت الحجاز) مع بداية صدورها سنة ١٣٥٠هـ، وكان نجماً مضيئاً في سماء الصحافة السعودية، وفي عالم الشعر والأدب واللغة والتاريخ والآثار، وتوفي رحمه الله قبل عشرين عاماً (١٤٠٣/٧/٢٢هـ - ١٩٨٣/٤/٥م) عن عمر يقارب الثمانين، مخلقاً أكثر من (٣٠) كتاباً بين مطبوع ومخطوط، وعدداً كبيراً من المقالات والمحاضرات.

وإذا ما استبعدنا كتابات الرحالة والمستشرقين، وما كتب عن المدينتين المقدستين وما فيهما من معالم إسلامية، فإنه يحتسب للشيخ الأنصاري زيادة الدراسات الأثرية في المملكة العربية السعودية، بمفهوميها العلمي الحديث الذي يعنى بالتحقيق والرموز والكتابات القديمة، فحظيت بنسبة من كتاباته، وذلك منذ أن أصدر كتابه عن آثار المدينة المنورة سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م [٥]، وهو الذي ذكر أنه ترجم إلى الفرنسية، وأقيم له حفل ترحيبي نوهت عنه في حينه جريدة (أم القرى العدد ٥٤١)، وكذلك تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، وكتابات عن العين العزيرية ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م، وقد بدأ يهتم بالآثار - حسبما رواه عنه الدكتور عبد الرحمن الأنصاري - في إثر ما لاحظته من أن فيلبي كان يركز في دراساته الأثرية المحيطة بالمدينة المنورة على خدمة أغراض معينة في ذهنه، كما أنه لا يجوز أن يترك فيلبي وأمثاله من الرحالة والمستشرقين ينقلون إلى العالم الخارجي ما نحن أدرى به وأعلم.

واقترنت دراسات الشيخ الأنصاري عن الآثار، مع اهتماماته الأساسية بالتاريخ، فأصدر عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م كتابه: (بين التاريخ والآثار) [٣٧٥ صفحة]، وموسوعة تاريخ جدة (المؤلفة من أكثر من ألف صفحة) ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، كما ارتبطت بولعه بالرحلات التي وثق بعضها في كتب أو أعداد خاصة من (النهل)، كرحلته إلى مصر ١٣٧١هـ/ ١٩٥٣م، وإلى المنطقة الشرقية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ورحلته إلى الرياض ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٧م، ورحلته إلى بلاد بني سليم ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ومع ابن جبير في رحلته ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٧م، وطريق الهجرة النبوية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.



من اليمين د. الشبيلي، زهير الأنصاري، د. عبدالله عسيلان

طالب بإنشاء جامعة سعودية، ويسمى المنازل والشوارع في مدن المملكة، وإنشاء لجنة للبحوث العلمية، ومثلما كان من أوائل من دعى لافتتاح الإذاعة السعودية، فإنه، بعد افتتاحها، ظل يمدّها بأحدث في موضوعات مبتكرة وشيقة، نون بعضها في العدد الخاص من مجلة (المنهل) بعنوان: أوعية وغلال بتوثيق السنوات الأولى من تأسيسها من خلال عدد

خاص قيّم من مجلة (المنهل) عنوانه: الإذاعة العربية السعودية، تاريخها وتطورها (١٣٧١هـ/ ١٩٥١م).

وإذا ما عرفنا أن الشيخ الأنصاري قد كتب أول محاولة تأليفية وقصصية له (التوأمين) وعمره لم يتجاوز الرابعة والعشرين، فقد بدأ يكتب مقالاته الصحفية في جريدة (صوت الحجاز) مع بدايات صدورها في مكة المكرمة بتاريخ ٢٧/١١/١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م/٤/٤، وذلك قبل ولادة مجلة (المنهل) بخمس سنوات، وقد ذكر د. منصور الحازمي، الذي قام بفهرسة المادة الأدبية في صحيفة (صوت الحجاز) أنه رصد للشيخ الأنصاري خلال هذه السنوات الخمس ما يقرب من (٣٥) مقالا ويحاثاً لغوياً وأدبياً وتاريخياً، وقد استمر يكتب فيها، لم يثنه عن ذلك صدور (المنهل)، بل لقد أصبح يواظب على كتابة زاوية بعنوان (ما قل) في جريدة (البلاد السعودية) التي تعد امتداداً لـ (صوت الحجاز) بعد توقفها في الحرب العالمية الثانية.

وبالإضافة إلى ذلك، كتب في الجريدة الرسمية

ويحسب للأنصاري اهتمام مبكر بكتابة ترجمات أبرز الشخصيات السياسية والثقافية في المجتمع السعودي، حتى تمنى كثيرون على أسرة (المنهل) أن تقوم بجمع تلك التراجم في موسوعة واحدة، فلقد أصدر في حياته دراسات بيوجرافية مستقلة - بعضها غير مسبوقة - عن سيرة الملك عبد العزيز والملك سعود وأحمد الفيض أبادي وعبد الرحمن السعدي وعبد الله القرعاوي وعبيد مدني وعبد المحسن الكاظمي رحمهم الله، وتراجم أخرى في ثنايا المجلة عن عشرات من أعلام الفكر السعودي في عصره، فضلاً عن السلسلة التي أصدرها بعنوان: بناء العلم الحديث في الحجاز، وكتابه عن أدباء المملكة.

وكما اهتم الأنصاري بالتاريخ والآثار والرحلات، كان الأسبق إلى لفت الأنظار إلى مصايف البلاد، والدعوة إلى الاهتمام بها، عبر مؤلف مبكر أصدرته مجلة المنهل في عدد خاص (١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م).

وسجل للشيخ الأنصاري أنه كان من أوائل من

عصفاً ذهنياً لأرائهم، في حوارات راقية واعية هادئة، ما تزال بعض محاورها تطرح في المجتمع السعودي وأوساطه الثقافية حتى اليوم، أي بعد مضي أكثر من نصف قرن على طرحها في (المنهل).

فمن أمثلة القضايا المطروحة في تلك الاستفتاءات والندوات الدورية عبر (المنهل): ندوات عن الأخلاق والتعليم، وعن خير الطرق لتعميم التعليم، وعن التعليم العام أم التعليم العالي، وعن الابتعاث إلى الخارج من عدمه، وعن الصناعة أم الزراعة، وهل استفدنا من الأدب، وعن الوضع الأدبي الراهن بين الصعود والركود، واستفتاءات حول رسم برنامج عملي لرفع مستوانا الاقتصادي، وعن أثر الأدب الحديث في هذه البلاد، وهل يصلح أنبنا للتصدير، واستطلاع للآراء حول ذبائح منى، وتخطيط وسائل النهضة الصحفية[٦].

الثانية : فهي تلك الصلة الفكرية التي كانت تربط الأنصاري بعبيد مدني رحمهما الله، والتي يذكر أنها خلفت بينهما، رغم قربيهما الجغرافي، حصيلة أدبية مخطوطة تستحق التدوين والنشر، فكما أن من المعروف أن الشيخ محمد الطيب الأنصاري رحمه الله، كان الأب الروحي - إن جاز التعبير - للشيخ عبد القدوس، فإن الأستاذ عبيد مدني كان يعد المؤثر الثقافي والأدبي عليه منذ صغره، وقد شعرت من خلال التعمق في إعداد هذه المحاضرة أن شيئاً ما حول هذه المسألة، قد يكشف النقاب عنه قريباً من خلال مجلة (المنهل) أو من خلال د. عبد الرحمن الأنصاري، الذي يحتفظ لنفسه بإفشاء المزيد من التفصيل عنه، وكان الشيخ عبد القدوس قد تحدث عن صديقه عبيد مدني حديثاً ضافياً، كما نعاه إثر وفاته، في مقالين

(أم القرى) ونشر شيئاً من أشعاره قبل رئاسته لتحريرها (بين بداية عام ١٣٥٩هـ ونهاية عام ١٣٦١هـ) وأثناها وبعدها، كما كتب في الصحف والمجلات الآتية: (الرابطة الإسلامية والحج والنداء الإسلامي والمدينة المنورة وعكاظ وقافلة الزيت والخفجي والأهرام والمقطم والسياسة الأسبوعية والرسالة والكتاب والمعرفة والشرق الأدنى والرابطة العربية) وغيرها، كما ألقى بعض الأحاديث في الإذاعة المصرية، والمؤمل أن تسعى مجلة (المنهل) إلى تتبع كل المقالات الصحفية والأحاديث الإذاعية التي كتبها ونشرها، وتدوينها في دراسة ببليوجرافية تساعد الباحث في العثور عليها، مشيراً في هذا الصدد إلى أنه قد استخدم في أحيان كثيرة أسماء مستعارة لبعض مقالاته، سواء في مجلة (المنهل) أو غيرها، فظهرت له مقالات بتوقيع ابن القاسم، وأبو العلاء وأبو نبيه والشاعر المجهول ورمز (ع.أ.و)، وكان توقيع (باحث) من أكثرها استعمالاً، ولم يكن لذلك دائماً صلة بجرة موضوعاتها.

هناك ثلاث مسائل، والمرء يقرأ في التاريخ الثقافي للأنصاري، تلفت النظر إلى مكانته الفكرية المتقدمة وريادته الإعلامية والأدبية، وهي مسائل لم تسلط عليها الأضواء - بما فيه الكفاية بعد - من قبل دارسي تاريخه، لا وحتى من قبل (المنهل)، الذي خصص العديد من الأبحاث عنه منذ رحيله قبل عقدين من الزمن:

الأولى : تلك الاستفتاءات، وكذلك الندوات، المستتيرة في أبعادها، الثرية في مضامينها، التي أطلقها عبر (المنهل) بين فترة وأخرى، عن قضايا فكرية وأدبية جدلية، وكان يشارك فيها أبرز أعلام الثقافة والأدب السعوديين في عصره، يمارسون من خلالها

(الحجاز)، إذ صدرت جريدة (المدينة المنورة) السعودية لعثمان حافظ بعد (المنهل) بشهرين.

وقد انتقلت مجلة (المنهل) إلى مكة المكرمة سنة ١٢٥٩هـ بسبب انتقال مؤسسها للعمل رئيساً لتحرير جريدة (أم القرى)، ثم توقفت عن الصدور مضطرة أربع سنوات ونيف (بدءاً من شهر رمضان المبارك ١٣٦٠هـ / سبتمبر ١٩٤١م) بسبب شح الورق إبان الحرب العالمية الثانية، بعد أن مرت بها فترة اضطرت فيها إلى تقليص صفحاتها، ثم عاودت الصدور من مكة المكرمة في شهر محرم ١٣٦٥هـ / ديسمبر ١٩٤٥م، وفي شهر شعبان سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م نقلت إلى جدة، حيث مازال صدورها منتظماً، تقترب في عامنا هذا من السبعين في العمر.

وأقولها بصدق، إن عودة (المنهل) إلى أحضان أمه الأصل (المدينة المنورة) هو بالنسبة لمحاضركم من أسعد تمنياته الإعلامية، والتي أرجو أن يسعى ناديكم الأدبي وآل الأنصاري إلى تحقيقها.

لقد كان الكتابان: الفضي، الذي صدر بعد مرور ربع قرن على تأسيس (المنهل)، والذهبي، الذي صدر بعد نصف قرن، سجلين ضافيين لمسيرة البلاد، السياسية والثقافية والإدارية، مع تراجم لعدد كبير من الأعلام والشخصيات، ورصداً دقيقاً لحركة التأليف والطباعة والنشر، ومسرداً لتفاصيل مفيدة عن الصحافة السعودية.

وفي تقدير المحاضر أن هذين الكتابين هما - وبخاصة الأول - أفضل مرجعين عن الشيخ الأنصاري ومجلته، فقد اشتملا على معلومات مهمة عن تاريخ (المنهل) وقصة الترخيص له، وعلى عرض لتطوره التاريخي والفني، منذ أن بدأت فكرته سنة ١٣٤٨هـ، وعلى سرد مفهرس (مبويب) للموضوعات التي نشرت فيه، وعلى الأوليات العديدة التي سبق فيها غيره من الإصدارات الصحفية، وقد نيل الكتاب الثاني بإعادة

مطولين [٧] ألح فيها إلى طرف من علاقتهما الفكرية وجهودهما في بدء ما أسماه بالأدب الحديث في المدينة المنورة، وقد بدا واضحاً فيهما مدى تأثر الأنصاري بصديقه ورفيق دربه * [ب]، علماً بأنهما ولدا في عام واحد، وسلكا خطوات متقاربة في حياتهما.

الثالثة : فهي أن عبد القدوس الأنصاري كان في الواقع موسوعي التخصص، لا يتردد المنصف في أن يطلق عليه لقب العلامة، فهو متشعب الاهتمامات، متنوع المواهب، وهو بدون مشاحة، الأستاذ في الأدب والتاريخ واللغة والآثار، بالإضافة إلى العلوم الشرعية، ويكفي أن يضرب المثل بموسوعة (مخطوطة) ضخمة عن النخلة، خلفها الشيخ الأنصاري، وهي تقع في (٧٠٠) صفحة، ستصدر مطبوعة في هذا العام عن دار (المنهل) بإذن الله تعالى.

ولم تكن تلك الريادات العلمية والثقافية سوى أمثلة من التنوع المعرفي، والانفتاح الفكري لدى الأنصاري، تتوج ما اشتهر به في الوسط الثقافي من تعمق في الأدب وفروعه: الكتابة، والنقد، والقصة، والشعر، والرواية، وما اكتسبه في تعليمه المبكر من ثقافة إسلامية متأصلة، فضلاً عما عرف عنه من أدب وخلق وسجاي إنسانية رفيعة المقدار.

مجلة المنهل :

واقترن اسمه في أذهان المثقفين بمجلة (المنهل) التي أصدرها في المدينة المنورة في ذي الحجة سنة ١٣٥٥هـ / فبراير ١٩٣٧م، مسجلاً بها الريادة الصحفية، في كونها أول مطبوعة صحفية سعودية في طيبة الطاهرة، وأم المجلات الثقافية السعودية، وأقدمها وأطولها عمراً، وأول مجلة أهلية سعودية، وثاني مطبوعة صحفية سعودية أهلية في المملكة بعد (صوت

الفكرية، مما كان يشترك في مناقشته عدد من الكتاب المشهورين.

وامتاز (المنهل) منذ عامه الأول بفكرة إصدار أعداد سنوية ممتازة، وأعداد خاصة عن موضوعات محددة، تعدّ في جودة المضمون والإخراج والطباعة، بمثابة كتب قائمة بذاتها، بلغت حتى الآن ما يقرب من (٣٨) عدداً ممتازاً و(٥١) عدداً خاصاً، وكان من بينها ما نشرته مجلة (المنهل) لأخرين في مجال الأدب والرواية (منفصلة عن المجلة، هدية منها)، وذلك بالطبع بخلاف ما كان يؤلفه الشيخ الأنصاري من كتب مستقلة تحمل اسمه.

ونجت مجلة (المنهل) من عملية إلغاء تراخيص الصحف والمجلات السعودية الفردية تمهيداً لإنشاء المؤسسات الصحفية سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، حيث استثنيت بقرار مجلس الوزراء الذي مهد لصدور نظام المؤسسات الصحفية، وصارت القاعدة منذ ذلك الحين استثناء المجلات المتخصصة التي سارت على خطى (المنهل).

وبعد :

لقد كتبت مقالات عديدة عن فكر الأنصاري وتراثه في الأدب واللغة والتاريخ والآثار، وأبحاث أخرى عن مجلة (المنهل)، كان من بينها تلك الدراسة التحليلية الشاملة التي أصدرها د. السيد تقي الدين في كتاب بعنوان: مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية [٨]، والواقع أنها دراسة متميزة تناولت محتوى (المنهل) من شعب ثلاث: صحفية واجتماعية وأدبية، وأحصت كثيراً مما انفردت به مقالات (المنهل) ودراساته من مبادرات وخصائص خلال النصف قرن الأول من عمره، ومع ذلك، فإن توأمي الأنصاري و(المنهل) يستحقان ندوة علمية من إحدى جامعاتنا، تخصص للتعرق فيهما، وجمع شتات ما كتب وتدوينه، والتعريف به.

طباعة أول عدد من (المنهل، في ذي الحجة ١٣٥٥هـ)، وكانت نخبة من الأدباء والمفكرين، قد شاركت في الإشراف على إعدادهما.

لقد كان (المنهل)، وما يزال، علامة مضيئة في التاريخ الثقافي لمدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام، ونجماً من نجوم الصحافة السعودية والعربية المعاصرة، ولم يعد مجرد مجلة من المجلات، فهو في شأنه ومقداره، يضاهي مجلات (المختار والمقتطف والهلل) [٨] في مصر، و(العربي) في الكويت ونحوها في أنحاء العالم العربي، ولابد أن نحافظ عليه حفاظنا على معالم الوطن وشواهد الحضارية.

وقد حرص الأنصاري على أن يجعل (المنهل) مجلة شهرية تخدم الأدب والثقافة والعلوم، وتتجنب الإقليمية والخصومات الأدبية، مبتعداً في ذلك عما ظهر في صحف أخرى من مقالات جدلية، فطرق ميدان النقد الأدبي بأسلوب رزين بناء ونقاش فكري جاد، وكان من أبرز صوره ما دار بين الأنصاري وحمد الجاسر حول حركة (جيم جدة)، التي نشرت مناقشاتهما في مجلة (المنهل) والمطبوعات الصحفية الأخرى، ثم ضمها كتاب مطبوع للأنصاري بعنوان: التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة.

ووفت مجلة (المنهل) بما وعدت به من الإسهام في إحياء التراث الأدبي، وتشجيع القصة القصيرة والشعر الحر، والاهتمام بما كان يترجم من الأدب العالمي إلى اللغة العربية (وبخاصة في مجال القصة القصيرة)، وكانت ذات شخصية واضحة وثابتة متأثرة بميول صاحبها فيما يكتب أو يستكتب، حريصاً على تقسيم (المنهل) إلى أبواب ثابتة، ومواضيع متجانسة، كمنهل الشعر، ومنهل القصص، ومنهل التلاميذ والشباب، ومنهل الكتب والصحف ونحوها، واهتمت المجلة بأطب المرأة ونشاطها الفكري، وابتكرت فكرة الاستفتاءات المنشورة على صفحاتها، لمعالجة بعض الموضوعات

١٩٢٩/٤/٢٦م والعدد التالي له، ونشر الثاني في
عندها رقم (٧٨٨) الصادر بتاريخ ١٦/١٢/١٣٥٨هـ/
١٩٤٠/١/٢٦م والعدد اللاحق له.

(٤) تضمن كتاب الحاضر: تاريخ الإعلام في المملكة
العربية السعودية، دراسة وثائقية وصفية وتحليلية
(١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، نص الأمر السلطاني المشار
إليه.

(٥) طبع في مطبعة طبية الفيحاء في المدينة المنورة، ويقع
في (٣٢٤) صفحة.

(٦) كان من أبرز الشخصيات الثقافية التي أسهمت في تلك
الاستقصاءات والحوارات: الأمير عبد الله الفيصل وعبد
العزيز بن محمد آل الشيخ ومحمد بن مانع وإبراهيم
الشورى وعبد الله خياط وحمد الجاسر وعبد الله بن
خميس وأحمد علي وأسمايل الأنصاري وعبد العزيز
بن باز ومحمد حسن عواد وحسين سرحان ومحمود
عارف وعلي فديمق وحسين عرب وقاسم بن ياروم وعبد
الله عبد الجبار وعبد العزيز الرفاعي وأحمد إبراهيم
القزوي وضياء الدين رجب وحسن قرشي ومحمد
سعيد العامودي وأحمد السباعي وصالح قرزان ومحمد
علي مغربي ومحمد مغربي ومحمد حسن كتيبي ومحمد
عمر توفيق وعبد الله عريف وعبيد وأمين مدني ومحمد
حسين زيدان وعلي وعثمان حافظ وأحمد عبد الفتور
عطار وطاهر زمشري وأحمد عبد الجبار ومحمد
حسن فقي ومحمد علي السنوسي ود. منصور
الحازمي وهاشم الزواوي ومحمد أحمد العقيلي وسعود
بن عبد الرحمن السنييري وعبد الفتاح أبو منين ود.
عبد الله الزيد وعاتق بن غيث البلائي وعباس العقاد
وعبد الله فدا وعمر الطيب الساسي وهاشم دغتر دار
وغيرهم.

(٧) مجلة المنهل، ربيع الأول ١٣٧٨هـ وشوال/ ذو القعدة
١٣٩٦هـ.

(٨) نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ.
١٩٨٤م ٣٢٥ صفحة.

(٩) أخذ الثاني تسلسل أعداد المنهل (٤٣٠)، محرم وصفر
١٤٠٥هـ (أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٤م).

أما الأمانة الثانية فهي أن يتعاون المجتمع الثقافي
لإعداد قهارس شاملة لهذه المجلة وإصداراتها الأخرى،
ولا أجد أفضل من ناديكم، أو مركز أبحاث المدينة
المنورة، لتبني هذه الفكرة والعمل على تنفيذها، خاصة
وقد مهد عبد القدوس الأنصاري - وابنه نبيه وحفيده
زهير من بعده - هذا الطريق، عندما دأبوا - منذ أن
أصدر المنهل كتابيه: الفضي ثم الذهبي [٩] - على
إصدار كشافات دورية عن محتوياته، كما بذل آخرون
محاولات جيدة لتحقيق هذه الغاية، وكان من أبرزها ما
أصدرته مكتبة الملك فهد الوطنية من إعداد د. عبد الله
سالم موسى القحطاني (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، وقد
تضمن تكتيفاً للمجلة لمدة خمسة وأربعين عاماً (من
١٣٥٥هـ - ١٤٠١هـ).

وحسبي في النهاية أن أقول: إن الأنصاري الذي
مر في دنيانا هذه بين عامي ١٣٢٤هـ - ١٤٠٣هـ، هو
من فئة من الرواد الذين يزداد تقديرهم بعد فقدهم،
وقد لا يستوعب المرء مدى ريادتهم إلا بعد مضي فترة
من الزمن على غيابهم، فهو علامة موسوعة، تقدم
عصره، وفاق بيئته، وسبق محيطه والجيل الذي عاش
فيه.

رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن أمته خير
جزاء.

الهوامش :

- (١) أحمد سعيد عبد المقصود ورشدي ملحق، أبحاث
جيدة حول هذا الموضوع نشرت في (أم القرى).
- (٢) ألقى هذا النظام نظاماً تركياً سابقاً كان صدر في
١٣٨١/٨/٢هـ، وقد نشر الدكتور محمد الشامخ
نصوص النظام في كتاب الصحافة في الحجاز،
الصادر عن دار الأمانة ببيريت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
- (٣) نشر الأول في جريدة (أم القرى)، في عندها رقم
(٢٢٦) الصادر بتاريخ ١٦/١١/١٣٤٧هـ.



من اليمين د. الشبيلي، زهير الأنصاري، د. نايف الدعيس، أ. يوسف ميعني

في نهاية المحاضرة كانت
هناك تعقيبات من الحضور
وكلمة لنانث رئيس تحرير
مجلة المنهل الأستاذ زهير
نبيه الأنصاري جاء فيها :

أشكر نادى المدينة الأدبي
العريق على تبنيه هذه
المحاضرة بعنوان (عبد
القديس الأنصاري ومجلة
المنهل قصة ريادة الصحافة
السعودية).

وهذا يدن نادينا

العريق لتكريم رموز الأدب والفكر في مدينتنا مدينة
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شاكرًا لأستاذي
الدكتور/ عبد الرحمن الشبيلي (عضو مجلس
الشورى) هذا الطرح المميز؛ ولقد شرفت بأن ساهمتُ
بقدر المستطاع في الاستجابة لطلبات أستاذنا
الدكتور/ عبد الرحمن خلال كتابته لهذه المحاضرة
القيمة، والواقع أنني لمستُ ولمستُ معي أسرة تحرير
مجلة المنهل - حرص أستاذنا الدكتور عبد الرحمن على
أن تكون المحاضرة شاملة ووافية وكان حرصه دقيقًا
حتى في التواريخ والأرقام وأشكره وأكرر شكرى
العميق له.

وهذا ما أسعدنا جميعًا في مجلة المنهل ..
وأعدكم بأن المنهل ستستمر - إن شاء الله -

وستطور - إن شاء الله - في حدود إمكانياتها المتاحة
البسيطة - والتي تعرفونها جميعًا - فهي ذات موارد
بسيطة، يسندها من ورائها دعم حكومي، له عندنا
مكان التقدير .. وإن كنّا ننتظر المزيد، لما يوافي
ضخامة حجم المسئولية .. ومجلة المنهل أخذت عهدا
على نفسها بأن تستمر في الصدور بأي حال من
الأحوال وفي أي ظرف من الظروف، وهي كذلك منذ
إنشائها وحتى يومنا هذا، لم تتوقف .. وهذا فضل
كبير من الله سبحانه أن سند الخطى ووفق ..

وأتمنى، كما تمنى الدكتور الشبيلي، أن نرى
المنهل - إن شاء الله - في المدينة المنورة - حيث نشأتها
الأولى - وأشكر الدكتور على أمنيته هذه وكم أتمنى
تحقيق هذه الأمنية مع نادينا وبمباركة أهل المدينة
الكرام .. ولكن تبقى هناك ظروف وصعاب تمنعنا من
تحقيق ذلك على المدى القريب.

يقول الانصاري متحدثاً عن نفسه بأسلوب الحكاية الذي يجيده (٠٠) وقد ألح المدير الفتى - أي مدير مدرسة العلوم الشرعية - والفتى أي الانصاري بقصد نفسه - بأنه مزعم تعيينه مدرساً عقب تخرجه مباشرة، إلا أن مطالب الحياة دعت الفتى الى ان يقبل وظيفة كتابية بأحد الدواوين الحكومية .. وقد أحس حينئذ بشيء من وخز الضمير تجاه مديره الذي طالما عطف عليه ..) ص ٢٦٣/ نفس المقال والعدد ..

ثم عمل بعد ذلك (أستاذاً للادب العربي بالمدرسة - أي مدرسة العلوم الشرعية - زهاء اثني عشر عاماً) ص ٢٤٨/ عدد جمادى الآخرة ورجب ١٣٩٨هـ.

ويقول الانصاري في نفس هذا المقال: (وما أبعثنى عن هذا الدرس الذي كنت احبه حباً جماً إلا صدور الأمر الملكي الكريم من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله بأن اشتغل بمكة المكرمة رئيساً لتحرير جريدة ام القرى الرسمية) نفس العدد والصفحة .. وكان ذلك في عام ١٣٥٩هـ.

ونلاحظ هنا ونسجل ان الشيخ عبد القدوس الانصاري، ذلك الفتى المتدفق همة ونشاطاً وطموحاً، كان (موظفاً في ديوان الامارة .. وأستاذاً في مدرسة العلوم الشرعية .. ومباشراً عمله في مجلته المنهل) كل هذا في وقت واحد .

المحرر :

* [ب] الرائدان العظيمان: عبد القدوس الأنصاري وعبيد مدني - رحمهما الله بفضلهم وأحسن اليهما - تماثلت بدايات حياتهما - ولا أقول حياتيهما - تماثلا كبيرا، من حيث النشأة والتكوين العلمي والثقافي ..

كذلك أعد الجميع في القريب - إن شاء الله - أن نجتمع ما نشر في المنهل عن تاريخ مدينتنا الحبيبة - المدينة المنورة - وان نعمل على تحقيقه ونشره بمباركتكم ودعمكم وبأفضلكم جميعاً على المنهل وأسرة تحريرها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

زهير الانصاري

المحرر :

* [أ] حسبما جاء في كتابات الشيخ عبد القدوس الانصاري بقلمه انه بعد نجاحه وتفوقه في اداء الاختبار النهائي عمل في ديوان امانة المدينة المنورة مباشرة .

يقول الانصاري:

«وثاني يوم بعد نجاحي في الاختبار الشاق العنيف كنت جالساً على مكتبي في ديوان امانة المدينة المنورة موظفاً صغيراً بها - أصغر من جميع الموظفين به، كان ذلك في غرة شهر رمضان ١٣٤٦هـ - (ص ١٤/ عدد ذو القعدة وذو الحجة ١٤٠٢هـ) .

وكان أن حضر الاختبار العمومي الذي أجرى لطلاب المدرسة (مدرسة العلوم الشرعية) رئيس ديوان امانة المدينة المنورة الشيخ اسماعيل حفظي - وكان ان اعجب بالاداء المتفوق للشاب النابه عبد القدوس الانصاري فإشار الى وكيل الامارة بنن يلحقه بديوان الامارة .

وفي مقال سابق للأستاذ عبد القدوس الانصاري بعنوان (عهد جديد) نشر في عدد رجب - شعبان ١٣٧٤هـ .

كانت المنزل الأول الذي نهلا منه سوياً.

- بدءاً سوياً - الأنصاري وعبيد مدني - أول نشاط أدبي جماعي يهدف الى تنشيط الحركة الادبية في المدينة المنورة بخاصة، وفي الحجاز بعامة.

- شاعت ارادة الله سبحانه وتعالى أن يتحد تاريخ مولدهما فقد ولدا في عام ١٣٢٤هـ. في المدينة المنورة. - وشاء القدر - أيضاً - أن يتوفى والداهما وهما بون العاشرة من العمر.

- وشاء القدر أيضاً أن يمتد الود بينهما، وتمتد صداقتهما امدأ ميدياً.

- مواطن اللقاء بين حياتيهما - عليهما رحمة الله - شكلت توافقاً - الى حد كبير - في تفاصيل عطائهما، وبخاصة في المرحلة الأولى من حياتهما.

ولولا مخافة الاطالة، لبسطت القول في هذا الموضوع، ببعض ما قال الشيخ عبد القدوس الأنصاري. - والمراجع المدقق للمقالات التي كتبها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري عن الأستاذ السيد عبيد مدني يتبين اليه ما ذهبا اليه. - ويمكن مراجعة المقالات المنشورة في المنزل : «الأعداد»

- ربيع الأول ١٣٧٨هـ/ ص ص ١٧٣ - ١٨٣.

- رجب ١٣٨٦هـ/ ص ص ٣٤٣ - ٣٤٧.

- شوال ونو القعدة ١٣٩٦هـ/ ص ص ٦٧٣ - ٦٨٠.

وهذا الأخير بعنوان (الصديق الكبير الذي فقدناه السيد عبيد مدني) ومراجعة ما كتبه عنه الاستاذ عبد القدوس الانصاري في كتابه الذي لا يزال مخطوطاً وهو بعنوان (أول أثر ظهر من آثار النهضة الأدبية الحديثة بالمدينة المنورة).

ومن حيث الطموح المشترك المتناغم بينهما. - وإن تمايزا بعد ذلك، في أسلوب ومنهجية العطاء. -
لهذا، يصعب الذهاب الى أن أحدهما قد أثر في الآخر. - أو تأثر به. - وإن كان شيء من ذلك فهو الأثر المتبادل بين الاتراب.

والاستاذ عبد القدوس الانصاري، حين يكتب عن السيد عبيد مدني، فانه إنما يكتب عن نفسه أيضاً، والى حد كبير جداً. - ذلك للتقارب الكبير بينهما في: - البيئة العلمية والاجتماعية العامة التي عاشا فيها، وشكلت معارفهما، وتوجهاتهما.
- الطموح والجدية، والثبات على المبدأ. - والرغبة في الإصلاح.

- التفكير المشترك بينهما في إنشاء وتأسيس صحافة أدبية تنشر بوارد النهضة الادبية والاجتماعية والعلمية في الحجاز، ورعاية هذه النهضة وتنميتها.
- اقترح السيد عبيد مدني ان ينشئ مجلة أدبية باسم (الفاحة) واقترح الاستاذ الانصاري ان ينشئ مجلة أدبية باسم (المنهل) وشاء القدر أن تستمر هذه الأخيرة في الصدور حتى يومنا هذا.

- الانصاري ومدني تلقيا تعليمهما في المسجد النبوي الشريف وفي مدرسة العلوم الشرعية على شيخهما الشيخ محمد الطيب الانصاري.

- الأنصاري تعهده بالتربية والتعليم منذ صغره شيخه محمد الطيب الانصاري. - وعبيد مدني تولى تربيته الأدبية منذ الصغر الايب محمد العمري.

- مكتبة والد السيد عبيد مدني وكانت مكتبة عامرة، متنوعة المعارف كما يصفها الانصاري - تلك المكتبة



أكذوبة العولمة في الزمن الصيني

بحقيقة أكذوبة «العولمة».

كيف يُصدّق هذا الزعم والصين. وما أدراك ما الصين في ذهنتنا وذاكرتنا. ذلك العالم وحده الذي غذى أسواق الكون الأرضي ولم يترك بقعة فيه من بلاد العرب والعجم إلا وغزا سوقه من عود الثقاب والإبرة والقلم الى آخر نوع من أجهزة الحاسوب المتطورة.

هنا في الصين يتوقف زمن العولمة وتتلشى أطروحة الكوكبية أو الكونية (العالم قرية صغيرة)، قد يبدو هذا القول للوهلة الأولى غريباً وبعيداً عن الواقع المعيش في أوطاننا ودنيا الغرب المتحضر، لكن الزائر لامبراطورية الصين الشعبية بهذه العقلية «العولمية» يصطدم - خاصة زائرها لأول مرة -

الحقيقة، ثقافة خطاب الحداثة والعصرنة أمام الإقلاع الحقيقي لبناء الأمة الصينية كأحد أقوى قوة اقتصادية تؤمن بالذات وتحاصر زحف الآخر .

يصعب على المرء الذي يلمس هنا في الصين معطيات حيائية قد تكون غريبة - وهي غريبة حقا - عن المؤلف العربي والغربي، أن يطرح هذا الكلام ليفصل الشرع والبسط؛ لكن العيش في أحضان هذا الفضاء الواسع بمساحاته وخلائقه وعجائبيته - ولو لأسابيع معبودة - يفرض على الحائر العربي - عفواً الزائر العربي المسلم - تسطير بعض الحقائق التي تقرب القارئ من هذا الواقع/ الزمن الهارب من كل شيء إلا من أمته وإثنيته:

** يقصد هذا البلد/ الأمبراطورية - التي لا يكفي المرء مدة حياته كلها لطوافها ومشاهدتها - تجار العالم الكبير والاقبل درجة منهم الى جانب

السياح الغربيين الذين يظل عددهم قليلا جداً مهما ارتفعت نسبتهن، وكذلك الهيئات الدبلوماسية الرسمية، وتبقى بطبيعة الحال لغة التخاطب والتواصل الوحيدة هي الإنجليزية، وكل واحد من هؤلاء يعتقد أن ما معه من هذه اللغة سيكفيه قضاء مآربه وحاجياته؛ وبهذا الاعتبار كنتُ أعتقد - أستعمل الفعل الماضي لدلالة توقف الفعل - أنه سيكون لزماً على السياسة الثقافية والتعليمية للدولة الصينية أن تجعل من هذه اللغة مادة أساسية مركزية تحقق للإنسان الصيني بمختلف شرائحه تواصلها بها

ذلك التدين الأصفر الذي أغرق العالم - المصنف عالمياً بالأول - بانتاجه وسلعه؛ بل هو البلد الذي استطاع أن يفرض - بقوة عزيمة وكد متواصل - تسويق صادراته واجتياح السوق العالمي بماركة (صنع في الصين)!!

هل فعلاً ينتهي هنا زمن العولة ويبدأ الزمن الصيني؟ هل من تفسير لهذا الكلام؟!!

دخلنا الصين من بابها الواسع وبمقليتنا العربية المغربية المزوجة بصيغة التحضر والعصرنة المدنية ونزلنا بأحد أكبر مطارات الدنيا بشانغهاي الذي يضاهي مطار هيثرو اللندني وقد لا يساوي أمامه شيئاً مطار «برفاص» بمدريد ولا «شارل دي غول» بباريز.

وأثناء هذا الدخول الذي تلمس فيه مدى التقدم والصنعة الصينية بمطار (Pudong) تذكرت يوم دخل بلدنا ابن طنجة ابن بطوطة - رحمه الله - الى الصين وقصد تلاطمت به الأمواج ولطف

الله به وأنقذه ومن معه من موت محقق؛ تذكرت كنه الرحلة ومشاقها ومدى المفارقة بين الرحلة العربية التقليدية والرحلات المعاصرة المريحة.

بدأنا ننغمس شيئاً فشيئاً في الحياة الصينية وآثرنا التركيز على الهامش والمحيط أي الابتعاد عن أماكن الزيف والمظاهر السياحية والاستهلاكية قصد استكناه العمق في الزمن الصيني؛ عندها بدأت تتلاشى في ذاكرتي أطروحة «العولة» الحقيقة حسب الزعم الأوربي الأمريكي، وينمحي من مخيلتي سراب «الكوكبة» لألس بصدق وعفوية حقيقة

** العولة:

مصطلح لا

وجود له

عندهم..

وعالمهم وحده

هو الأهم

عندهم.

**** حسبنا أن الانجليزية هي لفظة التخاطب العالمية، لكن أهل الصين لا يولونها انتباها.. ولا يرغبونها. ** الغرب حاول كثيرا اختراق الصين بمولته.. لكنه لم يقدر.**

مع العالم الذي يحتاج الى هذا البلد/ الصين. يعجب المرء إذا علم أن الصيني - كما خبرته ولتعدني النخبة الجامعية والأكاديمية الصينية - لا يعلم بل لا يهمنه أن يعلم ولا خطر بباله أن هناك لغة عالمية مهيمنة على ثقافة الحاضر هي «الإنجليزية» إن الذي يمكن أن يحدثك به صيني ما بهذا الخصوص هو أن لغته التي أرضعته إياها تربة بلاده هي اللغة التي خلق للتحدث بها في هذه الحياة - وقد نعود لموضوع الخلق والإيجاد والبداية والنهاية وما بعد النهاية في مخيلة الإنسان الصيني في مناسبة ما - والقلّة القليلة جداً هي التي تتحدث الإنجليزية على نحو لو علمه أصحاب هذه اللغة لأرسلوا برقية احتجاج . ويبقى أنك تحتاج الى مترجم يرافقك في رحلتك لقضاء مآريك التجارية والسياحية والمعيشية ومن خلال هذا

المرافق المترجم - وهو شاب ظريف يتعامل معه صديقي في التجارة منذ سنوات قليلة - استطعنا أن نعرف الكثير عن مواطن وأغوار الحياة في أدنى الأرض، أو بلاد «يانجوج» وماجوج» كما نعتها أحد أصدقائنا الذين زاروها من قبل .

وإذا استثنينا موضوع «المترجم» فإن وسيلة التواصل مع المجتمع تجارياً وسياحياً تبقى مفككة مجزأة تحتاج لطول الوقت وتوظيف اللغة الإشارية والجمع بين اللغات لعلك تحقق الفهم والتفاهم . وطرحتنا على أنفسنا جملة تساؤلات: كيف لهذا الإنسان أن يحقق تواصلًا مع العالم حوله بدء من الكوريتين واليابان وروسيا وانتهاء بالطرف الآخر من الكون؟! بل تسألنا هل هو في حاجة الى الاهتمام وإشغال فكره وباله بما يجري حوله؟ هل تتحرك هنا ثقافة المجتمع المدني وخطاب المنظمات الحقوقية والرفق بالحيوان، و«موضة» النزعات الإثنية والنبيش في مآسى الماضي؟ وأخيراً هل الحياة هنا في الصين - بهذا الكنه والعمق والخصوصية التي تحسبها هنا .

تركت لهذا الإنسان وقتاً بل قبساً من فكر في الجلوس أمام الحاسوب ليوظف قناة الإنترنت لملاقة من يشاركونه الهموم والرغبات؟ وهل لهذا الإنسان هموم حتى يبوح بها؟!؟

****** وأنت تأتي الى الصين لا يخطر ببالك أنك ستقطع عن مالك وديارك الساكنة في قرص ذاكرتك، يكفي أن نؤكد انسجاماً مع ما سبق أن ما يعرف بـ «الفضائيات» و«النيميريك» هذه القنوات المتعددة التي ألهمت الكثير من العقول الجامدة والتي قدمت - أي القنوات - خدمة كبرى لموضوع العولمة لا يعرف لها هنا ذكر ولا معنى؟! والتساؤل لماذا؟ لكن السؤال نطرحه نحن أما الصينيون فمغمسون في عالم بناء الأمة والنهوض بالذات .

الأصل (خوليو كليسياس) الذي غنى لأول مرة في حياته بالمغرب هذا الصيف، وهو الذي زار المغرب أكثر من مائة مرة كما قال في الحوار ولم يطلب منه الغناء إلا الآن - إنه زمن الحداثة والتقدمية المزيفة - قلت لصاحبي هذه ثلاث صور مختلفة لمغن فتنت به الأجيال من الكبار والصغار سنسأل هذا الشاب الجامعي المجاز كاختبار لعقلية الجيل الجديد من الصينيين فلم يعرفه ويان على ملامح وجهه كأنه يقول: ولماذا أعرفه؟! الشباب هنا يعيشون زمنهم وعالمهم الصيني - فإنز هناك «عولتان» لينتبه دعاة «الكوكبة» الى هذه الحقيقة التي يصمون أذانهم عن سماعها.

وحتى بلاد المغرب الأقصى الذى يحبه المسلمون الصينيون المثقفون لتجذر الإسلام في تاريخه وماضيه وحيته، هذا المغرب لم يعرفه صاحبنا المرافق لنا إلا سنة ١٩٩٧م بعدما اضطرت ظروف عمله للتعامل مع أحد التجار المغاربة. وأكثر الناس هنا الذين يسألوننا عن أصلنا وبلدنا لم يعرفوه وعليك أن تنطقه باللسان الصيني «مولوكو» أما (Morocci) بالانجليزي فلا يعرفونه، ويتكلف المرافق بتحديد موقع بلدنا فيبسمون كأنهم قد عرفوا، والله أعلم بهم هل فعلا عرفوا موقعه أم مجرد أدب ولباقة.

وأخيراً أعجب ما أعجب له - والصين كلها عجب - هو لماذا لم يتحدث ابن بطوطة الطنجي عن غرابة شكله وجهها وقامة عن الشكل الصيني لما دخل هذه الديار قبل ٧٠٠ سنة؟ ألم يقلقه انتباه الناس واندهاشهم بل ووقوفهم للحلمة أمام شكله كما نحن الآن هنا!!

العولة الغربية هذه الأكنوية التى حملتها معي الى بلاد الصين سرعان ما تلاشت من ذاكرتي؛ إن الزمن الصيني منيع الاختراق، حاول الغرب أن يبدش من «هونغ كونك» منطلق الاختراق وإشاعة قيم الاستهلاك والرزيلة فلم تسمح له «عالمية» الصين.

السياسة الثقافية الصينية على مستوى وسائل الإعلام تقوم على الهوية الصينية، وبهذا المبدأ فهي تبث فقط الفضائيات الصينية المتعددة الوطنية والمحلية لكل منطقة وجهة، يضاف الى ذلك قنوات اليابان (واحدة) الهونك كونك (واحدة رياضية)؛ ولا يسمح لأي قناة أجنبية بالالتقاط حتى الشهيرة عالميا ك (CNN) والأورونيوز أو (BBC) التى يفترض وجودها في إطار خدمة الاستثمار السياحي، ولاكون أمينا، على الأقل لا وجود لها في الفنادق الفخمة المصنفة كفندق Orchid Garden Hotel وسط مدينة سوزو، وفندق New Aria بشانغهاي.

نحن هنا الآن لا نتحدث عن الزائر العربي الذى بإمكانه أن يحصل على الخدمة الإعلامية بلغة أجنبية عن الصين بالتجانه الى الوسيلة الوحيدة القاهرة الإنترنت، نحن نقصد علاقة المواطن الصيني بما وراء الحدود/ العالم الخارجي، يمكنه الحصول على بصيل من هذه الأخبار من خلال قنواته المحلية.

ومع ذلك للقارئ الكريم أن يقرر مدى استفراينا من عدم وجود قناة فضائية عالمية - بالمفهوم الغربي - ولا نقول قناة عربية، بل ولم لا عربية؟! تحقق تواصل بينك وبين أخبار بلادك العربية في زمن الانتفاضة والطفغان اليهودي.

أكنوية العولة تقتحم أسوار الصين فتعود بجبروت هذا الإنسان المتعالي عن التفاهات خائبة منذ مدة أمام زهو الحضارة الصينية المحصنة في عمقها بروح البساطة والابتدال والدروشة بلغة المتصوفة.

** نكتة «عرض صور المشاهير»: كانت معنا صحيفة عربية شهيرة حملناها معنا من المغرب، وذات مساء عرضنا بعض صور الملوك والرؤساء على أحد مرافقينا فلم يعرف أحداً منهم، وكانت ذات الصحيفة قد أجرت حواراً مع المغني الأمريكي الإقامة الأسباني



مدينة الجسر مدينة موستار بالبوسنة والهرسك

المنطقة منذ عام ١٩٩٥م تقريبا وحتى وقتنا الحالي.

وتحتفل مدن البوسنة والهرسك بالعديد من الآثار والمنشآت الإسلامية المتنوعة التي تم تشييدها خلال فترة تواجد الأتراك العثمانيين بها من أجل تلبية مختلف الاحتياجات الدينية والثقافية والصحية والأمنية وما شابه ذلك. وقد تمت إقامة معظم هذه الآثار والمنشآت على نفقة أهل الخير والمتبرعين من سكان هذه المناطق من مسلمين ومسيحيين، وتم اتخاذ اللازم نحو تعديلها وتكييفها وجعلها ملائمة لظروف البيئة المحلية والمفاهيم الخاصة بها.

من المؤكد أنك إذا أردت الاطلاع على تاريخ شعب من الشعوب وطبيعته فمن السهل أن تفعل ذلك عن طريق التعرف على أحيائه وقراه ومدنه، إذ أن دراسة المدن تقدم لنا عرضا موجزا لتاريخ الشعب وإنجازاته الحضارية والثقافية والعمرانية، هذا بالإضافة الى تعرضها لعاداته وطباعه وتقاليده وما الى ذلك من أمور... ومن هنا فمن أراد التعرف على تاريخ شعب البوسنة والهرسك وإنجازاته الحضارية والثقافية والعمرانية فلا بد أن يقوم بدراسة المدن البوسنية، وسيشعر على الفور، منذ الوهلة الأولى، بطابعها الشرقي الاسلامي الذي استمر باقيا منذ عهد وجود الأتراك العثمانيين بهذه

بالإضافة الى تشييدهم للمدن الجديدة. وهنا، في مدينة موستار، عملوا على توسيع رقعة المنطقة السكنية القديمة فنشأ حي فيدان على الشاطئ الأيسر لنهر نيرتفا وحول أقدم جامع، ثم ظهرت السوق التجارية بكل مشتملاتها وظهرت الأحياء والمناطق السكنية الجديدة التي ازاحت مثيلاتها القديمة الموجودة في المكان نفسه منذ القرون الوسطى وزادت مساحتها وتقوت عليها في أهميتها الاقتصادية والتجارية والسياسية وذلك لوقوع المدينة في مفترق الدروب بين طرق السفر والترحال بمنطقة الهرسك حينذاك.

وفي المرحلة التالية تم تشييد الجسر وقلاعه الدفاعية ومن ثم ازدهرت بمدينة موستار مختلف ألوان الحياة البشرية وفنون الهندسة المعمارية بحيث أصبحت، وخاصة بعد جعلها مقرا لسنجق الهرسك آنذاك، تضم حوالى سبعة وثلاثين جامعا وحيا وتسع مدارس وخمسة وثلاثين كتابا وثمانى نافورات ومائة وخمسين صنبورا عموميا وثلاثة حمامات عمومية وتسع استراحات للمسافرين ولعابري السبيل ومائة وخمسين مكتبة خاصة وعامة للقراءة. وحفلت المدينة خلال نفس الفترة بالعديد من العلماء والمتعلمين والشعراء ورجال الدولة وغيرهم. واشتهرت المدينة بكونها أفضل وأكبر مركز للثقافة ومقر للعلم في البوسنة خاصة وفي كل منطقة البلقان الاسلامية عامة.

وتعد هذه المدن البوسنية بكل آثارها ومنشأتها شاهدة على عصرها وتسجيلا موثقاً لزمانها، كما تعتبر مرآة لمفاهيم شعب البوسنة والهرسك وتطلعاته آنذاك. وتحسب انعكاساً لأساليبه التعبيرية المعمارية في ذلك الحين، هذا بالإضافة الى قيمتها التاريخية والفنية التى تتزايد مع مرور السنين والقرون.

ومن المدن البوسنية الشهيرة مدينة موستار التى تقع على نهر نيرتفا ويمكن اعتبارها المركز التاريخي والعسكرى والاقتصادي والاداري لكل منطقة الهرسك.

وإذا أردنا البحث عن الأصول الأولى لهذه المدينة فسنجد أن المراجع التاريخية القديمة تفيد بأنه كانت توجد في القرون الوسطى منطقة سكنية في نفس مكان مدينة موستار الحالية وينسب تشييدها الى شخص يدعى راديفوى ويرجح أنه كان أحد زعماء الكنيسة البوسنية ويعمل في خدمة الحاكم ستيبان. أما الجسر الخشبي الذى كان متواجدا مكان جسر السلطان سليمان الكبير فجرى ذكره لأول مرة في عام ١٤٥٢م. حينما تمرد أحد أبناء الحاكم ستيبان ضد والده واستولى على بعض مدنه وعلى القلعتين المشيدتين على الجسر.

ومنذ بداية تواجد الأتراك العثمانيين بالبوسنة والهرسك تعودوا على تجديد المدن القديمة بها وإعادة الاستيطان بها وتوسيع رقعتها وذلك

هنا حصلت المدينة على اسم موستار باللغة البوسنية وترجمته «مدينة الجسر».

وكان جسر السلطان سليمان الكبير يثير الزائرين بجماله ويلفت انتباه العابرين بروعته وفنتته وتم تصميم وتشيد هذا الجسر وفقاً لأسلوب المهندس المعماري العثماني المشهور سنان الذي يعد من أساطين العمارة العثمانية التقليدية حينذاك. وتم العثور على وثائق مكتوبة تفيد بأن تلميذه اللبيب ومساعدته النقيب المهندس خير الدين هو الذي قام بتصميم هذا الجسر والإشراف الهندسي على إقامته وتشيدته.

ويقال أن عملية بناء الجسر استغرقت تسع سنوات تقريباً.

ويعلو هذا الجسر القديم مجرى نهر نيرتقا العريض بقوس حجري جسور. ويبلغ طول الجسر ٤٩٤٠ متراً ويرتفع فوق مستوى المياه بحوالي ٢١ متراً ويقدر عرضه بحوالي ٤٣٠ من الأمتار، وترصع جانبي الجسر قلعتان مشيدتان من الأحجار وتستخدمان لأغراض حراسته وحماية حركة العبور فوقه، ومن المرجح أنه لم يتم تشييدهما مع الجسر وإنما في أواخر القرن السابع عشر الميلادي في فترة الازمة السياسية والاقتصادية وفي عهد نشوب حرب العصابات وقطع الطرق، وتم الانتهاء من تشييدهما في عام ١٦٧٦م، على وجه التحديد كما هو مسجل بالنقوش المحفورة على العمود الأيسر للجسر.

وسجل الرحالة أولياجلي أنه طاف بكثير من

وجرى ذكر مدينة موستار لأول مرة في الوثائق العثمانية في عام ١٤٧٤م. حينما أقام أسكندر، جابي الضرائب، عدة مشروعات خيرية بها وأوقف لها عدة أوقاف للاتفاق عليها.

أما الجسر المعروف باسم جسر السلطان سليمان الكبير أو الجسر القديم فقد تم الانتهاء من إقامته وبنائه في عام ٩٧٤هـ الموافق عام ١٥٦٦ - ١٥٦٧م. وأقيم الجسر في المقام الأول من أجل تسهيل تلبية احتياجات التجارة المحلية والإقليمية وكذلك لخدمة العمليات العسكرية التي اعتزم العثمانيون القيام بها على الشاطئ الأيمن من نهر نيرتقا.

وليس من نافلة القول التنويه إلى أن المهندسين العثمانيين قد نجحوا نجاحاً باهراً آنذاك في السيطرة على فن ومهارة هندسة تشييد الجسور وإقامتها، وهو أمر كانت له أهمية بالغة بالنسبة لغزوات العثمانيين وحملاتهم التوسعية وكذلك بالنسبة لإقامة المدن وتأمين حركة المواصلات على الطرق الرئيسية للامبراطورية العثمانية.

وقد سجل بعض الرحالة العثمانيين انطباعاتهم عن جسر موستار القديم، فذكر الرحالة الحاج كالفا أن هذا الجسر يرجع إلى القرون الوسطى وكان مقاماً من الأخشاب ومعلقاً بجنازير حديدية ويتأرجح أثناء المرور عليه بحيث كان يملك العابر خوفٌ شديد عند اجتيازه، أما الرحالة أوليا جلي فقد سجل أنه وفقاً لروايات المؤرخين اللاتين فكان يوجد بهذه المدينة جسر مشدود بسلاسل حديدية قوية. ومن



(جامع بابا بشير، جامع قراقوز بك ومدرسته، جامع تشيخان تشيهاي بك ومدرسته، جامع درويش باشا بايزيد أغا، جامع روزنا ميدجي ابراهيم أفندي، جامع كوسكي باشا ومدرسته، جامع تابا تشيتش، جامع نصوح أغا فوتشياكوفيتش، جامع ميمن ومدرسته، جامع كامبر أغا، جامع الحاج فيلين، جامع كوتلين وغيرها .

ومن أقدم الجوامع الموجودة بمدينة موستار جامع بابا بشير الواقع في أقصى الناحية الغربية في حي بالينوفاتس، وبالإطلاع على سجلات الإحصاء لسنج الهرسك في عام ١٥٨٥م، تبين أنه يوجد بمدينة موستار أربعة عشرة حيا ومنها حي بشير أغا الذي يقطن به أربعة وثلاثون عائلة، وقد تشكل الحي ونما في النصف الثاني من القرن السادس عشر حول جامع بشير أغا الذي تم تشييده

البلدان ولكنه لم يجد في أي مكان مثيلا لهذا الجسر العالي الجميل . . جسر السلطان سليمان الكبير، وبدا له أن هذا الجسر الذي يبلغ طوله مائة خطوة يلوح كقوس من أقواس الطيف .

وكما هو الحال مع العديد من المدن البوسنية فقد أقام أصحاب الأيادي البيضاء بمدينة موستار الكثير من المنشآت الاقتصادية والانسانية والاجتماعية، ويبلغ ما أقامه ثلاثة منهم فقط، وهم: تشيخان تشيهاي ونصوح أغا فوتشياكوفيتش وقرقوز بك، حوالي ١٤٥ دكانا بالأسواق وثلاث استراحات للمسافرين والعابرين ومطعما عموميا وتكية وغير ذلك من المنشآت الإسلامية الخيرية .

وخلال الفترة من عام ١٤٧٦م، وحتى عام ١٦١٨م، تم - على سبيل المثال لا الحصر - بمدينة موستار تشييد الجوامع والمدارس الاسلامية التالية:

الأيمن مثذنة حجرية بلغ ارتفاعها حوالي عشرين مترا، وشكل الجامع مستطيل وبلغت أبعاده الداخلية ١٠ر٤٥ × ١٠م، أما المساحة الاجمالية مضافا إليها مساحة الفناء فقد بلغت ٢٣٨ مترا مربعا، وفتحت بجدار المحراب أربع نوافذ، وبالجدار الأيمن نافذتان، وثلاث نوافذ بالجدار الأيسر، وزين ساحته الداخلية جناح جميل للحريم مصنوع من الأخشاب وممتد بعرض الجامع كله.

وخلافا لما كان يتم اتباعه عند إقامة الجوامع من تشييد المثذنة على الجانب الأيمن والمدخل وبجانب الجدار الأيمن للجامع فإن جامع تشيخان تشيهاى بك يعد من الجوامع النادرة الذى تمت إقامة مثذنته على الجانب الأيسر من المدخل، ووفقا لاحدى الروايات الشعبية فقد كان واقف هذا الجامع مملوكا ثم أصبح عالما كبيرا ومن كبار رجال الدولة ثم واليا على هذه المنطقة، ولذا فقد قام بتشيد المثذنة على اليسار حتى لا ينسى ما كان فيه وما أصبح عليه وحتى يتذكر على الدوام أن القضاء والقدر بيد الله وحده.

وفي مرحلة لاحقة أضيف الى الجامع كُتّاب ومدرسة يحلمان نفس الاسم، وأقيمت المدرسة على شكل حرف (إل) وضمت أربع حجرات لإقامة التلاميذ ومعيشتهم وحجرة واحدة لتلقى الدروس، والمدرسة والكتّاب مشيدتان من الأحجار ولهما سقف خشبي مثل كثير من المباني بمدينة موستار، وجدير بالذكر أنه تم هدم المدرسة في عام ١٩٣٠م.

ويوجد بمدينة موستار أربعة جوامع لها مآذن صغيرة منفصلة عن مبنى الجامع نفسه، وهى



آنذاك. فالجامع هو الأقدم عمرا، وحصل الحى على اسمه وفقا لاسم الجامع، ولم يتم التوصل مطلقا الى أية معلومات عن شخصية بابا بشير أغا، ولا إلى وصيته الوقفية أو ما شابه ذلك. إلا أنه وفقا للروايات الشعبية فقد قام اثنتان من عائلة باكوفيتش: بابا بشير والحاج على بك لافو بإقامة جامعين بمثذنتين حجريتين.

وقد أوقف بابا بشير بعض الأوقاف للانفاق من إيراداتها على الجامع وصيانتها، وعلاوة على ذلك أوقف الدرويش محمد باكوفيتش بوصيته المؤرخة في عام ١٨٣٨م، بعض الأوقاف الأخرى لكى يقوم المسئولون عن الجامع بتوزيع الخبز على الفقراء وقراءة القرآن وختمه على أرواح صاحب الوقفية وأسرتة، وكانت هذه من التقاليد المتبعة آنذاك.

وقد تم تشييد الجامع بالأحجار المصقولة، وعلاه سقف ذو أربعة جوانب، وأقيمت بجانب الجدار

وقد عاشت مدينة موستار أياما عصيبة في عهد الاحتلال النمساوي المجرى للبوسنة والهرسك، وكذلك في عهد الملكية اليوغسلافية فقد تمت مصادرة الأراضي والاملاك والأوقاف وتم تطبيق قوانين الإصلاح الزراعي بهذه المنطقة دون غيرها من المناطق. وهكذا - في غمضة عين - أصبح العديد من السكان المسلمين بمدينة موستار فقراء معدمين. وتم إغلاق جميع المدارس في وجه المسلمين وأهملت المدارس والكتاتيب الإسلامية وشمل الجوامع إهمال لا مثيل له. ولم تلق المدينة معاملة أفضل في عهد الحكم الشيوعي، فقد اختفت وتهدمت جوامع وتحطمت مآذن بالإضافة الى اضطهاد المسلمين.

ووفقا لتعداد عام ١٩٩١م فيعيش في موستار ١٢٦.٦٧ نسمة، منهم ٣٤.٨٪ من المسلمين و٣٣.٨٪ من الكروات و١٩٪ من الصرب و١٠٪ من القوميات الأخرى. وتعتبر موستار من المدن التي يعيش فيها المسلمون بأغلبية نسبية.

وقد كابدت مدينة موستار أفظع مكابدة خلال الحرب الانتقامية الأخيرة بدءاً من أبريل عام ١٩٩٣. فقد قامت التشكيلات العسكرية الكرواتية والجيش الكرواتي بتدمير المباني السكنية والمنشآت ومختلف الآثار العريقة وأغلبها من الآثار الإسلامية. وقامت على مرأى من العالم كله بهدم جسر موستار القديم الأمر الذي أثار سخط الرأي العام العالمي والكرواتي أيضاً. وكان الهدف من كل هذا هو الإبادة الجماعية للمسلمين في موستار وطمس كل ما له صلة بالهوية الإسلامية بها.

جوامع: كامبر أغا والحاج بايزيد أغا والحاج قبيلين وكونتين، وحجم هذه المآذن صغير ولا يتعدى ارتفاعها عدة أمتار ومشيدة بشكل منفصل تماما عن مبنى الجامع بالقرب من الشارع أو المرعى على قاعدة ارتفاعها حوالي مترين، ويوجد من الخارج سلم بدرجات حجرية تقود الى برج حجرى أيضا، وعادة ما تكون البرج ثمانية أضلاع، وينتهى البرج بنهاية علوية مدببة، كما توجد علامة حجرية عند القمة، وتوجد في نهاية البرج فتحات من جميع الجهات يستخدمها المؤذن في رفع الأذان، وفي بعض الأحيان كان رجال الصوفية يلقون من هذا المكان دروس الوعظ والدين على أهل مدينة موستار أو يدعون العابرين لأداء الصلاة.

ويتحلى جامع قراقوز بك بقيمة فنية عالية، وتوجد بفناء الجامع مدرسة تحمل نفس الاسم وهي تعد من أقدم وأهم المدارس الإسلامية في موستار، وكان قراقوز بك من كبار المسئولين وشقيقا للوزير الأول حينذاك وفي الوقت نفسه مشرفا على تشييد جسر موستار القديم، ويرجع الباحثون أنه كلف بعض العمال العثمانيين المشتركين في إقامة الجسر بالمساهمة في إقامة جامع ومدرسه، كما يفترض الباحثون أن المهندس المعماري خير الدين مشيد جسر موستار قد أشرف هندسيا على إقامة جامع ومدرسة قراقوز بك وذلك بسبب ارتفاع قيمتهما المعمارية والفنية ولأنه تم الانتهاء منهما في نفس العام الذي بدأت فيه الأعمال التمهيدية لتشييد الجسر.



ما هو مستقبل الجينات؟

معالم الوراثة بين العلم والدين

(عليه السلام) فلا يقولون أحد: هذا ليس ابني
لأنه لا يشبهني.

معالم الوراثة :

لم ينكر أحد من القدماء أو المحدثين أثر الوراثة على الإنسان، إلا أن العلماء اختلفوا في مدى تأثير الوراثة والظفرة في مقابل تأثير البيئة والمحيط، وقد حاول دعاة المادية والشيوعية التحويل كثيرا على تأثير البيئة، ليخدم ذلك هدفهم في بناء الإنسان كما يشاؤون، ضارين عرض الحائط بالحقيقة الفطرية التي تحاول تحقيق ذاتها مهما تغيرت عليها البيئة وحاولت تغييرها، وفي مقابل ذلك حاول بعض العلماء التأكيد على أثر الوراثة، والتقليل من أهمية البيئة... وثار الجدل الحامي بين الفريقين، حيث تزعم (مورغان) الفرنسي جانب الوراثة، في حين تزعم (ليسينكو) الروسي جانب البيئة.

لم تقتصر علوم النبي الأعظم (صلى الله عليه وسلم) على العلوم التشريعية، بل تعدتها الى كل العلوم الكونية والبشرية، ومن تلك العلوم علم الوراثة الذي وضع (صلى الله عليه وسلم) مبادئه، بشكل دقيق، مبينا دور العرى الصبغية والأعصاب التي فيها في عملية الوراثة، وذلك من خلال الرموز الوراثية (جينات) الموجودة فيها، وكيف أنها عند الالتقاء وبدء الانقسام تتداخل مع بعضها وتتشابك معطية الصفات الإرثية، فحين تضطرب العروق الموجودة في نطفة الرجل ونطفة المرأة في الرحم بعد الإلقاح، تحاول كل مورثة أن يكون الشبه لها، فأيهما غلب كان الشبه له، وهذه العروق تحمل الصفات الإرثية من جميع الآباء والاجداد الى آدم



بقلم : د. محمد صبحي محمد

كلية الطب - جامعة دمشق - سوريا

بل إنه يتأثر بالبيئة الوراثية لكل منهم، فبعضهم يزيد نمو طوله عن الحد المقرر بنسبة ١٢٪ وهم يحملون استعدادا وراثيا للطول، وبعضهم يزيد بنسبة ٨٪ وهم يحملون استعدادا ضئيلا للطول. وقد لا يؤثر ذلك الغذاء أبداً على الطول في بعض الحالات [١].

نستنتج من ذلك أن العامل الوراثي هو الأساس، وهو الذي يفرض وجوده بمعزل عن أثر البيئة، فإذا جاءت البيئة لتؤثر عليه فإن أثرها يكون في حدود معينة، لا تصل بحال من الأحوال إلى أثر الفطرة وربما لم تؤثر أبداً في بعض الأحيان، وما يقال على الصفات المادية يقال على الصفات المعنوية لأن المبدأ واحد.

أثر الوراثة والبيئة في الأسرة :

وإذا انتقلنا الآن إلى الآثار المختلفة، المادية والمعنوية، على الطفل، نجد أثر الوراثة الواضح فالولد يرث صفات أبيه المادية، كما يرث طباعه وميوله وأخلاقه، والمقصود بالأب هنا ليس الوالدين فقط، بل كل آباءه وأمهاته مهما علوا، وقد قالت العرب: الولد سر أبيه وقالوا: كل فتاة بأبيها معجبة، وهذا صحيح لأن الولد - صبياً كان أو بنتاً - فإنه يحمل في خلاياه (الهندسة الوراثية) لأبيه وأمه وأجداده بدون إرادته وقصده، وليس له انفكاك عن ذلك الإرث الفطري.

والآن إذا نظرنا إلى عدة أطفال يعيشون في أسرة واحدة، نجد رغم تشابه العوامل البيئية فيما

ولا يشك أحد من العلماء المنصفين في تأثير العاملين معاً، وأهمية كل عامل في التأثير على الإنسان إلا أنهم اختلفوا في تحديد النسبة الكمية لتأثير كل من عامل الوراثة وعامل البيئة وعندما أخضعوا الصفات الجسمية للدراسة العلمية التجريبية تبين لهم أن العاملين متداخلان بصورة يصعب الفصل فيما بينهما، إلا أنهم وجدوا أن تأثير البيئة محدد بعامل الوراثة، بحيث أن البيئة لا تستطيع أن تغير من أثر الوراثة المفروض إلا بمقادير معينة.

مثال زيادة الطول :

كمثال على ذلك نضرب مثال الطول: فمن المعروف أن متوسط الطول يرتبط بعوامل وراثية، وقد بينت البحوث في الوراثة والبيئة ذلك التشابك المعقد بين هذين العاملين في التكوين الجسدي، وعلى حد أكبر في التكوين النفسي للكاثر البشري، فنمو الطول إلى جانب ارتباطه بالاكيد بالعوامل الوراثية يرتبط أيضاً بنوع الغذاء الذي يتناوله الطفل، وبالشروط الصحية العامة التي تؤمنها البيئة، إضافة إلى التأثير الذي لا يمكن إغفاله للظروف النفسية والعاطفية التي تحيط بالطفل.

وإذا درسنا تأثير الغذاء المادي على الطول خلال مراحل نمو الطفل نجد أن للغذاء أثراً على الطول ولكن هذا الغذاء إذا قدم بنفس الكمية إلى عدة أطفال فإن تأثيره على الطول لا يكون متساوياً،

الراهب (ماندل) التمسائي (ت ١٨٨٤م)، ولو أنهم اطلعوا على الحقيقة في تاريخنا الفكري، لعلموا أن أول من وضع أسس نظرية الوراثة وطبقها على الإنسان هو النبي الأعظم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) والأئمة من آل الكرام.

تفسير الآية: (في أي صورة ما شاء ركبك):

قال العلامة الطبري في تفسيره مجمع البيان (ج ١ - ص ٦٨٢) في تفسير الآية (في أي صورة ما شاء ركبك) أي في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم.

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لرجل: ما ولد لك؟ قال: يارسول الله، وما عسى أن يولد لي، إما غلام وإما جارية، قال: فمن يشبه؟ قال يشبه أمه وأباه.

فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): إن النطفة إذا استقرت في الرحم، أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت هذه الآية (في أي صورة ما شاء ركبك)؟ أي فيما بينك وبين آدم (عليه السلام) وعن الإمام الصادق (رضي الله عنه) قال: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً، جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم (عليه السلام)، ثم خلقه على صورة إحداهن، فلا يقول أحد لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي [٢].

وبعوني أسرد عليكم الروايتين التاليتين لما فيهما من إفصاح وإيضاح أكبر لمفهوم المورثات الموجودة في العرى الصبغية المستودعة في كل نواة من خلايا الكائن الحي.

- الرواية الأولى:

بينهم إلا أن لكل واحد منهم شخصية فطرية مستقلة تقوم عليها شخصيته، وأن عامل البيئة لم يستطع أن يطبع أثره عليه إلا بمقادير محددة، فأحد الأبناء تجده يحب الالئ والشعر، وأحدهم يحب الهندسة والتكنيك، والآخر يحب الرسم والرياضة... الخ.

ومن هذا المنطلق نرى أن كل شاب منهم يختار صديقاً له مشابهاً له في ميوله وعقليته فيتحذه صاحباً ورفيقاً، ويراه أقرب إليه من أخيه الذي تربى معه تحت سقف واحد، وقد قيل قديماً:

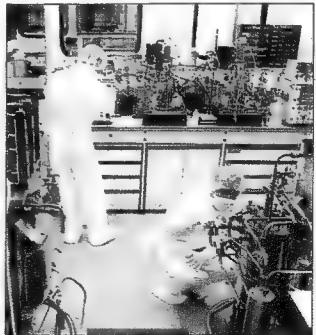
كل ولف على ولفه يلفي

حتى الطيور على أشكالها تقع

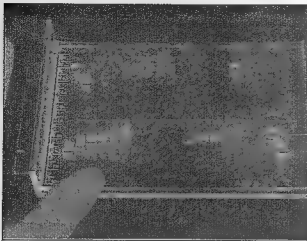
كل ذلك يدل على أثر الفطرة والوراثة الطاعى على شخصية الإنسان وسلوكه وميوله.

قوانين الوراثة:

يذهب علماء الغرب اليوم الى أن أول من وضع قوانين الوراثة ونظريتها في النبات والحيوان هو



جانب من فحوصات الأطباء



فحص مجهري للجينات عن طريق علمي بحث

تصريحين، يظهر لنا واضحا جليا مفهوم وجود العرى الصبغية ذات المورثات في نطفة الإنسان، وقد عبر عنها النبي (صلى الله عليه وسلم) بالعروق وقرر أن نصفها ٩٩ هو في نطفة الرجل، ونصفها ٩٩ في المرأة، فإذا هما اجتمعا اضطربت العروق، أي اهتزت وتشابكت، كل عروة من الرجل مع العروة المشابهة لها من المرأة، فكل عروة تحاول أن يكون شبه المولود الجديد لها وهذا ما نسميه بالصفات الظاهرة، في مقابل الصفات الباطنية التي تظل مستورة حتى تظهر في الانسال القادمة بتقدير من الله تعالى.

مبدأ الوراثة في العلم الحديث :

وقد قرر العلم الحديث بعد اكتشاف المجهز أن خلية الإنسان الجسمية تحوي في نواتها ٤٦ عروة صبغية سميت بالصبغية لأنه وجد أنه عند إضافة بعض المواد الملونة للخلية بغية رؤيتها بوضوح بالمجهر أن هذه العرى تصطبغ بشدة وتظهر بوضوح، منها ٤٤ عروة جسمية، سميت بذلك لأنها

جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعه امرأته تحمل طفلا أسود، أقطس مقطط الشعر (أي له شعر متجدد)، وقال: يا رسول الله، هذه زوجتي، وهذا الولد ليس مني، فالتفت النبي (صلى الله عليه وسلم) الى المرأة وقال: ماذا تقولين؟ فقالت: والذي بعثك بالحق ما أوطأت فراشه غيره منذ امتلكني، فأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) برأسه الى الأرض، ثم رفعه وقال للرجل: يا هذا، خذ ولدك، فإن بين نطفة الرجل وبين آدم تسعة وتسعين عرقاً كلها تضرب في الأنساب فأي جد أصابت من أولئك الأجداد ظهر الولد على شاكلته.

الرواية الثانية:

وعن الإمام علي (رضي الله عنه) قال: أقبل رجل من الأنصار الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله هذه بنت عمي وأنا فلان بن فلان، حتى عد عشرة آباء، وهذه (زوجتي) بنت فلان، حتى عد عشرة آباء، وليس في حسبي ولا في حسبها حبشي، وإنما وضعت هذا الحبشي، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: إن لك تسعة وتسعين عرقاً، ولها تسعة وتسعين عرقاً، فإذا اشتملت (وفي رواية وقعت تلك النطفة في الرحم) اضطربت العروق، وسأل الله عز وجل كل عرق منها أن يذهب الشب إلى، قم فإنه ولدك، ولم يترك إلا من عرق منك أو عرق منها. قال: فقام الرجل وأخذ بيد امرأته، وازداد بها ويولدها عجباً [٣].

ففي هاتين الروايتين وما ورد فيهما من

عرى الرجل مقابل عرى المرأة ثم تندمج في بعضها وتتشابك فإذا كانت خلية الرجل فيها Y أعطت ذكرا، وإذا كانت من النوع X أعطت أنثى، فالرجل هو المسؤول الرئيسي عن النوع المولود.

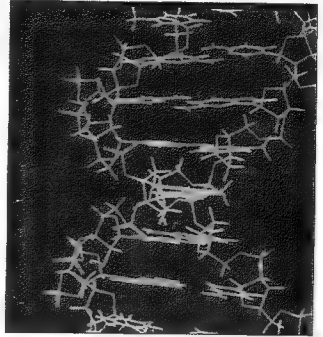
يقول تعالى ﴿ألم يك نطفة من مَنِ يُمْنِي، ثم كان عَلَقَةً فخلق فسوَّى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ (سورة القيامة/ ٣٧ - ٣٩).

من مظاهر رحمة الله تعالى :

ومن مظاهر رحمة الله بالإنسان، أنه إذا كانت إحدى المورثات (جينات) فيها خلل بحيث تعطي لو ظهرت كانتا مشوها، فمِنذ الاقتران تكون هذه الصفة هي الصفة المختفية في حين تتغلب عليها الصفة السليمة المقابلة لها فتظهر، أما إذا كانت هذه المورثة مصابة في الرجل والمرأة معا ظهر العيب فيها ولهذا كان الزواج المتعدد من الأقارب سببا لظهور العاهات المتأصلة فيهم، ولذلك قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في وصاياهِ للشباب: تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس، وقال (صلى الله عليه وسلم) تغربوا تنجبوا، أي كلما كانت الزوجة أبعد في القرابة كان الولد نجيبا.

ومما يروى في قصص الوراثة أن أعرابيا كان طويلا ودميما، أراد أن يتزوج بامرأة قصيرة وجميلة، فسئل عن ذلك، فقال: أرجو أن يأتيني نسل طويل وجميل، فلما تزوج جاءه ولد قصير وقبيح.

ومما يروى في ذلك أن فتاة جاءت للفيلسوف برناردشو وهي فاتكة الجمال، وقالت له أريد أن أتزوجك. قال: وما دعاك الى ذلك؟ قالت: لعل الله



إحدى خلايا الجينات

تعطي صفات أعضاء الجسم، ومنها عروتان جنسيتان سميتا بذلك لأنهما تقرران جنس المولود ذكرا أم أنثى، وهاتان العروتان يكون شكلهما في الذكر XY وفي الأنثى XX مما يدل على أن الصبغي Y هو عامل الذكورة، والصبغي X هو عامل الأنوثة، والرجل يحوي العاملين، بينما المرأة تحوي عاملها الخاص.

هذا هو تركيب الخلية الجسمية، أما الخلية الجنسية التي تتشكل في خصية الرجل أو في مبيض المرأة فإنها تحوي نصف العدد السابق، أي ٢٢ عروة جسمية زائد عروة جنسية، هذه العروة الجنسية تكون في المرأة من الشكل X أما في الرجل فتكون نصف نطافة من النوع X والنصف الآخر من النوع Y وهو الأصغر حجما، وعند اقتران الخلية الجنسية المذكورة مع الخلية الجنسية المؤنثة في الرحم لتشكيل البيضة الملقحة، تصطف

يرزقنا ولدا يحوي ذكاء وجمالي . قال: أذهبي،
أخاف أن ينعكس الأمر، ويأتي الولد يحوي غباءك
وقبحي .

خاتمة حول مبدأ الزوجية والاستساخ :

يحلولي في ختام هذا الحديث أن أتكم عن
قيمة الزوجية في حياة الإنسان، في مقابل
الاستساخ الحيوي الذي يظن البعض أنه يمكن أن
يكون بديلا لأسلوب الزوجية الفطري . ولقد تمت
مشيئة الله جلّت قدرته أن يوجد الخلق ويستمر
بطريقة الزوجية سواء أكان ذلك في النبات أو
الحيوان أو الإنسان، حيث يشترك طرفان في دوام
النسل واستمرار الحياة . يقول تعالى: {سبحان الذي
خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم
وما لا يعلمون} (يس/ ٣٦) . ويقول تعالى: {من كل
شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون} (الذاريات/ ٤٩) .
ولو شاء سبحانه لكان التناسل عن طريق الفرد
الواحد، لكنه سبحانه لا يقرر شيئا إلا بحكمة
وفائدة، فطابع الزوجية في حياة الناس يفرض منافع
كثيرة منها:

- إن الإنسان بفطرته يحب ذاته ويمجدها وهو ما
نسميه «عقدة التركيز على الذات» فتأتي الزوجية
لتحد من هذه العقدة، وتجعل نوعا من التآلف
والتلازم بين الناس .

- إن الزوجية تخلق روابط بين الأفراد والعوائل،
مما يسمح ببناء مجتمع مترابط متماسك . ولولا
الزوجية لعاش كل فرد في معزل عن الآخرين،
وانعدمت الحياة الاجتماعية . فكل مفاهيم المحبة

والألفة والمودة والعلاقات العاطفية الناتجة عن مبدأ
الزوجية . يقول فيها تعالى: {ومن آياته أن خلق لكم
من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة
ورحمة} (الروم/ ٢١) .

- إن الزوجية تخلق بين الزوجين مفهوم المشاركة
والتآزر والتعاون والتساعد، ليستطيعا من خلالها
خدمة الوليد الجديد وتربيته، فالمسؤولية تصبح
متعددة إذا كانت ملقاة على فرد واحد .

- من ناحية الوراثة فقد جعل الله تقرير الصفات
الموروثة والصفات الكامنة بيده: (في أي صورة ما
شاء ركبك) بحيث تتوزع الصفات الموروثة المختلفة
التي تحتاج الى إمكانات ومواهب متباينة ولولا ذلك
لما استقامت الحياة ولما تكاملت .

ومن هنا نرى أن مبدأ الزوجية قد أثبت جدارته
في حياة الإنسان موفرا مجتمعات متمسكة بالترابط
والتآلف والمحبة والسعادة، مما لا نجد له مثيلا في
أية آلية أخرى لاستنباط الحياة، كالاستساخ
الحيوي وغيره . فتبارك الله أحسن الخالقين .

الهوامش :

(١) التربية العامة وفلسفة التربية: بحث الأسس العلمية
للتربية، ص ٧٩، أمله في كلية التربية، جامعة دمشق
١٩٦٢م .

(٢) الوافي للفيض الكاشاني، ج ٣، باب ٤٠٥ عن أبواب
النكاح .

(٣) مستدرک الوسائل للفقير، ج ٢، باب ٧٦ من أبواب
احكام الأولاد .



امرأة بلا عنوان

ارتعدت فرائصي، وأنا أطلع الى تلك العيون السماوية اللون وهي تتفكر في وجهي وكأنها تطالع شيئا لم تكن تعرفه من ذي قبل، ولكنني أدركت خطاي عندما التقت عيناها بعينيها التي امتلأت حنانا وحباً لم أره إلا من أمي التي رحلت.

كنت أظنها غريبة المولد والمنشأ لكنها لم تكن كذلك وإنما كانت شرقية.

قالت وهي تمد يدها الى أنا الطفل الذي لم يجاوز العاشرة «صافيناز من كشمير»... أحببتها بهدوء وروية وكأنني أخاف على وجهها أن يغيب عن ناظري أنا من بلد أخالك تعرفين عنه الكثير: فأنا... ولم اكمل، لأنها التفتت الى رجل يكبرها في العمر ومضت تتحدث معه حديثاً طويلاً لم أفقهه حتى إذا ما انتهت استدار الرجل وسلم عليّ بطرف عينه وتركها معي، وأنا منتش، لأنها بقيت ولو ذهبت لا ادري ماذا افعل.

في تلك اللحظة جاء أبي واشترك معنا في الحديث، عرفت عنها كل شيء، وأن الرجل زوجها. وأنتي أشبه الى حد كبير أخاها الذي فاقت روحه منذ شهور، هكذا عرفت سبب اهتمامها بي، أما هي فلم تعرف سبب اهتمامي بها لأنها تجهل ما في قلبي أنا الصغير الذي لم يشب عن الطوق، أحسست ساعتها أنني أحبها من كل قلبي وأنتي اعرفها منذ سنوات طويلة.

أمضيت أكثر من أسبوع وأنا معها في الفندق الكبير في ماليزيا التي أزورها مع أبي في رحلة عمل بعد أن جئنا من جدة، لكن تلك الأيام كانت جميلة لدرجة جعلتني أفاتح أبي في أن يتزوجها لو لم تكن متزوجة، ضحك أبي من كل قلبه وقال وهل نسيت الرجل الذي سلم عليك مرارا وحادثك كثيرا، استحييت من أبي وأشفقت من جهلي.

فأنا اعرف أنها متزوجة ولكنني قصدت أن أقول ما أقول ويقت صورة تلك المرأة تعيش في ذاكرتي حتى كبرت والتحقت بكلية الطب في جامعة دنفر بالولايات الأمريكية المتحدة، في تلك الأيام تزوج أبي من خالتي التي أحببتنا هي الأخرى وأحببتها أنا أيضاً لكنه حب يفاير حبي لتلك المرأة (صافيناز) الكشميرية.

ترددت كثيرا على ماليزيا في إجازاتي ونزلت في نفس الفندق الذي نزلت فيه مع أبي ولكنني في كل مرة لم اعثر على صافيناز التي أعلنت أبي عنوانها لكنني وبعد أن سألت عنها في ذلك العنوان عرفت أنها عادت مرة أخرى الى مدينتها في كشمير.

وحتى أنفت عن نفسي أخذت أرسم صورة وجه تلك التي أحببت مرة تلو المرة فقد كانت هوايتي الرسم حتى استطعت بعد رسم أكثر من عشرين صورة أن أجد جميع ملامح (صافيناز) أمامي تطلع اليّ بعينيها الصافيتين ووجهها الجميل والمريح معاً. وابتسامتها تغلو شففتها وكأنها تحاول أن تهمس في أذني بأنها تحبني، ولكن كما تحب المرأة أخاها الذي ذهب.

ومضت أيام الدراسة وأنا أنظر الى وجه كل فتاة أراها أمامي حتى إذا لم تكن التي أحببت أشحت بوجهي عنها في هدوء.

وتلمست طريقي في دنفر بين صخب الحياة في الجامعة وصخب المدينة، وانزويت بعيداً عن مجتمع الطلبة الذي عرفت ثم وجهته مغايراً لأخلاقي.

وكبرت أحلامي ومع تلك الأحلام ازدادت همومي فانا



غالب حمزة أبو الفرج - جدة

حان لأن أجسد صورة تلك المرأة التي أحبيت خصوصاً بعد أن رأيت (ماري) الممرضة التي تعمل عند أستاذي بعيداً عن هذه الجراحة، انجذبت إليها بحكم الشبه الذي تصوره فيها حتى إذا ما تعرفت إليها أكثر سألتها إن كانت تريد أن تصبح أكثر من جميلة، أعطيتها الصورة التي رسمت وقلت لها فكري فقد أستطيع أن أصنع من وجهك شيئاً أقرب إلى هذه التي ترين صورتها معك.

فأخذت تفكر وتفكر دون أن تصل إلى حل، وببساطة متناهية قالت دعني للغد فقد يحمل الغد ما تريد وما أريد! عندما التقيت بها في المرة التالية سألتها عما إذا كانت ترغب في ذلك الذي قلته فلم تجب... وعندما قلت لها بصوت خافت لو وافقت وكنت على هذه الصورة التي رأيتهما فستزوجك، ففرت فيها قليلاً ثم قالت تتزوجني؟! ولماذا لا تتزوجني دون أن أخضع لمبضعك؟! ضحكت وقلت لها ولكنني لن أتزوج غير تلك الفتاة، وأردفت قائلاً (ها) ما رأيك؟ قالت، (لا) وفي إصرار عجيب وعندما سألتها عن السبب قالت بأنها لا تريد أن تصبح شيئاً لفتاة يبحث عنها من لا يعرف عنوانها... وواصلت كلامها ألا يكفي أن تكون أصدقاء دون كل هذه الجراحة وإن كنت لا أرى مانعاً من أن أتزوجك.

ومرت الأيام حتى جاءت من ترضى أن أقوم بتجميل وجهها وفق الصورة التي عرضتها كانت في طول صافيناز وحجم جسدها، شديدة بياض الوجه مشوبة بحمرة، قلت لها قبل العملية، قد أطلبك من أهلك فهلا تزوجتيني عندما أنقذتني، ضحكت في وجهي وأحسست بأن شيئاً في ضحكها يجعلها تسخر من أفكاري وأصرت بعد قبولها بالعملية على الرفض هي الأخرى حتى ولو قمت بالعملات بدون أجر.

وعندما نظرت مرة ثانية إلى وجهها فرأيت ما كنت لم أراه من قبل، شبه كبير بينها وبين تلك التي أحبيت فتشجعت وسألتها مرة أخرى أقبليني زوجاً قالت وهي تصطح (لا) وعندما سألتها عن السبب قالت ربما لم تكن صادقاً معي ولا مع نفسك لأنك تبحث عن امرأة بلا عنوان وأنا لست كذلك.

لم أر بعد فتاة تشبهها لا هنا في مدارج الكلية ولا في شوارع المدينة... وأخذت أكتب الرسالة طو الرسالة إليها ولا أبعث بها وكيف أبعث برسالة إلى امرأة بلا عنوان.

وتفقت ذهني عن فكرة جريئة جذبتني لأن أتخصص في جراحة التجميل بعد قبولي الدراسة في الكلية، ووجدت في هذه المهنة شيئاً من الراحة لأنني كنت أخلص الناس من عيوب أجسادهم واستلهم أفكارهم عندما أقوم بجراحة لأثبت في الأخير أنني طبيب نطاسي معروف يهمه أولاً وأخيراً أن يريح الناس من متاعبهم.

فظل شغلي الشاغل البحث عن شبيهة لتلك التي أحبيت، ولا تتحسكوا مني عندما أؤكد ذلك والمثل يقول يولد الطفل رجلاً وعندما يكبر تزاد رجولته أو تضعف ولكنه في كلتا الحالتين رجل، وأنا رجل منذ طفولتي أحسست بوجيف القلب وأنا صغير ولازمني هذا الوجيف ولم يتركني أبداً حتى في لحظات النسيان لأنني كنت استحثه ليبدو ويظهر ويكبر أيضاً.

وملت عشرة المرمى فرأيت أن أرحل إلى كشمير عسى أن أراه هناك وعندما فكرت بعد كل تلك الأعوام في فارق السن بيني وبينها ضحكت من هذا الهاجس الذي لم أكن أفكر فيه، ولكن، فانا وقبل كل شيء لم أعمد فريضة الإصرار بعد، وسافرت إليها في كشمير ونظرت إلى وجوه الناس في الشوارع والطرق وصالات الفنادق، كن جميعاً في مستوى راق من الجمال والعشمة لكن قفاتي لم أراه بعد.

يا قلبي الأعمى ويا لعيني التي لا تبصر فهذه الأحلام التي تراودني جديرة بعد كل هذا أن تظل في الأعماق كحكاية انتهت وممرت ولم تعد سوى ضرب من الماضي أحاول أن لا أحس به أو أراه، ولكم جريت أن أنسى لكنني لم أنس بل أتذكر وأتذكر وتظل حكايات الأمس وكنتها أمامي جديدة براقعة تلمع. والعالم يتطور وتتصل أطرافه بعضها بالبعض الآخر وجراحة التجميل أصبحت صناعة محببة يجيدها الكثيرون.

يوم نلت شهادة الزمالة في هذه الجراحة تنفست الصعداء فغدئ أمرى شيئاً آخر لأنني شعرت بأن الوقت قد

ما أجمل أدب الطفل .. عندما تكتبه يد طفلة:

فنجان قهوة

جدتها المرة أحست كئن أحدهم يعتصر قلبها . كان النمل يهجم على الجدة غير مبال بقوة مرارتها . تابعت قطعة السكر تلك الحادثة .. شاهدت كيف تفكك جسم جدتها حبات حبات .. ورأت كل نملة تحمل حبة الى بيتها حيث ستأكلها هناك .. ولعلها ستبخر بعضها لأيام الشتاء .

كانت تبكي بهدوء .. كانت تبكي بلا دموع حتى لا تذوب .. كانت تبكي بصمت حتى لا يعرف النمل مكانها وحتى لا تمسي سكرًا مرًا . عندما فتحت العلبة ، لم تفكر كثيرًا هذه المرة ، بل دفعت الجميع وراءها وتركت نفسها أمام الجميع .. أمام الموت .

نظرت الى اليد التي تهم بسلبها حياتها ، نظرت اليها مبتسمة ، وقفت بتحدٍ وشجاعة وتركت اليد تسحبها . أحست بأنها خفيفة في الهواء وفكرت في أنها ستصير أخف بعد عدة ثوانٍ .

عندما رمى الرجل قطعة السكر الصغيرة في الكوب تمنّت لو نبت لها جناحان لترتفع بعيدا عن فنجان القهوة ، وبعدا قبل كل شيء .. عن النمل .

لكن شيئًا من هذا لم يحدث لأنها شعرت بماء الشراب يدغدغ رجليها . بدا يغطيها رويدا رويدا ..

لطالما فكرت في أن قبرها سيكون بلا شك في قعر كوب شاي أو قهوة .. كوب قهوة على الأغلب .. تدرك أيضا أنه لن توضع عليه أزهار جميلة ولن تزقزق فوقه عصافير الفضاء . قالت لها جدتها ، حكيمة المملكة ، إن الناس يضعون الورود على مقابرهم ، صدقتها ، لأنها تعرف كل شيء .. نظرت اليها يوما وقالت «تعرفين يا عزيزتي ، أنني أتمنى أن يذيني الانسان» . ارتجفت قطعة السكر من هول المشهد لكن الجدة لم تنتبه لذلك فقد كانت قصيرة النظر ، بل قالت : «إن لم يحدث هذا فمأصير مرّة» . لم تفهم قطعة السكر معنى كلام جدتها .. بالنسبة لها ، أن تصير مرًا خير من أن تذوب في كأس قهوة مرّة .

إلا أنها ، في اليوم الذي سحب أحدهم الجدة وألقى بها في سلة المهملات أمام عينيها ، فهمت لماذا تمنّت أن تموت .. منذ تلك اللحظة ، أخذت قطعة السكر الصغيرة تفكر . لم تعلم إن كان عليها أن تذاب أو أن تلقى في القمامة .

كلاهما مؤلم ، لكن عليها أن تختار . الا انها عندما شاهدت بأن عينيها جماعات النمل تلتهم



ذلك سيمدّه بطاقة جديدة لكل أعماله .. فكرت في أنه سيسهر ليناجي نجوم الليل لأنها منحتة روحها الحلوة .. لا بد أن تلك أحلى لحظات حياتها .

إنها الآن تلفظ أنفاسها الأخيرة .. لم تبق ، تقريباً سوى حبة سكر واحدة إلا أن الرجل بدأ يرتشف الشاي بصفاء ..

فكرت في جبتها . تعلم أنه لن تكون هناك ورود على قبرها وأن العصافير لن تزورها ..

كانت تدرك أنها تموت بحلاوة .. فصاحت في أعماق قلبها الشاحب المتبقي بحبة السكر الأخيرة: «إلى الجحيم، أيها النمل!»

لم تحاول أن تقاوم لأنها تعلم أنها لا تجيد السباحة بل أخذت تتمتع بحلاوة تفككها . لم تكن ترى شيئاً فقد كان الظلام دامساً .

سحقها جسم الملعقة وأخذ يقطعها في هدوء .. كانت تحس بتمزق أطرافها لكنها لم تبك بل ابتسمت في ألم لأنها تتجراً في حلاوة ..

صارت الحفيدة فتاتاً وأخذ الرجل يحركها الآن .. كانت أعضاؤها تتلاحق، تتالي، تتلاحق لكنها لا تتجمع .. رغم أن الفنجان كان فنجان شاي لا كما تمتت إلا أنها كانت تتذوق حلاوتها .. فكرت في أن الرجل سيسمّتع بطعمها الحلوة . فكرت في أن

الاعجاز العلمي في تحريم الدم

إنك إذ تنظر في قائمة الأطعمة والأشربة التي حرمها القرآن الكريم، تجد «الدم» في الطليعة منها. وعلى مدى مئات السنين، انطوت الحكمة من وراء هذا التحريم، وظل الناس غافلين عنها.. ومع التقدم في وسائل البحث العلمي الذي شهده القرن العشرين، بدأت بعض الأسرار العلمية تظهر، وبدأت بعض جوانب الحكمة تستبين.

شاربو الدماء والأكلون :

يقول صاحب الكشاف (مفاتيح الغيب - للفخر الرازي): «كان أهل الجاهلية يملأون المعى من الدم، ويشربونه ويطعمونه الضيف».

ويقول المؤرخون، إن الرجل، في الجاهلية كان إذا جاع أخذ أداة حادة، يفصد بها بعيده أو ما لديه من حيوان، ويجمع ما يخرج من دمه ويشرب.

ويقول علماء الأنثروبولوجي (علماء الأجناس) أن ظاهرة شرب الدماء والتغذى بها، ما تزال شائعة، إلى اليوم، لدى بعض الشعوب في شتى الأنحاء. إذ نجدها لدى بعض دول شمال القارة الأوروبية، ولدى دول في أوروبا الشرقية، وبخاصة رومانيا ويوجوسلافيا. كما تشيع في بعض الدول الآسيوية مثل الهند والصين، وأجزاء من بنجلاديش.

إن ثمة طوائف، تعيش في الهند وبنجلاديش، مازال أتباعها - إلى اليوم - يمارسون عادة شرب دم الحيوان. وهي طوائف وثنية مازالت تعتقد في آلهة الشر «كالي» التي جسدها الهنود القدماء في صورة امرأة، مولعة بشرب الدماء.

وتعتبر دماء الشعابيين، لدى مئات الملايين من الصينيين من أهم الصفات الشعبية الشائعة، التي تجعل شاربيها - في ظنهم - يتمتعون بقدرات جنسية فائقة وصحة دائمة، أي يقترب - في اعتقادهم السقيم - من كمال الآلهة!!

وفي الكثير من البلدان الشاطئية، يقبل الناس على شرب دم ذبحة البحر. ويُعرف عن بعض الشعوب الأوروبية، الولوج بشرب الدم وطبخه وأكله ضمن وجباتهم، بل إنهم ليستعملون الدم في إعداد وصنع سجق الدم بالأرز (Scottish Sausage)، وذلك بعد خلطه بالأرز والملح والتوابل، ويدعونه قليلا حتى يتجمد ويتجلط، ثم يأكلونه مقلباً.

ماذا ؟ هذا غريب حقاً ..

ولكن، ماذا عن تحريم أكل أو شرب الدم، لدى المسلمين؟

«الدم» المحرم في الإسلام :

جاءت الآيات الكريمة في سورة البقرة، تنهى

بقلم : د. فوزي عبدالقادر الفيشاوي

جامعة أسيوط - مصر



والدم المسفوح هو السائل من الحيوان الذي يتدفق منه عند التذكية. فهذا حرام نجس، لا يجوز أكله أو شربه.. أما ما كان من الدم في معنى اللحم كالكبد والطحال، وما كان مختلطاً في اللحم غير منسفع، فإنه غير حرام للإجماع على حله، ولحديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم): «أطت لنا ميتتان ودمان، فالميتتان هما السمك والجراد، والدمان الكبد والطحال».

هذا، لأن الكبد والطحال ليسا من الدم المسفوح المنهى عنه، بل انهما نسيجان عاديان في جسم الحيوان، وهما مستودعان غذائيان غنيان بالكثير من المواد المهمة لصحة الأبدان، كالبروتينيات والحديد والجلايكوجين والفيتامينات. ولعل النبي (صلى الله عليه وسلم) أسماها بالدم، تبسيطاً للمعنى، لا سيما وأنهما من أعضاء الحيوان الغنية في محتواها النموى.

الفطرة توجب التحريم :

فطرة الإنسان، التي فطره الله تعالى عليها، هي منار الهدى له، ما بقيت سليمة، وهي مصباحه الذي يثير له السبيل، ما حافظ عليها، فلم يأتز لأحد أن يعكر زيتة أو يعيث بفتيله أو يحطم زجاجه. ولو اتبع الإنسان ما توحى به فطرته تلك، اسلم عاقبة. ولأن الإسلام هو الشريعة الجامعة التي تتوافق

وتحرم أكل الدم، قال الحق سبحانه: [يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلّٰهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ * فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنِ اتَّوَلَّىٰ غَيْرَ رَحِيمٍ] (البقرة/ ١٧٢ - ١٧٣).

ويقول الله تعالى في سورة المائدة: [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْكُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا نَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزَلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ] (المائدة/ ٣).

وفي سورة النحل، يؤكد الحق سبحانه على هذا التحريم: [إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] (النحل/ ١١٥).

والدم المحرم في الإسلام، هو «الدم المسفوح» لأن الآيات الكريمة السابقة، قيدتها آية سورة الأنعام (قل لا أجد في ما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو نماً مسفوحاً) (الأنعام/ ١٤٥).

الجلوكوز، وهو غذاء الخلايا الأساسي، لا سيما خلايا المخ والقلب والعضلات. كما ينقل المواد الدهنية، والتي تغلف عادة بالبروتينات، حتى تصبح قابلة للذوبان في ماء البلازما، ومنها الكوليسترول والفوسفوليبيدات والدهون المتعادلة.

ويحمل الدم صنوفاً من الأحماض الدهنية، وهي مصادر مهمة للطاقة والمجهود. هذا بالإضافة إلى طائفة من الأملاح المعدنية، ذات الأهمية الخاصة في اضطراب التفاعلات الحيوية بالجسم، على أوفق حال. ويقوم الدم - كذلك - بحمل ونقل مجموعة من المواد الخاصة بتنظيم الوظائف والتفاعلات داخل الجسم، مثل الهرمونات وبعض الإنزيمات والفيتامينات. هذا، بالإضافة، إلى قيامه بحمل ونقل الأكسجين إلى الخلايا جميعها. تلحم - إذن - هي الوظيفة الأولى للدم بالأجسام.

الثانية: تتمثل في حمل نفايات الخلايا القابلة للذوبان في الماء مثل اليوريا (Urea)، وحامض البوليك (Uric acid)، إلى أعضاء الإخراج مثل الكليتين والغدد العرقية، للتخلص منها في البول والعرق.

ويضطلع الدم - كذلك - بمهمة حمل الفضلات الغازية، مثل ثاني أكسيد الكربون الناتج عن احتراق الغذاء في الخلايا، إلى الرئتين للتخلص منه مع هواء الزفير.

والحقيقة العلمية، أن الدم الذي يدور في جميع أعضاء البدن وأجزائه، يحمل إليها العناصر الغذائية، ويأخذ منها المواد السامة المتخلفة، بوسعه طرح جزء

والفطرة السوية، التي فطر الله الإنسان عليها، فقد كان من المنطقي أن يحرم الله تعالى الدم، الذي أباح أقوام استخدامه طعاماً، حين غابت فطرتهم السليمة. فالفطرة تعاف منظر الدم ورؤيته، فضلاً عن تناوله «غذاء وطعاماً».

تحيل انساناً وهو يشرب كأساً من الدماء! ..
يا له من منظر تشمئز منه الأنفس الكريمة، وتقشعر له الأبدان.

وإن الله العليم بخلقه، ليرى بهم عن شرب أو أكل الدماء، لما في هذا من وحشية وحيوانية سافرة.

ألهذا السبب حرمت الدماء في الإسلام؟

ليس لهذا فحسب، فثمة أسباب أخرى تتعلق بصحة الإنسان، كشف الباحثون - مؤخراً - عنها الغطاء. .. وهكذا تجلت معجزة القرآن العلمية في تحريمه للدم المسفوح، قبل قرون طويلة، في وقت كان الناس عن حكمته غافلين.

فماذا قال العلم عن أسباب تحريم الدم، وما الذي توصل إليه الباحثون؟

الدماء سموم ونفايات :

الدم - في الحقيقة - نسيج، لكنه نسيج سائل، يتجول بحرية في أنحاء الجسم، ويقوم بوظائف فسيولوجية عديدة، نجمها في وظيفتين.

الأولى: انه يقوم بنقل الغذاء المتص من الأمعاء إلى سائر الأعضاء. .. فهو ينقل الأحماض الأمينية، التي تستخدم كوحداث بناء من أجل تصنيع بروتينات جديدة تدخل في بناء الخلايا أثناء عملية النمو، أو لدى تجديد الخلايا التالفة. وينقل الدم - كذلك - سكر



من هذه السموم بشكل سائل بولي، بوساطة الكليتين، ولكن يبقى فيه جزء آخر من تلك السموم.

وقد انضج - بالفعل - أن بالدم المسفوح مكونات ضارة كثيرة، ما بين نفايات وفضلات ومتبقيات من المواد السامة. ففي الدم كمية غير مقبولة من حامض البوليك، وهو - بعد ذاته - مركب سمي، يضر بالصحة، لو استعمل غذاء. وفي الدم تركيزات من الإفرازات الداخلية للغدد الصماء السست، وهي مواد إذا زاد بعضها عن المعدل المناسب، فإنه يسبب أعراضاً سمية مختلفة، وتعود فنقول، إن الدم يبدو مشحوناً بكم من العناصر السامة والإفرازات الجسمية الضارة، مما هو معد أصلاً للإفراز بواسطة الكليتين، وأن التغذية عليها، تؤذي صحة الأكلين، على نحو يوجب التحريم.

الدواء مولى للميكروبات :

يعرف البيطريون أن الحيوان قد يحمل بعض الميكروبات المرضية في دمه . . فالدم هو أسرع وسائل العدوى للأمراض، حيث تتكاثر فيه الميكروبات، أو تستعمله كوسيلة انتقال من عضو إلى آخر، كما تنتقل عن طريقه إفرازات الميكروبات وسمومها .

وأغلب الظن، أنك تعرف أن أي مرض حيواني يستعصى على البيطريين تشخيصه، يمكنهم الكشف عن أصوله من تحليل عينة من دم الحيوان . . والحقيقة، أن الدم يبدو مفعماً بالميكروبات، في معظم أمراض الحيوان . وعندئذ، فإن التغذية بالدم، تكون هي أسرع الطرق لإصابة الأكل بالأمراض المشتركة مع الحيوان . وبضاعف من مخاطر هذا السلوك الشائن، صعوبة اكتشاف معظم الميكروبات التي تلوثه .

إن هناك، بطبيعة الحال، مفزى وراء هذه

الحقائق، وهو أن أعداداً هائلة من الميكروبات تلوث الدم، حتى في حياة الحيوان، فما ظنك بحاله بعد السفع بالفصد أو بذبح الحيوان؟ .

حقاً إنه لأمر بالغ الخطورة، إذ ثبت أن عزل الدم عن الأوعية الدموية بالفصد أو بالنبح، يفقد كريات الدم البيضاء قدرتها على التهام الميكروبات الغازية، كما يحرم الدم من فعل خلايا جهاز المناعة، في مقاومتها . وإن، يفسد الدم بيئة خصبة، ترتع فيها صنوف الميكروبات .

ولقد عرف علماء الكائنات الدقيقة (الميكروبيولوجيا) هذه الحقيقة، وعرفوا أن بالدم من العناصر المغذية (Nutrients) المتزنة، ما يشجع على النمو الميكروبي . وهكذا وجدناهم يستخدمون الدم

نصف ساعة .. وهكذا
دواليك.

ليس هذا فحسب،
فعلاوة على الأعداد البكتيرية
الهائلة في الدم، فإنها تقوم
بإفراز سموم (Toxins)
فتاكة، قد تكون أشد مقاومة
لحرارة الطهي من الخلايا
البكتيرية نفسها .
أبعد هذا ياكله



الغافلون!؟

كريات حمراء وبيضاء ما هي بغذاء:

إن الباحث في معمله يأخذ عينة من الدم، يضيف
إليها مادة تمنع تخثره، ويتركها حيناً، فيجدها تنفصل
إلى طبقتين: طبقة عليا، صفراء شفافة، فهذه هي
الطبقة المعروفة بالبلازما (Plasma)، أو مصّل الدم
(Blood Serum)، وهي تؤلف نحو ٥٥٪ من حجم
الدم، وتحتوي على صنوف من البروتينات والدهنيات
والسكريات والأملاح وغيرها .

أما الطبقة السفلى، فهي طبقة كريات الدم، من
كريات حمراء (Red Corpuscles)، وكريات
بيضاء (White Corpuscles)، وصفائح دموية
(Platelets).

فهذه الطبقة أكثر كثافة من طبقة البلازما، فهي
تهبط .

ولا يخفى، بالطبع، أن الكريات الدموية الحمراء،
هي التي تعطى للدم لونه الأحمر المعروف، بفضل

في مختبراتهم، كبيئة زرع (Media) جيدة، لتنمية
واستكثار الميكروبات، لأجل التعرف عليها
وتشخيصها .

والذين بحثوا في الخواص الميكروبيولوجية للدم
المسفوح، كشفوا عن مصادر عديدة للتلوث .. فهو
يتلوث بأفراد من البكتيريا الممرضة، عبر سكين الذبح
الملوثة، أو من هواء الوسط المحيط، أو من أوعية
الاستقبال الملوثة، أو غير ذلك من مصادر .

وقد لا يخطر لإنسان، أن الميكروب الواحد في
الدم، يتضاعف هندسياً كل نصف ساعة، على نحو
مذهل .. فلو تخيلت أن جراماً واحداً من الدم المسفوح
تلوث بآلف خلية بكتيرية، لوجدتها بعد نصف ساعة
آلفي خلية، ولصارت بعد نصف ساعة أخرى أربعة
آلاف خلية، وبعد نصف ساعة جديدة تصبح ثمانية
آلاف خلية، وبعد مدة مماثلة تصبح ستة عشر ألفاً من
الخلايا البكتيرية، ثم يتضاعف العدد البكتيري إلى
أربعة وستين ألفاً في جرام من الدم المسفوح، بعد

الهيماتين يسلك سلوكاً شائناً، باتحاده مع مركب «ألفا - ٢ - جلوبيولين»، ويتحول - من ثم - الى «الهابتوجلوبيولين» (Haptoglobulin)، وهو مركب مشاسب، لا يلبث أن يتحد مع بروتينات دم الأكلين، ويمنعها من القيام بالأدوار الحيوية المنوطة بها .

ولكن، فلنعد الى الجزء الآخر من الهيموجلوبين، الذى لم يهضم في الأمعاء... لقد تمكن - بصعوبة - من الوصول الى الدورة الدموية، على نفس حالته، ومن دون أى تغيير ينكر في بنيته - على انه لا يلبث أن يتحول في الكلى، الى مركب آخر هو «الهيموسيدرين» (Haemosidrin) .

لقد كان خبثاً منه أن يتحول الى هذا المركب اللعين، فالواقع أن الهيموسيدرين يأخذ في التزايد بالكلى شيئاً فشيئاً، على نحو يضر بحيويتها، لا سيما حينما ينوى الخروج منها مندفعاً بقوة، ساداً بذلك قنواتها الجامعة .

وهذا مما يضعف كثيراً من قدرة الكلى على تخلص دم الإنسان، مما يشويه من بولينا زائدة، وإن لابد أن يصاب الانسان بمرض (Haemosidri-sis) .

وبهذه المناسبة، فإن هذا المرض معروف على أوسع نطاق في البلاد الأوروبية، التى يطعم فيها الناس كميات وافرة من «سجق الدم بالأرز» .

عند هذا الموضوع كنت أود أن أختتم حديثي عن أضرار هضم الكريات الدموية، ولكن لا بأس أن نشير - في عجلة - الى أضرار هضم الكريات البيضاء، أيضاً . لقد وجد الباحثون أن هضم هذه الكريات في أجسام الأكلين، ينز بتضاعف مقدار حامض البولييك في دماهم، على نحو مثير للقلق .

احتوائها على صبغة الهيموجلوبين (Hae-moglobin)، وهى مادة يدل التركيب البنائى لها، على وجود مكونين أساسيين، هما بروتين «الجلوبين» (Globin)، ومركب غير بروتينى هو «الهيم»، يتميز عن قرينه بوجود عنصر الحديد (هازم الأنيميا العتيد) في تركيبه .

والآن، يتعين علينا أن نتساءل عن القيمة الغذائية للكريات الدموية الحمراء، وعن تفاعلاتها في جسم الإنسان، إذا ما طعم شيئاً من الدماء؟ .

كارثة ! إن هذه الكريات تفجر منذ لحظة وصولها الى المعدة فيضاً لا ينقطع من المشكلات - وهذا أمر متوقع تماماً، لأن الكريات الحمراء تنطوى على قدر وافر من عنصر الحديد، يثقل الوجبة، ويجعلها صعبة الهضم، عسيرة التناول، وإن لابد أن تضج المعدة وتشتكى، وتبعث - على الفور - برسائل الاحتجاج، في صورة تقيؤ شديد واسهال .

وفرة الحديد في الكريات، جالبة للمزيد من المشكلات... تلكم هي الحقيقة التى يغفل عنها البعض ممن ابتهجوا بها، ظانين أن في تناول الدماء، وقاية لهم من الإصابة بفقر الدماء (الأنيميا)، ولكن ها هم الباحثون يقولون بأن هذا وهم وخرافة، لأن حديد الدم من النوع العضوى، الذى يصعب امتصاصه من الأمعاء .

حقاً، إنها لمعضلة حقيقية، ولكن المعضلة الأكبر تتفجر بمجرد نجاح القناة الهضمية في هضم قدر من هيموجلوبين الدماء... إذ ذاك يتحول الهيموجلوبين الى مكونين أساسيين: بروتين الجلوبيين، ومركب الهيماتين، وفي حين يلج الجلوبيين «بركة الأحماض الأمينية»، فإن

بكتيريا الأمعاء وبروتينات الدماء:

لقد علمت أن بالدم صنوفاً عدة من البروتينات، نذكر منها بروتينات البلازما، من مثل: (الالبومينات، والجلوبولينات بأنواعها الألفية والبائية والحيمية).

وثمة بروتينات أخرى غيرها، ذات صلة بتخثر الدم، من مثل: (البروثرومبين، والفibrينوجين). وغير ذلك من بروتينات تنتشر بمقادير محدودة في الدم.

لقد أصبح واضحاً بعد إجراء المزيد من تجارب تحليل الدماء، كم هي ثرية في محتواها البروتيني. وهذه نعمة، ما في ذلك شك!

ولكن النعم تنقلب الى مصائب، حينما ياكل الإنسان شيئاً من الدماء. وأنت تسأل لماذا، وكيف؟

الواقع أن الخطورة تكمن في الفلورا (الميكروبات) الطبيعية، التي تسكن أمعاء الإنسان، والتي تهوى التعامل مع هذه البروتينات، على نحو مثير.

أجل، فعلى طول الأمعاء تسكن أعداد لا تحصى من الميكروبات. ففي الجزء الأول من الأمعاء الدقيقة (الاثني عشر)، توجد صنوف كثيرة من بكتيريا أغلبها بكتيريا موجبة لصبغة جرام، كروية وعضوية.

وفي الجزء الأوسط (الصائم) تتزاحم أنواع بكتيرية موجبة لجرام، اختيارية للهواء، من مثل: Diphtheroids, Enterococci (Streptococci), Lactobacilli.

وفي الجزء الأخير من الأمعاء الدقيقة (الفائفي)، تتشابه البكتيريا الموجودة به، مع تلك الموجودة بالأمعاء الغليظة، إذ نميز بينها الإنتروباكتريا - En- terobacteria، والسالبة لجرام اللاهوائية من مثل: Fusobacterium، وكذلك Bacteriods.

ومما يستطاب ذكره، أن الأمعاء الغليظة تنطوي

على قدر هائل من الميكروبات يبلغ نحو (١٠/جم وزن طرى) في براز الإنسان السليم، وهي تتوزع على نحو ثلاثمائة نوع بكتيري. هذا، وتقع الأمعاء الغليظة بأعداد لا حصر لها من الفلورا الطبيعية، لا سيما البكتيريا اللاهوائية السالبة لجرام، من مثل: Fu- Bacteroides, sobacterium. وكذلك أنواع البكتيريا اللاهوائية، والبكتيريا المحبة لكميات قليلة من الهواء، الموجبة لجرام، من مثل:

Bifidobacterium, Lactobacillus, Clostridium, Eubacterium إضافة الى أنواع من بكتيريا اختيارية للهواء، سالبة لجرام، من مثل:

Escherichia, Enterobacter, Proteus, Klebsiella.

ونعود فنقول، إن الباحثين وجدوا أن أنواعاً من الميكروبات التي تستوطن الأمعاء، يمكنها تحويل بروتينات الدماء الى الأمونيا (النشادر)، بعملية كيميائية يقال لها «النشدر» - Ammonification. وقد تتم هذه العملية لا هوائياً - أيضاً - وتسمى عندئذ «التعفن» وينتج عنها روائح كريهة، ولا تكون مصحوبة بتكوين الأمونيا مباشرة، بل تتحول البروتينات الى أمينات ومركبات وسطية مختلفة. وفي وجود الهواء تتأكسد هذه الأمينات والمركبات الوسطية بواسطة بكتيريا أخرى، وتنتج أمونيا وثاني أكسيد الكربون.

هذا هو (السيناريو) الذي يدور بين البكتيريا وبروتينات الدم المسفوح، ولكن ما وجه الضرر فيه؟

(السيناريو) يفجر «غيوبة الكبد»: الواقع أن الضرر يكمن في طبيعة التفاعل الحادث بين الفلورا المعوية، وبروتينات الدم. فهذا

الوصول الى المخ، والتأثير في خلاياه؟.

على أن «الغيبوبة الكبدية» الحادة، لا تكون على وتيرة واحدة، بل إنها تتفاوت في شدتها من تغيرات نفسية بسيطة ومحدودة الأثر، الى غيبوبة كبدية تودى بالحياة. فالشخص المصاب يعاني - في البداية - من تدنى قدرته على التركيز، كما يشعر بعجزه عن تحديد المكان والزمان بدقة كالمعتاد، ويبدأ في الهذيان، ويعند، ومع تطور الحالة، يصبح خاملاً، دائم النعاس، كما تجتاحه رعشة بالاطراف، ويهذى أكثر مما كان. ويعقب ذلك مباشرة، اصابة المرء بهياج شديد، ويصبح عدوانياً وعنيفاً، كما يعلو صوته بهذيان متصل.

ويوصلنا هذا الى المرحلة الأخيرة الخطيرة، مرحلة الغيبوبة العميقة، التي قد تقضى الى الوفاة.

ومما يستطاب ذكره، أن هذه الأحداث المتساوية تشابه ما يحدث لدى انسان اضطر لإبتلاع كمية كبيرة من الدم، بسبب اصابته بنزيف المرء أو المعدة أو الأمعاء. وهي الحالة التي توجب على الأطباء تخليص الأنسب الهضمي مما تراكم فيه من دماء، بمص محتويات المعدة، واعطاء الحقن الشرجية لغسيل القولون، لئلا تتفجر التأثيرات الدماغية العاصفة، التي تنجم عن وصول الأمونيا الى خلايا الدماغ.

وعند هذه النقطة، لابد أن يقف الباحث العلمي المؤمن أمام جوانب الإعجاز في آيات تحريم الدم في كتاب الله الكريم متأملاً، وغارقاً في تأمله، ثم ينظر فيما توصل اليه العلم، وتشوقه المعرفة فيبحث، فيزداد علماً ومعرفة، ويزداد إيماناً بحكمة هذا التشريع المعجز المتين، ويزداد يقيناً بخالقه ومولاه، سبحانه المشرع الأول العظيم.

التفاعل يخلف كمية وافرة من الأمونيا، شديدة السمية، التي تدخل الى الدم، عقب الامتصاص من الأمعاء، حيث تبلغ الوريد البابي، ومنه الى الكبد.

وفي الأحوال العادية، وحينما تكون كمية الأمونيا ضئيلة للغاية، فإن الخلايا الكبدية تتولى مهمة التقليل من سميتها، من خلال تحويلها الى بولينا (Urea)، تفرز في البول، ولا تصل الى الدورة الدموية العامة، ومن ثم يأمن الجسم من شرها.

أما الآن، فإن كمية الأمونيا المتولدة عن استقلاب بروتينات الدم (ميكروبياً) تفوق قدرة الخلايا الكبدية، على تشكيل البولينا. وإذن، لابد أن تعجز الخلايا الكبدية عن مواصلة العمل، وتصاب بإجهاد شديد، يفضي الى هبوط متسارع في وظائف الكبد. فما الذي يحدث للأمونيا الآن؟.

لسوء الحظ، أن نجد بعض الأمونيا المتولدة بالأمعاء تنجح في الوصول من الوريد البابي مباشرة الى الدورة الدموية، دون المرور على الكبد، أو بعد مروره على الكبد ذي الخلايا المدمرة، الذي يفشل في تحويلها الى بولينا غير سامة. وإذن، تدور الأمونيا مع الدورة الدموية العامة، حتى تصل في النهاية الى المخ، وعندئذ تبدأ تؤثر في خلاياه، وفي وظائفها الحيوية تأثيراً سيئاً، فيصاب المرء بخمول عقلي، وينتابه الذهول.

وفيما بعد، وحينما تصل الأمونيا الى مستوى معين، يصاب الإنسان بغيبوبة كبدية (hepatic coma)، أو بالفشل الكبدي. وهي مرحلة خطيرة تنذر بوصول الكبد الى وضع سيء، وتشير الى الخلل الوظيفي الجسيم الذي أصاب خلاياه. وهذا حق، ألم تعجز عن معالجة التأثير السام للأمونيا، مما مكثها من

المسرح الاحتفالي بين القبول والرفض

أسماء عربية في هذا الميدان نالت حظها من الشهرة، ووجدت إبداعات مسرحية مهمة.

وفي هذا الخضم، ظهرت دراسات وأبحاث، تحاول أن تثبت من خلال بعض المظاهر، أن العرب قد عرفوا «المسرح»، وإن لم يكن بشكله الغربي المعروف، فيأشكال مختلفة لا تنأى عن مضمونه وهدفه، مثل الأسواق الشعبية وبعض المهرجانات، والمقامات، وما كان يعرض في قصور الوجهاء من أمسيات واحتفالات وغير ذلك، وما يصاحبها من حركات ورقصات وجارات وأناشيد ونحوها (أذكر منها على سبيل المثال: «أبحاث في المسرح المغربي» للدكتور حسن المنيعي و«الظواهر المسرحية عند العرب» لعلي عقله عرسان).

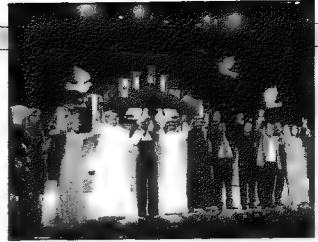
ويعد المراحل الأولى من تاريخ المسرح العربي (رغم قصره) وتراكم تجارب عديدة، وتطور وعي مسرحي مهم، ظهرت اتجاهات جديدة على امتداد الوطن العربي، تعمل على خلق «مسرح عربي» محض، شكلا ومضمونا مستقلة التراث الزاخر للأمة وبعض الأشكال التعبيرية السائدة في الفولكلور الشعبي.

وأوضح تلك الاتجاهات وأنضجها: اتجاه «الحكواتيين» في لبنان، واتجاه «السرادق» في مصر، واتجاه «الاحتفاليين» في المغرب، ولعل هذا الأخير يقف في المرتبة الأولى في صف الاتجاهات

لا شك أن المسرح كوسيلة من وسائل التعبير الفني، بل من أرقاها، شيء دخيل على الثقافة العربية المعاصرة، دخل إليها بعد احتكاكها المباشر بالثقافة الغربية وذلك في القرن التاسع عشر، وهو وليد هذه الثقافة منذ عصورها القديمة، أي منذ العصر اليوناني والروماني، وذلك في قرون ما قبل الميلاد.

وقد أخذ شكله واصطلح عليه بهذا المصطلح منذ ذلك الحين... وهكذا أُعِدَّ له مكان خاص، ذو هندسة معينة، وألفت المسرحيات على طراز خاص، من طرف مؤلفين مشهورين إلى حد الآن، يلقيها على المسرح أناس محترفون، هم الممثلون... ولا حاجة إلى ذكر أشهر المؤلفين المسرحيين القدامى أو ذكر نماذج من مسرحياتهم، فالأسماء كثيرة والعناوين أكثر، وما كان هذا غرضنا، لأن هناك كثيراً من المؤلفات التي اهتمت بتاريخ المسرح والمسرحيين وإبداعاتهم، وهي غير مجهولة عند المهتمين.

ويعد أن عرف العرب هذا الجنس من التعبير الفني، ترجموا العديد من نصوصه الشهيرة، وأنشأوا الفرق المسرحية المختصة، وأسسوا المسارح، فذاع صيتها وأقبل عليها الجمهور؛ وظهرت



وقد وجد منظرو الاحتفالية وعلى رأسهم د. برشيد نفس النظرة للاحتفال لدى بعض منظري المسرح الغربيين كميخائيل باختين الذي يقول: «إن الاحتفال هو الصنف الأول والأبدي للحضارة الإنسانية، هذا الصنف الذي نرى فيه جوهر الثقافة الشعبية» [٢].

هذا عن مصطلح الاحتفال وملابس اختياره ووضع، إذ لم يكن اختياره اعتباطيا، بل نتيجة بحث ودراسة عميقتين، فماذا عن الاحتفالية وأهدافها؟

يعرفها د. برشيد بقوله: «ظاهرة فكرية وفنية واجتماعية، ظاهرة أفرزها واقع تاريخي يسعى إلى قتل العناصر الحيوية في الإنسان، وتجريد الحياة من مقوماتها الأساسية، إنها إذن ابن شرعي للواقع وذلك لأن لها جنورا عميقة تشدها إلى التربة وتربطها بالمناخ الحضاري العام وبالجغرافية الثقافية والسياسية للواقع المعاصر» [٣].

من هنا، فقد «ارتبط التراث بالاحتفالية، والاحتفالية بالتراث حتى أصبحا في كثير من الأحيان شيئا واحدا موحدا» [٤]، ولا ينحصر هذا التراث في التراث العربي الإسلامي، بل يشمل التراث الإنساني عامة.

فالاحتفالية وأسعة الدلالة والاهتمامات، وهي بذلك تتجاوز المسرح إلى غيره من النشاطات المعرفية والفنية، فإن استفاد منها المسرحي بالدرجة الأولى، يمكن أن يستفيد منها القصاص والشاعر

أو التجارب المذكورة، حيث قال أحد الباحثين: «تشكل جماعة الاحتفاليين في المغرب أقوى واقع مسرحي عربي في الوقت الحاضر» [٥].

وغاية هذه التجارب جميعها، كما سلفت الإشارة، إيجاد «مسرح عربي» مستقل عن الشكل الغربي السائد، شكلا ومضمونا، عن طريق الاستفادة من التراث العربي الثر بالإبداعات والأشكال التعبيرية.

والاحتفالية مشتقة من «الحفل»، والحفل ببساطة هو ذلك التجمع الجماهيري الشعبي، العفوي، للتعبير عن الشعور بالفرح والسرور بحدث ما، أو في مناسبة من المناسبات.

وقد وجد د. عبد الكريم برشيد - وهو أحد أهم منظري هذا الاتجاه - بعد أبحاث جادة، أن هذا اللفظ خير تعبير عن تلك التجمعات الشعبية المتنوعة التي تتعدد في مناسبات مختلفة وتصحبها أناشيد ورقصات وحوارات في التراث العربي الإسلامي، بل ولدى كل الشعوب، وهو (الحفل) بذلك كان المخاض الذي تولدت عنه كثير من الفنون كالشعر والرقص والغناء، والمسرح جماع هذه الفنون.

وبهذا، كانت العودة إلى «الحفل» عودة إلى الأصل وليست مجرد نبش في ماض انتهى أو بعثا له.

المعقدة، أي أنها ثورة، ثورة على السائد المزيف غير المرغوب فيه... ثورة غير مضبوطة بقوانين وقواعد جاهزة مسبقة، وإنما هي بسيطة تعتمد رصد الواقع ثم تعمل على دراسته، وتقديم اجابات/ حلول، أي تغيير الواقع نحو الأفضل... وهي بذلك مشروع مفتوح لكل الاجتهادات.

أما عن أهدافها، فهي ترمي باختصار الى تغيير الواقع بما فيه من ظواهر مرفوضة تحد من حرية الناس وتمس بكرامتهم، وتعيد صياغة هوية الإنسان بتخليصه من كل أشكال العبودية عن طريق خلق لغة إنسانية بواسطة الاحتفالية التي تندمج فيه كل العناصر بعفوية للتعبير عن أحوالها.

إن، من خلال رؤوس الأقلام السالفة الذكر، يمكن القول إن الاحتفالية ظاهرة واسعة، تتسع الجانب الفني والاجتماعي والسياسي والفكري والايديولوجي، وإن كانت ترفض أن تكون مدرسة أو مذهباً ذا اجراءات معينة، فإنها ببساطتها وتحررها ذات ملامح واضحة، حاولنا الإشارة إليها بتركيز شديد يناسب المقام.

إن هذا التوجه الجديد في المسرح العربي والمغربي خاصة، يتوق الى الخلاص من الهيمنة الغربية على الثقافة والهوية العربية، وقد جذب مجموعة من المهتمين بل المحبين للمسرح الذين عملوا جادين على إقامة صرح «المسرح الاحتفالي».

أولاً : باستفادتهم من المسرح العالمي إبداعاً وتنظيراً.

ثانياً: باهتمامهم وبحثهم في التراث العربي الإسلامي وخاصة منه الشعبي.

ثالثاً: بمحاولتهم إيجاد مسرح عربي خالص متحرر من أي سيطرة أجنبية.



والانثروبولوجي والاجتماعي والسياسي[ه] كذلك، لأنها مرتبطة «بالمناخ الحضاري العام وبالجغرافية الثقافية والسياسية للواقع المعاصر».

وهي تعمل على النزول الى الواقع: الى الأسواق والاحتفالات والتجمعات الشعبية لتلمس الواقع عن قرب وتحدد مشاكل الناس وتدرسها وتقدم لهم بالتالي أجوبة تخلصهم منها وتخفف من معاناتهم وترفع عنهم القيود التي تفرضها عليهم الحياة المجتمعية

**** جماعة الاحتفاليين في المغرب اقوى واقع مسرحي في العالم العربي.**

**** المسرح المغربي الحديث على المحافظة على الهوية المغربية.**

**** الحكواتي،**

والسرافق،

والفعل، كانت

تمثل بدايات

العمل المسرحي.

**** المسرح**

الحديث صناعة

أوروبية.

والتراث العربي بكل مكوناته، ولا يعني هذا رفض عملية النقد التي هي من واجبات الفنان، وتصحيح المعوج وتقويم الخطأ، ولكن صيانة الذات العربية وإنقاذها من الذوبان والهيمنة الأجنبية. أما الأشكال فهي خاضعة حتما للتبدل والتطور عبر مرور الأجيال وتعاقب الدهور.

وأخيرا، فإن

مصطلح الاحتفالية فرض نفسه على الساحة المسرحية المغربية بالخصوص، بما قدمه رواده من إنتاجات إبداعية ونظرية جادة وهادفة، ويستحيل تجاوزه أو إلغاؤه.

الهوامش :

(١) مفيد الحوامدة، المسرح العربي ومشكلة التسمية - عالم الفكر: ج ٤٠ - ١٩٨٧ - ص ٧٦.

(٢) نقلا عن: مصطفى رمضان: إشكالية المصطلح في المسرح الاحتفالي - العلم الثقافي - السبت ٩٠/٢/١٠.

(٣) نقلا عن مصطفى رمضان: نفس المرجع.

(٤) عبد الكريم برشيد: الاحتفالية في أفق التسعينيات - الاحتفالية والتراث - «العلم الثقافي» السبت ٩١/٥/٩١، وانظر كذلك برشيد: الاحتفال والتراث وإشكالية الهوية - العلم الثقافي - السبت ٨٩/٢/٩١.

(٥) راجع بحث مصطفى رمضان.

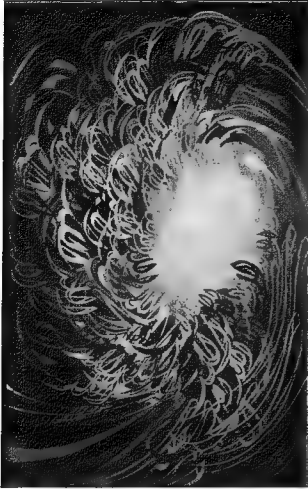
(٦) نقلا عن جريدة الاتحاد الاشتراكي (المغربية) - ج ٣٣٢٧ - الأحد ٩٢/٩/٢٧.

ويمكن أن نذكر هنا بعض الأسماء البارزة في هذا المجال كالطبيب الصديقي وعبد الكريم برشيد وأحمد الطيب العليج وعبد الحق الزروالي ..

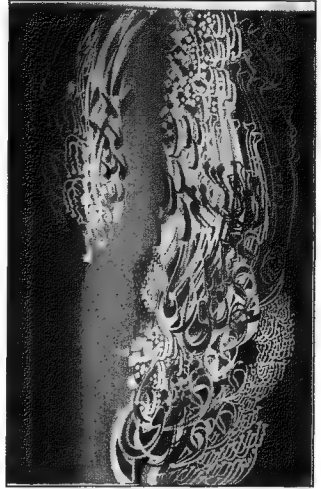
لكن هناك من يرفض هذه المحاولات الرامية إلى بلورة شكل مسرحي عربي خاص، وهم من أهل المسرح كذلك، أذكر منهم المخرج الفلسطيني جواد الأسدي، الذي لا يؤمن بهذا الطرح: ايجاد «هوية خاصة للمسرح العربي» ويعتبر «هذا الادعاء نزعة شوفينية ليست لها ارتكازات ملموسة»، ويقول «أن يكون في تراثنا العربي مقامات أو نثرات أو مونولوجات درامية، فهذا لا يعني أن هذه الأمور هي التي ستشكل الخواص المسرحية، أو من أن المسرح حقيقة إنسانية عامة في جميع أرجاء العالم كله، فييراندالو أو تشيخوف بالنسبة لي يمكن أن يقدموا لي نكهة الخصوصية العربية... إن النص العربي والنص العالمي مرآيا متقابلة لحقيقة مسرحية واحدة تعطي للمسرح حضوره الإنساني».

ولا يؤمن، المخرج نفسه، «بالمسرح الجماهيري»، ويعد ذلك تسمية تجارية لن تلبث أن تجر المسرح إلى «الذائقة المسطحة»، لأن المسرح في نظره يجب أن يحافظ على مستوى فني رفيع، «أي أنه لا بد أن يخاطب مستوى محددا من المتلقين ممن تتوقر لديهم قدرة على فهم الدلالات المعرفية» [٦].

وعلى كل، فاختلاف الآراء شيء بديهى ومحمود، لأنه يؤد حوارا ونقاشا، وبذلك تفتت الدراسات والأبحاث وتعمق... وقبول أو عدم قبول هذا المصطلح الجديد في ميدان المسرح العربي، ربما شيء شخصي مرتبط بقناعات كل فرد؛ والمهم في الأمر هو احترام الشخصية العربية والذات العربية،



لوحة لفظ الجلالة للدكتور محمد غنوم



لوحة بمشق للدكتور محمد غنوم

الخط العربي بين الفن والحرفة

مدارس فنية مستقلة متنوعة للخط العربي،
والذين شقت شهرتهم الأفاق حيث أسسوا
مدرستين أساسيتين في هذا المجال.. الأولى
مدرسة الأسلوب اللين والثانية مدرسة
الأسلوب الجاف.

لقد عرف الخط العربي نهضة كبيرة في
العصر العباسي حيث وصل عصره الذهبي
نتيجة لظهور خطاطين كبار لا يقلون
بمستواهم الفني عن ليوناردو دافنشي
ومايكل أنجلو وغيرهم، منهم ابن مقلة وابن
البواب علي بن هلال، وتمكنوا من تأسيس

بقلم : ممدوح الزويبي - سوريا

ابن البواب هذا الا أن ميلاده كان في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، في حين كانت وفاته في الثاني من جمادى الأولى سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م.

ونذكر بعض المؤرخين أنه توفي سنة ٤١٣هـ ودفن بجوار الإمام أحمد بن حنبل في بغداد وراثه العديد من الشعراء مثل الشريف الرضي الذي قال فيه:

ووريت يا ابن هلال والردى عرض
لم يحم منه على سخط له البشر
فلقلوب التي أبهجتها حزن
والعيون التي أقررتها سهر

ولم يقتصر ابن البواب على ممارسة الخط انما كان مثل فناني عصره، كان مهتماً بكثير من الأمور مثل النحو والصرف والفقه والحديث، فقد درس النحو على ابي الفتح بن جني وبرع في تفسير الرؤيا ونظم الشعر وكان دهانا يجيد تزويق الأبواب والبيوت.

وكان يُدَبِّبُ الكتب.. ثم تعاطى الكتابة ففاق الأولين في ذلك حسبما قال الامام الذهبي.. الى جانب كل ذلك برع في تطوير الخط العربي ومن الخطوط التي تنسب اليه الخط المعروف بالريحاني

وتضم المدرسة الاولى مجموعة من أنواع الخطوط أهمها الخط النسخي الذي يكتب به القرآن الكريم وخط التعليق أو الفارسي الى جانب الرقعة والديواني والتثت وغيره بينما تضم المدرسة الثانية الخط الكوفي وأنواعه مثل الهندسي والمورق والمشجر وغيره.

(ابن البواب) :

كان ابن البواب من أوائل الفنانين العرب الذين تعاملوا مع الخط العربي وقد تتلمذ الكثيرون من خطاطي عصره على يديه وقد ذكره الكثير من الشعراء العرب في أشعارهم مثل ابو العلاء المعري الذي قال فيه:

ولاح هلال مثل نون اجاساه
بماء النضار الكاتب ابن هلال

ولم يذكر المعري الكاتب بن هلال اعتباطاً وانما استناداً لما لهذا الفنان من شهرة طبقت الافاق، وأبن هلال هو ابو الحسن علاء الدين بن هلال السري المشهور بابن البواب نسبة الى عمل والده الذي كان يوابا على دار القضاء في بغداد والسري هو البواب لأن البواب يلزم ستر الباب. ولم يشتر المؤرخون الى تاريخ دقيق لولادة

وخط المحقق، وانشأ مدرسة للخط استمرت حتى جاء ياقوت المستعصمي المتوفي سنة ٦٩٩هـ الذي طور الخط وزاد عليه طرقاً أخرى.

حفظ ابن البواب القرآن الكريم ونسخه بيده اربعاً وستين مرة وكانت احدى تلك النسخ بالخط الريحاني اوقفها السلطان العثماني سليم الأول لجامع (لا له لي) في اسطنبول، ثم نقلت الى متحف ابراهيم باشا في اسطنبول وهي محفوظة هناك إلى الآن كما كتب ديوان سلاة بن جندل في سنة ٤٠٨هـ وهو محفوظ حالياً في مكتبة (آيا صوفيا) في مكتبة السليمانية في اسطنبول ٠٠ كما يوجد مصحف بخطه في مكتبة جستربرتي في دبلن في ايرلنده.

وقد ذكر المؤرخون ان ابن البواب أخذ الخط عن محمد بن أسد في حديثه ثم أخذ عن محمد السمساني وهو من تلاميذ ابن مقلة ٠٠ وقد بقيت خطوطه بعد رحيله تحكي قصة الرواد الذين أثروا التراث العربي الذي يحتاج منا جهداً كبيراً لبعثه مجدداً وحمايته من محاولات التشويه التي يتعرض لها.

(الدكتور محمد غنوم) :

لقد ذكرنا فيما سبق احد رواد الخط العربي في العصر الذهبي، وفيما يلي نتطرق الى احد رواد الخط العربي في العصر الحديث وهو الدكتور

محمد غنوم الذي ولد في دمشق عام ١٩٤٩م وحصل على إجازة في الفنون الجميلة من جامعة دمشق بدرجة امتياز عام ١٩٧٦م ثم حصل على ماجستير في الخط العربي ثم دكتوراه في علوم الفن من معهد حمزه للعلوم الفنية في طشقند عام ١٩٩٢م وهو عضو اتحاد الفنانين التشكيليين العرب وعضو جمعية اصديقاء الفن.

وقد أقام الدكتور محمد غنوم تسعة وعشرين معرضاً شخصياً في العديد من العواصم العالمية كما اشترك في العديد من المعارض الدولية. وحصل على جوائز متعددة كان أهمها جائزة الشراع الذهبي في معرض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية السابع في عام ١٩٨١م كما حصل على كأس أفضل نشاط فني متميز في عام ١٩٧٦م في عمان الاردن.

وقد توزعت اعماله على العديد من دول العالم مثل سوريا والاردن والكويت وروسيا الاتحادية وفرنسا وإيطاليا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية وكندا وغيرها من دول العالم.

وقد تناوله بالحديث العديد من الفنانين العرب والعالمين مثل الدكتور فاتح المدرس استاذ الدراسات العليا في كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق حيث يقول: (تتكون الحروف العربية بين يديه كما تتكون عناصر الطبيعة في الكون وتتحرر ببطء شديد ولطيف متناسبة في الفراغ محملة بسر



الدكتور محمد غنوم مع إحدى لوحاته

معبرة. لذلك اكتشف أن للحرف قيمة فنية بحد ذاته وذلك من جمالية تأليفه، وتكراره مع الإضافات اللونية سوف يجعل اللوحة الفنية أهميتها التشكيلية والتجريدية وقدرتها على التعبير الجمالي.

وبالفعل فقد جدد محمد غنوم نفسه حين اكتشف أن بإمكانه أن يعكس الكلمات المعبرة عن الموضوع الذي يريده ويقدمها في لوحته ضمن علاقات ملونة ليعكس رؤيته الشخصية للموضوع، وهكذا أعاد محمد غنوم لوحات فنية بشاعرية وجمالية ولوحات أخرى ملونة بصياغة تعبيرية يتناسق الموضوع فيها مع الألوان. فكتب

الأثر الانساني العاقل في رمزه للصوت الذي هو وتر الحرف).

كما نتحدث عنه الفنانة البلغارية ايلينا مروتشي التي تقول: (صحيح أنني لا أفهم الكتابة العربية ولا أفقه معاني اللوحات المنسابة امامي بشكل واقعي.. انما افهمها بشكل مجرد على أنها خطوط تنساب كانسياب الموسيقى وتتألق كتألق الجمال بأبهى صوره).

وعندما سألت الدكتور محمد غنوم هل يفقد الحرف العربي في وظيفته الصديقة في الفن التشكيلي شيئاً من قدسيته فأجاب بشكل مختصر «الحرف العربي ولد فنا تشكليا» اذن فنحن امام مادة دائماً تولد من جديد هذه المادة هي السر الكامن في قابلية حركة التكوين المتجددة في تراثنا العربي الحديث.

وكما يقول الفنان فاتح المدرس: إن محمد غنوم في تجربته الجادة في مجال التشكيل العربي يقف في مقدمة الفنانين العالمين لأجل الروعة الابداعية عند العرب وأن الموسيقى العميقة في عمله الفني حقيقة تجعلنا نقف باحترام أمام هذا الحدس الجمالي الرائع.

اما الفنان طارق الشريف فقد قال: لقد بدأت رحلة محمد غنوم مع الخط العربي من عملية التزاوج بين الألوان الزيتية والمواد الأخرى فاستخدم الحروف في البداية على أساس حرف منفرد يتكرر ويكتب ويلون ويخلق إيقاعات مختلفة

الحرف المستخدم والألوان التي توزعت لتعطي جميع اشكال التعبير المختلفة للوحة الفنية.

(الخط وصراع الحضارات) :

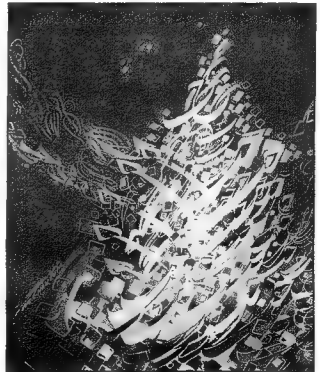
وقد شكل الخط محورا هاما من محاور الصراع الحضارى في العالم العربي على اعتباره احد روافد التراث العربي وخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث بدأت الحضارات المعادية، كما سماها الأستاذ محمد شامية الخطاط الدمشقي المعروف تتناول الخط العربي وكأنه موضة أو شكل تزييني جميل دون التعمق بفنية هذا الخط.

وقد طرحت في هذا المجال تجارب كثيرة لكن هذه التجارب التي تتميز بالهشاشة غير قادرة على الاستمرار في تشجيع بعض الجهات التي لا تكن ودا للتراث العربي الاسلامي لها، فلنا منها انها قد تخلق فناً عربياً هزئياً ليكون هناك قطع حقيقي وحاسم لعقد الحضارة العربية الذي بدا متماسكا مترابطا الى الآن.

كما يرتبط هذا الموضوع بالنظرة التجريدية للانسان العربي.. على اعتبار أن الفن الاسلامي الصحيح وخاصة الخط مرتبط بالبنية الحضارية للانسان العربي وهو نابع من شخصيته الخاصة جدا.. ويؤكد الاستاذ شامية أن التجارب الهشة لن تتجح في طرح فن عربي بديل وهزيل وخاصة في موضوع الخط العربي.. لأن هذا الخط مرتبط

الكلمات وازداد اليها رؤيته عن طريق الألوان كما فعل في كلمة دمشق أو الشام فأصبحت للوحة مضمونها الذي يأخذه من الكلمة المكتوبة ولها ألوانها التي تعكس انفعالاته تجاه هذه الكلمة مجددا في علاقات الألوان لتعكس رؤيته وجعلها تتناغم أو تتداخل عن طريق جعل الحرف يمتد ويتناول مع موجة الألوان التي كشفت عن قدرة لا متناهية لتكييف العمل مع الانفعالات الذاتية ومع الرؤية الشخصية وهكذا جدد في كل مرة.

وكما يقول الاستاذ الفنان طارق الشريف هذا التجديد لا يشمل شكل الحرف وجمالياته أو طريقة استخدامه ليقدم المضمون بل في خلق العلاقة المتوافقة بين المضمون الذي يعبر عنه وبين



احدى لوحات الاستاذ تيسير السبلي

فمثلا جمالية الخط الكوفي مستمدة من شكلها الهندسي الرزين حيث تشعر أمام اللوحة الخطية الكوفية بنوع من الوقار وكأن هذه اللوحة بناء متكامل الاركان لذلك يتميز بالرزانة والوقار .

فيما نرى أنواع الخطوط التي تتطوى تحت ظل مدرسة الأسلوب اللين مثل الخط الديواني الذي نلاحظ في حروفه النازلة الصاعدة المتمايلة يمنة ويسرة نلاحظ فيها لمسة موسيقية عذبة تكاد تقفز ما بين هذه الحروف من خلال رشاققتها لذلك وصفها الرسام الايطالي الشهير أندريولوني بسيمفونية متناسقة الانغام تتجدد كلما نظرت اليها .

ويشير الاستاذ تيسير الى أن جمالية الخط العربي لم تتجمد عند حد معين بل أخذت بالتطور وعبر العصور الاسلامية وخاصة تلك التي شهدت فيها الأمة الاسلامية ازدهارا، فمعظم الخلفاء كانوا يتعلمون الخط العربي ويتلمذون على ايدي كبار خطاطي عصرهم ولهذا السبب قيم الكثيرون من النقاد العالمين الخط العربي على أنه الأول بين خطوط لغات العالم من حيث الجمالية والمعاني الفنية والتشكيلية .

وتوجهنا بالسؤال الى الاستاذ تيسير عن نظرته للخطاطين الحرفيين فقال انت سميتهم حرفيين أي نفيت عنهم صفة الفن والقضية حرفة بالنسبة لهم وبالطبع هذا غير كاف في الحياة الانسانية فالانسان يجب أن يضيف كي يتحقق انسانيته ويجب أن لا يكتفي بالتقليد .

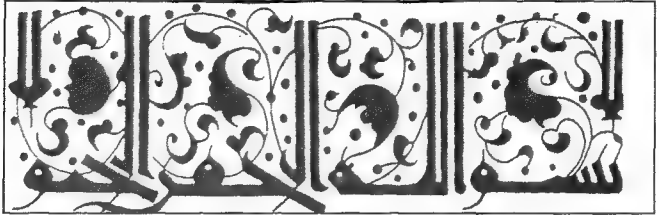
بالقرآن الكريم بشكل غير قابل للانقسام مما يساهم في حفظ هذا الخط .

ويضيف الاستاذ شامية سببا آخر لاعتقاده بعدم نجاح هذه التجارب هو أنها لا تعتمد الدراسة المعمقة لذلك يؤكد أنه لا يخشاها واصفا اياها بفقاعات الصابون التي سرعان ما تذورها الرياح .

(جمالية الخط العربي) :

إن موضوع جمالية الخط العربي من الصعب التعبير عنه بشكل دقيق لأنه مرتبط بوجودان قارئ اللوحة ويقدرته على مد جسور الحوار بينه وبين هذه اللوحة خاصة في الحالات التي تكون فيها مرتبطة به بشكل مباشر كلوحات القرآن الكريم أو الامثال والحكم وغيرها تكون الفرصة لثبات هذه الجسور اكبر منها لو تناوت اللوحات في مواضعها امورا لا تمت بصلة الى واقع وحضارة الانسان العربي، لكن هذا لا ينفي قدرة العين التي تتمتع بحس فني على استقراء انغام والحن لوحة معينة وانسيابية ألوانها .

وفي هذا الصدد يقول الاستاذ تيسير السلبي إن موضوع جمالية الخط العربي كثير التفاصيل وإنني أشك في امكانية عكس صورة صحيحة لما يدور بخلدني عن هذا الموضوع خاصة وأن انواع الخط العربي ليست قليلة بل تعداها تجاوز المئة ولكل نوع من هذه الأنواع جمالية خاصة به .



الخط الكوفي المورق

تعددت النظريات التي تحدد أصل الكتابة العربية. لكن تلك النظريات المستندة على مصادر ومعطيات تاريخية موثقة تجمع على «أن الخط الذي كتبت به العرب هو خط توقيفي» أي هو توقيف من عند الله سبحانه وتعالى حيث كان الكتاب العربي من نصيب إسماعيل عليه السلام.

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: «إن الخط العربي من جملة الصناعات المدنية والمعاشية، فهو على ذلك ضرورة اجتماعية اصطنعها الإنسان ورمز بها للكلمات المسموعة. والكتابة على ما هو معروف المرتبة الثانية من مراتب الدلالة اللغوية تابعة في نموها وتطورها شأن كثير من الصناعات المعاشية تتقدم العمران. وتقرر مجمل النظريات الحديثة على أن العرب لم يصيبوا دراية بالكتابة إلا حيث كان لهم بالمدينة اتصال. وقد كان اتصال العرب بالمدينة نتيجة لانتجاعهم تلك الأطراف الغنية المحيطة بشبه الجزيرة العربية في اليمن ووادي الفرات الأوسط وسورية وتجوع النبط وحوران.

الخط الكوفي .. ودوره في هندسة الزخرفة الاسلامية



عبدالمجيد الحو

أخذ الخط الكوفي، على ما ثبت من استقرار المكتشفات الأثرية، عن الأنباط... فالخط النبطي يشبه إلى حد كبير الخط الكوفي البدائي البسيط من حيث كثرة الأعمدة والزوايا [٢].

الخط الاسلامي :

شجع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) الكتابة والقراءة وعمل على نشرها بين المسلمين فجعل فدية من يكتب من أسرى قريش في موقعة بدر ممن لا يستطيع أن يفدي نفسه بالمال تعليم الكتابة لعشرة من مسلمي المدينة، كما اهتم الخلفاء والسلطانين بالخط العربي عبر العصور الاسلامية المختلفة. ولعل سبب ذلك يعود الى أن الخط العربي كان وحده أداة لكتابة القرآن الكريم. وقد نجح العرب المسلمون خلال العصور الماضية نجاحا كبيرا في نشر اللغة العربية في الأقاليم التي تكونت منها الدولة الاسلامية وتحويل كتابات لغات البلدان الاسلامية الى الخط العربي. وأصبحت الشعوب التي اعتنقت الدين الاسلامي من غير العرب تبذل جهودها في تعلم اللغة العربية، كونها - أي اللغة العربية - أضحت الرابطة الوثيقة التي تشد العالم الاسلامي بعضه الى بعض.

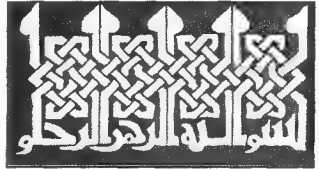
هذا ولم تتوصل الأبحاث الجارية حول منشأ الخط الاسلامي

الى أي حكم قطعي، غير أن الغالبية الأعم من تلك النظريات تذهب الى أن الخط العربي قد نشأ نتيجة تطور «الخط النباتي الموصل»، فالكتابات التي تظهر على الآثار والقطع النقدية والبردى العائدة الى ٢١٠م تؤكد ذلك، وقد انتهى الى العرب الجاهليين خط يعرف بأسماء عدة كالكي والمذني والكوفي والبصري. ويتضح من خلال أسمائها أنها كانت تنسب الى المواطن التي كتبت فيها، ولعل الفارق بينها كان تجويدا وتجميليا لا في الخصائص والمميزات.

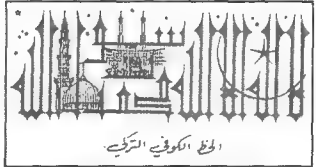
وقد اهتم العرب بالكتابة قبل ظهور الاسلام واستخدموها في المراكز التجارية والأوساط العربية الاجتماعية والثقافية كالفصائد التي كانت تخط وتعلق على جدران الكعبة، وكان يعرف بينهم في ذلك الوقت «الخط المعقلي» وهو خط يكتب بصورة أفقية وعمودية، إضافة الى الخط النباتي، وهي كتابة شامية مستديرة. والخط المعقلي خط صارم ترسم فيه الحروف بتجويفاتها ورؤوسها ضمن مربعات منتظمة أطلق عليها اسم «الخط الشطرنجي»، وله نوعان: الجلي والدقيق [١]. وقد

* «الخط العربي من جملة الصنائع المدنية، وهو ضرورة اجتماعية اصطنعها الانسان»

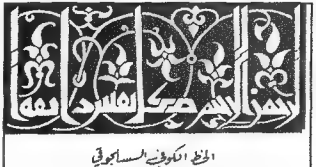
ابن خلدون.



الخط الكوفي الفاطمي



الخط الكوفي التركي



الخط الكوفي السلجوقي

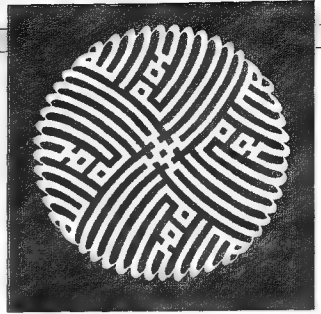
الخط الكوفي السلجوقي

وقد أدى الخط الاسلامي، بمختلف أشكاله، دوراً هاماً في تزيين العمارة الاسلامية والتحف والقصور والمدارس... بحيث لم يصل الى مكانته نوع من الفنون الاسلامية الأخرى... ومع ذلك لم يكن المسلمون أول من استعمل الكتابة في الزخرفة، فقد عرفه أهل الشرق الأقصى كما عرفه الغربيون... ولكن لا يوجد فن استخدم الزخرفة في الخط بقدر ما هو في الفن الاسلامي، وذلك يعود لتنوع الخط وتعدد أشكاله ووضع حروفه التي تسمح أكثر من غيره بالوصل والعمدة والرفع والمدة.

ويذكر أنه كان قد تم، قبيل نزول القرآن الكريم، تجويد الشكل اليابس للخط النبطي وأبدعت الكوفة في هذا المجال حتى عرف الخط باسمها واشتهر فيما بعد بالكوفي المصحفي لكتابة المصحف الشريف به. كما يذكر أنه على امتداد ما يقارب الاربعة قرون من الزمن، الى أن ابتكر الأتابكة في شمال العراق والشام خطاً جديداً أسرع كتابة من الخط الكوفي سُمي «خط النسخ»، كتب بالريشة مباشرة عوضاً عن استعمال الأدوات الهندسية المستخدمة في الخط الكوفي.

تطور الخط الكوفي :

ويسبب تشعب الحياة وتنامي الحاجة الماسة



الخط الكوفي التريبي المتأثر بالرسم

الى الكتابة، وكذلك نزوع الحكام والأثرياء من المسلمين في مختلف الأمصار الى ترصيع مشيداتهم وطرزهم المعمارية ومؤلفاتهم، وإيجاد متنفس للفنانين في الخط العربي للتعبير عن إبداعاتهم الفنية. كل ذلك ساهم في تحسن الخط الكوفي وتطوره من شكله البدائي الى شكل أكثر حيوية ورونقا. فمثلا عندما انتقلت الخلافة من الكوفة الى الشام تميّز الخط الكوفي في كتب الأمويين وبرع الخطاطون في تجويده. ومن أعلامهم الخطاط «قطبة الحرير» الذي أخرج على يديه أربعة أنواع مشتقة من الخط الكوفي. ومما ساعد في تألق الخط الكوفي، إضافة الى اختصاص الفنانين بعلم الخط العربي، هو اختراع الورق الجيد في الشام الذي كان يسمى بالقرطاس الشامى.

وقد زين الخطاطون كتاباتهم بالزخارف المختلفة، النباتية والهندسية، وكانت بصيغة آيات قرآنية، ودعائية ومديح وثناء لما وراءها من خير

وبركة، لذلك لا نجد فنا ينافس الخط الكوفي المزخرف لما للقرآن الكريم من قدسية ومكانة جعلت آياته تتصدر اللوحات الزخرفية في المساجد والروضات والمدارس والتحف توخياً للبركة والذكر. وقد خضع الخط الكوفي لسنن التطور ونواميس التدرج شأنه شأن الفنون المختلفة. تؤكد ذلك المخطوطات والنقوش التي وصلتنا من العصور الإسلامية حتى بلغ أوج عظمتها في العصر العباسي. ويشكل الخط الكوفي أساسا للزخارف الجميلة، فرؤوس الحروف وسيقانها، وخطوطها الرأسية والأفقية، أوجت عناصر زخرفية جديدة وسمحت للخطاط العربي أن يطلق عنان ريشتيه من مدد إبداعه. وقد بدأت المحاولات

**** تعددت
جماليات
الخط
العربي
وتنوعت
لتمثل
نماذج
إبداعية
يقاس بها
** الحرف
العربي فيه
من المرونة
والليونة
ما يجعل
منه أبداعاً
دائماً
التنوع
والتجدد**

محفوظ في المتحف الاسلامي بالقاهرة وتبدو عليه الزخارف النباتية. كما يشهد الخط الكوفي المزخرف بعض المراحل التي تضفي عليه تغيرات طفيفة كانتقاله مثلا من المورق الى الزهر. كما ظهرت لهذا الخط أنواع هندسية مختلفة منها الكوفي المربع والمثلث والخمس والمثلث وذو الاطار الهندسي وسواها.

وهكذا اندفع الفنان في هذا الميدان فأخذ يبتكر النقوش والزخارف الكتابية ولم يعتمد على أصول الخط ولم يأبه بصعوبة القراءة، بل كان همه الوحيد هو الفن، لذلك تراه يتلاعب برؤوس الأحرف وسيقانها وأقواسها ومداتها وحركاتها بعناصر زخرفية جديدة ومتنوعة.

أنواع الخط الكوفي :

والجدير ذكره أن مؤرخي الخط الكوفي لم يصلوا الى تصنيف متكامل لأنواع الخط الكوفي، الا أنهم اتفقوا على أن الخط الكوفي كتب بشكلين رئيسيين تابعين لتدرجه وتطوره وهما : الخط الكوفي الكتابي البسيط والخط الكوفي التزييني الذي تشعبت فروعه وأنواعه تبعا للهندسة والرسم والعمارة والبلد المكتوب فيه. وثمة تصنيف أكثر شمولية يقسم أنواع هذا الخط الى ما يلي:

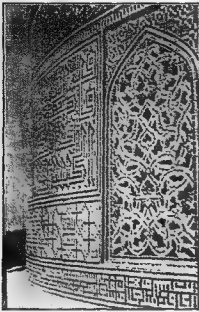
تبعا للعصر: ويمكن تمييزها بالتالي:

١ - الخط الكوفي الأندلسي (١٣٨ - ٤٣١هـ):

الزخرفية الأولى في الخط الكوفي في مصر في القرن الثاني الهجري، وهي محاولة لزخرفة نهايات الحروف بما يشبه فروع الشجرة وأوراقها. وشهد القرن الثالث الهجري أروع أنواع الزخارف الكوفية المتطورة، ثم بدأ الخط الكوفي بالرشاقة في القرن الخامس الهجري، وقد زاد تعقيدا ورقة وجمالا في العصر السلجوقي. . على أن الإيرانيين لم يقبلوا على استخدام الكتابة في الزخرفة قبل القرن الرابع الهجري. والواقع أن الكتابة الكوفية كانت تلازم الطراز الزخرفي في ذلك العصر، وكانت الزخارف الكوفية يختلف بعضها عن بعض في هيئة الحروف من حيث الاناقة واتساع الحروف وحسن توزيعها حسب مهارة الخطاط. ومن هذه الزخارف وصلنا نقش مؤرخ في سنة ٤١٢هـ



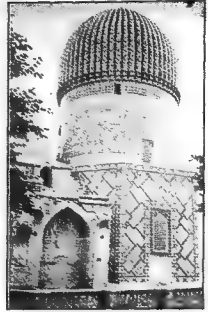
آية قرآنية بخط الفنان الإيراني علي رضا ثنائي



ضريح تيمورلنك



سجدة كتب عليها بالخط الكوفي بأسلوب ساساني



قبة مسجد الشاه في اصفهان ١٢٠٦هـ

**** الخلفاء والسلاطين عنوا بالخط العربي وتطويره عبر العصور**

الصغرى ٠٠ وقد خدموا العباسيين، وكان للخط الكوفي لديهم شكله المزركش المميز، حيث أنهم اعتنوا بالرسم والنقش أكثر من الحرف.

٤ - الخط الكوفي الأيوبي (٥٦٤ - ٦٦٨هـ):
تولى الأيوبيون الحكم في سورية واليمن ومصر، وهم من سلالة أيوب بن شادي بن أبي صلاح الدين الأيوبي، وقد استعملوا الخط الكوفي في

الزركشة والتزيين:

٥ - الخط الكوفي المملوكي: يلاحظ في هذا النوع من الخط الاسترسال وطول العبارة والمحافظة على روح التماثل والتناظر:

يمتاز هذا الخط بالتشابك الهندسي الفني وقد اعتمد على خاصيتي التناظر والتناسق.

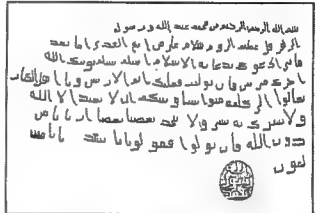
٢ - الخط الكوفي الفاطمي (٢٩٥ - ٥٦٦هـ):
حيث خرج الفاطميون من تونس وفتحوا مصر فكانت القاهرة عاصمتهم، وقد عنوا بهذا الخط عناية كبيرة فجملوه وزينوا به قصورهم ومنازلهم وتحفهم.

٣ - الخط الكوفي السلجوقي: نسبة الى سلجوق، وهو زعيم تركماني ظهر في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، والسلاجقة ثلاثة فروع: فرع ايران - فرع الكرمان - فرع آسيا

الخط الكوفي المملوكي

الخط الكوفي المملوكي

٦ - الخط الكوفي التركي (٧٢٦ - ١٣٧٦هـ):
أخذَه الأتراك عن الإيرانيين وتصرفوا بقياساته وأشكال حروفه وأخرجوه أخراجاً جديداً. برز في هذا الخط تأثير الأتراك بالإسلام من خلال ترصيع القصور والمساجد من جهة ومن خلال تقارب الحرف الكوفي مع أشكال المآذن والنجوم والرموز من جهة أخرى. وتتحلى الزخرفة بين فراغات هذا الخط برسوم الكعبة المشرفة والقباب والمآذن.

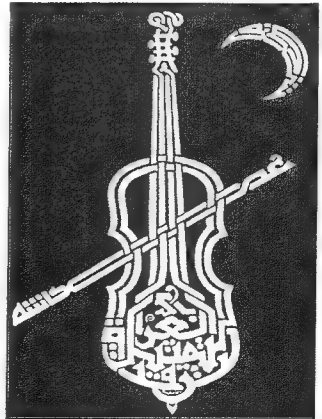


رسالة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل ملك الروم

ويمكن تمييز ذلك بالتالي:

١ - الخط الكوفي البسيط: شاع هذا الخط في العصر الإسلامي، وأشهر من كتب به الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. يخلو هذا النوع من النقط والشكل ولا يلحقه التزيين والزخرفة والترصيع حيث كان يكتب بالقصبة مباشرة. من نماذج هذا النوع رسالة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل عظيم الروم وهي بخط معاوية بن أبي سفيان وعليها خاتم الرسول الكريم.

٢ - الخط الكوفي المربع أو المسطر: أهم ما يميزه خلوه من الأقواس والدوائر واعتماده على القياسات الدقيقة. وهو عبارة عن أشكال وخطوط



الخط الكوفي المتأثر بالرسم

**** اللغة العربية والحرف العربي غدا حلقة الوصل الدائمة بين كل الشعوب الإسلامية على اختلاف ألسنتها .**

٨ - الخط الكوفي المزخرف: تكون الزخرفة بجميع أشكالها هي أساس اللوحة مع تداخلات لهذا الخط.

٩ - الخط الكوفي المضفور: وهو خط معقد نشأ في القرن الخامس الهجري تميزت به الأندلس، وهو يقوم على زخارف شديدة التصفير والتعقيد الى درجة يصعب فيها تمييز الكتابة عن الرسم.

١٠ - الخط الكوفي المتلاصق: لا يمتاز هذا النوع عن غيره إلا بتقريب المسافة بين حروفه الى الحد الأدنى لقراءة الكلمة، حيث تتراص الحروف القائمة فيه وتتساند الحروف المائلة.

الهوامش :

(١) يبرز هذا الخط الشكل البدائي للزخرفة الهندسية الجامدة حيث كان يستعمل في الأعمال الأثرية. وهو لا يكتب باليد والقلم مباشرة. ويقال إنه دخل مكة عن طريق بشير بن عبد الملك الكندي من أهل الأتبار وفي ذلك خلاف.

(٢) يؤكد ذلك الألواح الخمسة المشهورة عند علماء الآثار المكتشفة عام ١٨٧٠م، وهي نقشاً أم الجمال الأول والثاني ونقش زيد ونقش حركان ونقش النمارة.

عمودية وأفقية في زوايا قائمة على الأغلب كالشطرنج. ولعل الهندسة المعمارية فرضت هذا النوع من الخط حيث يكثر في الجوامع والأبنية بما يناسب الأحجار المربعة أو المستطيلة الشكل.

٣ - الخط الكوفي التربييعي المحبوك: وهو أعقد من الشكل السابق، ذلك أن كلماته محبوكة حبكا هندسيا متقنا، ولا تكتب به أية عبارة - بسبب تداخله الشديد - إلا ما يختاره الخطاط وفقا لاشباع الفراغات بالحرف المناسب.

٤ - الخط الكوفي التربييعي المتأثر بالرسم: يستخدم في التحف واللوحات، وهو يرسم بأشكال تتوافق مع طبيعة اللوحة وهندستها.

٥ - الخط الكوفي التربييعي المتأثر بالفلسفة: يبين هذا النوع مدى ثقافة الخطاط قديما ومدى تأثر الخط بالعلوم والثقافات، حيث ترى اللوحات دالة على مفاهيم فلسفية أساسية كالدائرة في الخط مثلا تدل على الكمال المطلق للخالق وعلوه عن المكان والزمان.

٦ - الخط الكوفي التربييعي المعدل: سمي بهذا الاسم لما طرأ على الحرف الكوفي من تعديل وخروج عن القواعد تبعا للشكل المراد رسمه، وللخطاط حريته في ذلك وإن لم يقرأ الخط إلا من بعض المختصين.

٧ - الخط الكوفي المورق: ويسمى بالمشجر أو المخملي. وأهم ما يميزه تداخل الزخرفة النباتية فيه، ويظهر من خلال زخرفته المحمولة على حروفه كالفروع الباسقة والمتدلّية من سوق الأشجار.



الطب المثيل (HOMEOPATHY)

أوضح بأن هنالك نوعين من العلاجات:
أولهما: العلاج بالضد، أي أن الدواء
المستعمل يحدث أعراضا تعاكس الأعراض
المرضية التي يعاني منها المريض.

قبل حوالي مائتي عام أسس الطبيب
الألماني صموئيل هانمان الطب المثيل
(المماثل). ولم يكن هانمان أول من جاء بمبدأ
هذا الطب، فقد سبقه أبو قراط عندما

بم: د. فرح فلاح الخواجة - الاردن

تتعدى الحالة المرضية قيد الدرس وذلك من منطلق أن كل شيء في حياة الإنسان يؤثر عليه، كماض أو حاضر، وهذا بالطبع غير معمول به في الطب التقليدي.

٤ - يستعمل الطبيب في الطب المسائل دواء واحدا عادة لعلاج المريض حتى لو كان يعاني من عدة أعراض كآلام الرأس (Headache)، الإمساك (Constipation)، القرحة (Peptic Ulcer)، في حين يعالج الطب التقليدي كل عارض بدواء خاص به.

٥ - اعتماد مبدأ التفرد (Individualization) فلو أخذنا على سبيل المثال مريضين يعانيان من الزكام فإن الطب المسائل سيعالج كلا منهما بدواء يختلف عن دواء الآخر ويقرر الطبيب الدواء المناسب بأخذ الحالة المرضية قيد البحث إضافة إلى جوانب أخرى من حياة المريض، كعمله وحالته الصحية العامة والنفسية وغير ذلك من أمور . ويمكن الاعتماد على برامج كومبيوترية خاصة لإيجاد الدواء المطلوب.

٦ - إن الأدوية المستعملة في الطب التقليدي ذات آثار جانبية كثيرة (Side Effects)، بل إن القلة القليلة منها فقط تخلو من هذه الآثار التي غالباً ما تكون خطيرة إلى درجة التسبب في أمراض جديدة أو ما يسمى (Iatrogenic/Doctor In-duced). وفي دراسة قامت بها مستشفى في بوسطن عام ١٩٨١، تبين أن ٣٦٪ من المرضى

ثانيهما: العلاج بالمثل وفيه يتم استعمال دواء ذي تأثير مشابه للأعراض المرضية وبذلك يعمل على تقويتها ليتم التغلب من ثم على المرض.

ولم يسلم هذا الطبيب، كغيره من أنصار العلاجات غير التقليدية (Alternative Therapies)، من محاربة أعدائه، أنصار الطب التقليدي (Orthodox Medicine) الذين حاولوا طوال سنوات عديدة طمر هذا الطب الذي كان يشكل تهديداً لمعتقداتهم.

وعلى الرغم من أن هذا الطب هو أقرب أنواع العلاجات البديلة إلى الطب التقليدي، إلا أنه يختلف عنه اختلافاً جوهرياً في عدة أمور أهمها:

١ - اعتماد العلاج بالمثل (concept of Sim-ilaris) وليس العلاج بالضد الذي يعمل على إخماد الأعراض والعلامات المرضية (Symptoms & Signs) وتهدئتها إلى حين (Palliative). فالأعراض المرضية، لهذا الطب، وسيلة دفاعية يستخدمها الجسم للتخلص من غلة أو آفة داخلية.

٢ - التركيز على أهمية الجسم الإنساني واعتباره أداة ذكية للدفاع عن نفسها وليس كما يعتبره الطب التقليدي مجرد آلة (Machine) يتوجب ربط أجزائها بأية طريقة ممكنة باستعمال الأدوية الضدية المختلفة.

٣ - يستغرق الحديث بين المريض والطبيب (In-terrogation) في الطب المسائل ساعة على أقل تقدير، حيث يقوم الطبيب بسؤال المريض عن أمور

الطب المماثل، خاصة في وطننا العربي، على الرغم من أن هذا الطب أصبح متداولاً بكثرة في العالم اليوم. إن مصطلح الطب المماثل Homeopathy مشتق من اللغة الإغريقية (Homois تعني في الإغريقية: مماثل وتعني Pathos: المعاناة). والدواء المماثل يعتمد الاستفادة من جرعات قليلة جداً من مواد طبيعية من عالم النبات (Plants) أو الحيوان (Animals) أو الأملاح المعدنية (Minerals) لتعمل على تحفيز الجهاز المناعي للجسم (System Immune) ليتسنى له بذلك معالجة نفسه بنفسه. وذلك لأن الأعراض المرضية (Symptoms)، كما ذكرنا، هي وسيلة الجسم الدفاعية للقضاء على المرض وليس عكس ذلك كما يعتقد الطب التقليدي (Orthodox Medicine) وفي حالات أخرى يمكن استعمال عينات مرضية صغيرة للغاية (No-sodes) كبديل للقاحات المرضية مثل لقاح الحصبة (Measles)، السعال الديكي (Whooping Cough)، التدرن (Tuberculosis) والجذري (Smallpox).



يعتمد الطب المماثل على عدة مبادئ أهمها :

- ١ - مبدأ علاج المثل بالمثل، أو قانون التماثل (Concept of Similars): فإذا كان ارتفاع درجة حرارة الجسم هو العارض المرضي، يقوم الطبيب بإعطاء المريض دواءً لو أعطي لشخص سليم لسبب له ارتفاعاً في درجة الحرارة.
- ٢ - مبدأ التقوية (Proving): وذلك من خلال تخفيف الدواء ومعادلته المتكررة (Dilution & Succession) بطرق معقدة. والغريب أن القوة

الراقدين فيها يعانون من أمراض ناتجة عن الأدوية التي قاموا باستعمالها لعلاج أمراضهم الأصلية؛ في حين، بصورة عامة، لا توجد أية أضرار جانبية في الدواء المماثل إلا أنه يمكن أن يضاعف من أعراض المريض (Aggravation) بسبب استعمال جرعة قوية جداً (لم نقل جرعة عالية لأن الجرعة القوية في الدواء المماثل هي الجرعة المخففة والتي قد لا تحتوي حتى على جزيئة واحدة من الدواء الأصلي).

يعرف الناس القليل جداً، أو لا شيء، عن

(Allergies) orders) والحساسيات المتنوعة (Acute) أو (Chronic) . والطب المثل أممية خاصة في طب الأطفال (Paediatrics) وفي الحمل (مثل حالات الإعياء والغثيان والتهابات المجاري البولية، ويستعمل في الأشهر الأخيرة لتقوية وإعداد العضلات والأنسجة الرابطة اللازمة للولادة) وذلك نظراً لخلوه من الأضرار الجانبية التي تحدثها الأدوية المتعارف عليها في الطب التقليدي والتي قد تؤثر سلباً على الجنين ونموه الطبيعي في داخل الرحم.

ورغم أن الكثير من الأدوية المماثلة عُشبية (Herbal) بطبيعتها، إلا أن العلاج المماثل يختلف عن العلاج بالأعشاب في كونه يخضع لعمليات التخفيف والمعادلة المستمرة (Dilution & Succession) في حين أن العلاج العشبي غالباً ما يتم إعطاؤه على هيئة محلول صبغي (Tincture)، هذا علاوة على الاستعمال المختلف للدواء الواحد في كل من العلاجين.

ويمكن استعمال العلاج المماثل مع العلاجات الأخرى، كالعلاج التقليدي (دواء أو جراحة) أو العلاجات غير التقليدية على اختلاف أنواعها، لزيادة الفعالية العلاجية (Potentiation).

لقد شاع استعمال هذا الطب كوسيلة علاجية وذلك بعد أن عجز الطب التقليدي عن علاج الكثير من الحالات المرضية فأصبح الطب المثل يعتبر المنقذ والشافى - بمشيئة الله تعالى - وزاده انتشاراً قربه الى الطبيعة وخلوه من الآثار الجانبية.

العلاجية (Potency) تزداد كلما ازداد التخفيف وبذلك تكون أقوى جرعة يمكن الحصول عليها من محلول علاجي لا تحتوي حتى على جزيئة واحدة من الدواء الأصلي!

٣ - مبدأ العلاج بأصغر جرعة ممكنة (Dose)، إذ أن معظم الأدوية المماثلة ذات خصائص سُمّية، وذلك عن طريق تخفيف هذه الأدوية ومعادلتها.

٤ - مبدأ العلاج بدواء واحد، حتى لو تعددت الأعراض التي يعاني منها المريض.

٥ - مبدأ اتجاه العلاج، إذ يجب أن يبدأ العلاج من أعلى إلى أسفل، فهو يبدأ من الرأس فالصدر تبعاً إلى القدم.

ولكن كيف تعمل الأدوية المثيلة، وهل هي فعالة حقاً في علاج الأمراض أم أن لها فقط تأثيراً اعتقادياً (Placebo)؟ وكيف يمكن لمادة دوائية معالجة ومشافاة المريض رغم تأثيرها المماثل لأعراضه المرضية؟ وكيف يمكن لجرعات دوائية قليلة جداً أن تحدث أثرها رغم أنها قد لا تحتوي حتى ولو على ذرة واحدة من الدواء الأصلي؟! لم تضاف الدراسات المضنية للعلماء في هذا المجال سوى نظريات افتراضية، أما الميكانيكية العلمية فلا تزال في حيز المجهول!

ويستطيع الدواء المماثل معالجة كافة الحالات المرضية على الإطلاق، باستثناء الحالات المتقدمة جداً، فالدواء المماثل فاعل للغاية في الإسعافات الأولية (First Aid & Cpr) وفي معالجة التهابات (Infections) والحالات السرطانية (Cancers) والأمراض العقلية (Mental Dis-

من روائع الأستاذ أحمد حسن الزيات



مكتبة المتاحف



٥٤٥ - كتاب وحي الرسالة :

من حق هذا الجيل أن يعود الى قراءة كتاب وحي الرسالة بأجزائه الأربعة للأديب الكبير أحمد حسن الزيات، ومن أحسن ما قيل في أدب الزيات ما سطره الأستاذ عباس محمود العقاد حين قال مخاطباً الأستاذ الزيات:

أسلوبك أنت، وأنت أسلوبك، إتقان، واستحياء وسلامه، إتقان صنعة في غير ظهور ولا ادعاء، يوشك من يتبينه أن يلम्سه

ليعرف موضع الجودة فيه كما يلمس المسوم النسيج المتين الذي وعى المثانة سرا من أسرارهِ.

واستحياء يخفى مزاياه ولا يفوته شيء بأن يخفيها لأنها أثبت من أن يحجبها الإخفاء وسلامة تطوع العصي، وتملك الزمام في الوعر والسهل على السواء، وتلك هي الأساليب التي تضاف إلى لغة العرب، فيقال معنى إنسانى في كلام عربي وسأنقل بعض الشذور مفتحاً بما قال عن الحج.

٥٤٦ - الحج :

يتصافون على الوداد، ويتألفون على البعاد، ويقفون سواسية أمام الله حاسرى الروس، خاشعي النفوس يرفعون إليه دعوات واحدة تصعد بها الأنفاس المضطربة تصعد البخار من مجامر الطيب، أو العطور من نواقيع الروض.

الحج مؤتمر الإسلام العام، يجدد فيه حيله، ويتعهد به أهله، ويؤلف بين القلوب في ذات الله، ويواخي بين الشعوب في أصل الحق، ويستعرض

كان الحج ولا يزال مظهر الدنيا، تنحضر فيه النفوس عن جوهرها أوزار الشهوات، وأوضاع المادة، وكان الحج ولا يزال ينبوع السلامة، تبرد عليه الأكباد الصادية، وترفه لديه الأعصاب الوائنة، وكان الحج ولا يزال مثابة الأمن تأنس فيه الروح الى موضع الإلهام، ويسكن الوجدان الى منشأ العقيدة، وكان الحج ولا يزال موعد المسلمين على عرفات

د. أبو حسان - المنصورة

حكم لا يرد، ودعوته بركة لا تنقطع، وكنا في ذلك العهد أحداثاً ننظر الى الشيخ وهو في بهرة المجلس كأنه برهان الله يُعبرُ وهو صامت، ويؤثر وهو ساكن، والقوم من حوله مطرقون مستغرقون قد فرغت قلوبهم من مطامع الدنيا، وخلت صدورهم من وساوس الشر، فإذا ترك القرية خُلف بها عهد الله يتصل به ما انقطع من أسباب، ويقوى عليه ما وهن من المودة».

هذا عن العالم الأصيل، أما الدخلاء فماذا قال عنهم الزيات؟ استمع
«من العامة جماعة انتسبوا الى علماء الدين، كما ينتسب الزوائد الى الحنطة نالوا شهادة العلم بالغش، ولبسوا شارة الدين بالباطل، وبلغوا مناصب الدنيا بالملق، ثم اندسوا في المجتمع اندساس الإثم في الضمير، أو الداء في البدن، فكانوا في الوحدة مظهر تقريق، وفي النهضة مصدر تعويق، ثم اتخذوا من دورهم معامل لتفريخ الأكاذيب، ومن ندواتهم وسائل لترويج الإشاعات يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا، ويشيرون الريبة في الذين عملوا، ويقعدون من حركات الإصلاح مقاعد التريص والتلصص فإذا دعاهم المصلح هبوا في وجهه هبة الريح العاتية على المصباح الهادي، وإذا دعاهم المفسد نفخوا قلبه الواري بالنار المشتعلة. ذلك لأنهم لا يختلون فراشهم الا في الظلام، ولا يشوون ذبائحهم الا في

علائق الناس كل عام فيوشجها بالإحسان، ويوثقها بالتزامن، وفي كل بقعة من بقاع الحجاز أثر للفداء ورُمزٌ للبطولة، فالهج إليها إحياء بالعزة، وحفز للسمو وحث على التحرر، ففي بطحاء مكة درج قواد العالم وهداة الخليفة.

٥٤٧. بعض الفقهاء :

تحدث الزيات عن رجل الدين المؤمن، وعن رجل الدين الدُّعي المفرض، فقال عن الأول: (تدخل على رجل السلطان أو تلقاه، فتغشاك منه مهابة تطأطئ من نفسك، وتكسر من نخوتك، فإذا خرجت من مدار هالته، أو خرج هو من ملكوت سلطانه، وجدته في رأيك الحرّ أشبه بالجذوة الواهجة إذا تحولت الى رماد.

وتجلس إلى رجل الدين أو تراه، فتغمرك منه جلالة تلج صدرك بالرضا، وتنقع نفسك بالسكينة، فإذا قمت من مجلسه بقي في بصرك نوره، وظل في بصيرتك هداه، وهذا هو الفرق بين قوة تسيطر بمادة الإنسان، وقوة تؤثر بروح الله.

كان هذا الإشعاع الالهي يفعل فعله في القلوب من غير وعظ ولا إرشاد، كان العالم أو شبه العالم إذا دخل قرية أشرقت أرضها بنوره، واهتز أهلها لمقدمه، فيهرعون إليه ويعكفون عليه، ويجدون فيه الدليل الى الله، فمصافحته عهد لا ينقض، وإشارته

ملكاته الإجرامية لحسابه الخاص فيسرق من البيوت الآتية والثياب، ومن الحقول القطن والذرة، حتى عدّ من ذويان القرى وغربان الأسواق، فكل جريمة له فيها يد، وكل سرقة له فيها نصيب.

فلما قيّده السن وحطمه الكبر، أرسل لحيته شبرا تحت ذقنه، ثم ضخم العمامة، وبيض الجلباب وأمسك بالسبحة، ومشى في الأزقة يتمتم بالأدعية، ويجهر بالتحيات، ويواظب على الصلوات ويجلس على المصاطب يتحسس الأخبار، ويتسقط الأسرار، فإذا وقع خلاف بين والد وولده أو بين زوج وزوجه إندس إليهما بالإغراء، وسعى بينهما بالنميمة حتى تقع الفرقة وتحل الكارثة فإذا انتهى الخلاف للمحكمة، وسوس للمتخاصمين بالحيل التي تطمس الحق، وتوسع الخصومة لأنه كما أنهم يعلم القانون.

ذلك عمله بالنهار أما عمله بالليل فالعسس في الطريق، فإذا لقي حماراً أو عجلاً انطلق بهما إلى مراكز اللصوص ليصرفوه، وعاد تحت ستار الظلام نادماً أن فاتته صلاة الفجر.

وفي بعض الليالي شرع في نقب بعض البيوت، فدهمه الحراس، فسيق إلى البوليس وحاول أن يدفع التهمة ببياض لحيته، ورعشة يده فلم يوفق!

٥٤٩ - (سياسيون) :

تحدث الزيات عن أبطال الحرب العالمية، هتلر وموسوليني وتشرشل فماذا قال؟
«هل الطاغيتان موسوليني وهتلر في أسبوع واحد بعد أن ظلا ستة أعوام ينشران الفرع والجوع

الحريق، ينفرون من العبير كما تنفر الجعلان، وينفرون من النور كما تفر الخفافيش، ويموتون من الطهر كما تموت الجرثام، ويفزعون من الخير كما تفزع الشياطين، أما الروح وأما الدين وأما الخلق وأما الأدب فصفت لا تدل على موصوف وكلمات لا تزيد على أنها حروف.

٥٤٨ - (مجرم خطير) :

كتب الأستاذ الزيات تحت عنوان (الحية بيضاء!)

ماذا كان يمكن هذا المخلوق أن يكون لو أنه تعلم؟ الغالب في الظن أنه لو تعلم الحقوق لما برع إلا في ابتكار الحيل التي تصمى للصوم، وتآليف الحجج التي تخدع القضاة، وتدير الخطط التي تضلل الشرطة، ولو كان تعلم الطب لما اشتغل إلا بتركيب السموم، وتزوير الشهادات، وتخدير المدمنين وإجهاض الحوامل، ولو كان تعلم الأدب لما نبغ إلا في قصص الجنس والتلصص والانتصار والدعارة، ولو كان تعلم الزراعة لما اشتغل إلا بزراعة الحشيش والأفيون، ولو كان تعلم الهندسة ما نبغ إلا في اختراع المخابىء السرية والمزالق الجهنمية.

نشأ بين لداته من أطفال القرية كما نشأ الثعبان بين الحمام، فكان لا ينفك ضارباً هذا بعضاً، أو قاذفاً ذاك بحجر، أو خاطفاً لعبة من بنت، أو سارقاً شيئاً من بيت، فلما جاوز الطفولة دخل في خدمة الفجار والمجان، فكان يخدم أولئك في تدبير الجرائم ويخدم هؤلاء في اعداد الولائم وكان يمرن

العجوزين المتخاذلين أمام الإعصار النازي الجارف،
 ليعيد نعمة الحرية الى الناس، ويقم ميزان العدالة
 في الأرض، قام اليوم يدعو أمريكا الى شركة أخوية
 تصوب سهامها المراشة الى كل دولة تطلب المساواة،
 والى كل أمة تريد التحرر، تشرشل هذا الذى كان
 كلما لكمة هتلر لكمة الموت خراً فاقد القوة والوعى
 كالثور المنزوف فتدركه أمريكا بالماء حتى يفيق، فإذا
 أفاق قام مترنحاً للكنيسة يصلى، أو الى مجلس
 العموم يبكى، أو الى البيت الأبيض يستجدى، يتبجح
 اليوم بالعصبية، ويألم أشد الألم لأن وزارة العمال
 البريطانية قررت إجلاء الجنود الإنجليزية من
 مصر!

٥٥٠ = (من شعر الأستاذ أحمد الزين) :

من ديوان الأستاذ أحمد الزين تحت عنوان
 (تحية كتاب) هو وحى الرسالة للأستاذ أحمد حسن
 الزيات قال الزين :

أمير البلافة فيما كتب
 إليك تناهي بيان العرب
 فصف لي بلبي يراع كتبت
 فحيا افتنانك زهو الأب
 وقل لي بلبي بنان تحصيل
 مداد اليراع سلاف العنب
 وأي القسراتك تلك التى
 لها وهب الفن ما قد وهب
 فهات من النشر ما قد حلا
 نغم في الثناء بما قد وجب

والموت والخراب في كل أمة، دون أن يعصم الناس
 عاصم من دفاع، أو ملجأ من حيداد، ومن سخر
 الأقدار أن هتلر كان يدعو للنازية في مشرب من
 مشارب البيرة، وأن موسوليني كان يخطب للفاشية
 على ظهر مدفع في البندقية، فقتل هتلر وهو يدافع
 على رأس مدفع، وصرع موسوليني وهو يفر الى
 الحدود مع مومس، والحق أن هاتين الميئتين، ميئة
 الأسد لزعيم الألمان، وميئة الكلب لزعيم الطليان هما
 الخاتمان اللذان صاغتهما الحوادث للرجلين من
 معدن الأمتين.

انبعث هذان المسيخان من ركنين متجاورين،
 من أركان التمدن الحديث، فاستوحيا الشيطان دينين
 جديدين يجعلان الآخرة للدنيا، والعقل للهوى، والعلم
 للشر، والحضارة للدمار والحياة للموت، ثم خرجت
 هاتان النحلتان من الكهوف والمواخير، وانتشرت في
 أجواء برلين وروما، انتشار الظلام المضل، والفاز
 الخائق، فعميت عيون كانت ترى، وغيب عقل كانت
 تفهم، ثم هتكت النازية أسرار الدول بالجواسيس،
 واشترت ضماير السياسيين بالمدى ومرت جوانب
 الأرض بالموت في شتى أحواله فأصبحت أوروبا
 سجونا للأحياء وقبوراً للموتى ثم حانت العاقبة
 فانهار الطود الأشم.

أما تشرشل الذى عارض أمانى الدول العربية
 في الاستقلال فمما قال فيه الزيات:

«تشرشل الذى وقف ذات يوم على الساحل
 البريطانى يستقبل الهزيمة الماحقة في دنكرك وقلبه
 واجف، ودمعه واكف، يدعو الله أن يثبت قدميه

أكد لا أمل الى صحة التقسيم العُقديّ للأجيال الشعرية، فهو تقسيم غير منطقي، ولا أحسب أن بإمكاننا وقفة أن نرصد الملامح الأساسية لأي بعد فني قد يتمتع به هذا العقد أو ذاك، بمعنى أننا واجدون من شعراء عقد السبعينيات من لا ينتمي الى التجارب الشعرية لتلك الحقبة من الزمن، وقد لا نجد أي انتماء فني بين ما طالعنا به تجارب تلك الحقبة، وهي تجارب فنية واضحة وبين كثير من المعطيات الشعرية ذات الدفقات الفنية الجميلة الخاصة بذلك العقد فهل يحق بالفعل أن نصف كثيرا لتلك التقسيمات؟

أنا أجد أن من الخطأ السائد أن نستمر في الاهتمام بتلك التقسيمات بطريقة توحى أن لكل عقد زمني معين طريقة معينة في التعبير، أو مدرسة خاصة غير متأثرة بالمدارس السابقة، وأجد أن بإمكاننا بدلا من اللجوء الى تلك التقسيمات أن نحدد التقسيم وفق مرحلتين هامتين مر بهما الشعر الحديث:

أولهما: حركة التجديد في الشعر، وهذه لها فرسانها المعروفون.

ثانيتهما: حركة الاتباع أو التقليد، وهذه أيضا لها فرسانها المعروفون.

ونأخذ طبقا لهذه التجزئة «العقلانية» في سبر أغوار هاتين المرحلتين، وإعطائهما ما تستحقانه من درس والنقد... وأظن أن الملامح الفنية لشعراء المرحلتين معا واضحة دون لبس، وبالتالي فإن بإمكان النقاد أن يضعوا أيديهم على ملامح هاتين المرحلتين بطريقة تخلو من التعقيد، أما أن يقال أن لكل عقدة زمنية مدارسها الشعرية الخاصة التي قد تختلف مضامينها وأشكالها عن المدارس القديمة، أو القول بمعنى آخر أنها غير متصلة بالتراث... فهذا أمر يبدو أنه موغل في الخطأ، وربما موغل في العيب أيضا.

ذلك أن الأدب ينثره وشعره متواصل الحلقات، فمن الصعوبة بمكان أن تفصل حلقة عن الأخرى ونذعي بعد ذلك أن لكل واحدة من تلك الحلقات خصائصها المميزة التي تنفرد بها، وإذا تأملنا الواقع من خلال معطيات شعراء تلك العقود أو الحقب الزمنية لوجدنا أن «الانفراد» وهم لا صحة له على الإطلاق، ولوجدنا أن تلك «الخصائص المميزة» هي وهم كذلك يعيش في أدمة البعض منا، ولا صحة له من خلال تلك المعطيات الفنية المتدفقة.

صحيح أن «التجديد» في الشعر ظاهرة حسنة وهي التي ربما ميزت هذه العطاءات الحديثة الثرة المليئة بالصور الجديدة والرؤى الخيالية التي لا أظن أن بالإمكان فصلها أيضا عن تراثنا الشعري القديم، غير أن من الصعوبة أيضا فصل المرحلتين «التجديدية» و«الاتباعية» فصلا ينجح الى الظلم وعدم التبصر في خصائصهما المشتركة.

أعود للتأكيد على أن الدفقات الشعرية لا يمكن فصلها بحقب زمنية نفصل خصائصها ومميزاتها افتعالا.

صعوبة الفصل

محمد حمد الصويغ

الدمام - السعودية

شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسام المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٤٥ يوماً من صدور العدد.

- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»



طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسام التي ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسام ناقصة الاجابة.
- تجمع القسام الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائز الاول والثاني والثالث وهكذا الى الثامن.
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

- الجائزة السابعة: اشتراك سنوي في المنهل .
- الجائزة الثامنة: مجموعة اعداد متفرقة من المنهل، وبعض اصدارات الدارة.

- الجائزة الاولى : ١٠٠٠ ريال
- الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال
- الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال
- الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال
- الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريال
- الجائزة السادسة: ١٥٠ ريال

الاسم : السن :

العنوان :

المنهاج

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية العدد (٥٨٥)

الفائزون :

- ١- محمد مرسى محمد مرسى - (١٠٠٠) ريال - كفر الشيخ / مصر
- ٢- احمد مسلم محمد - (٧٠٠) ريال - جدة - السعودية
- ٣- عبد الله صدوق - (٥٠٠) ريال - الدار البيضاء - المغرب
- ٤- شذى سليمان الغريية - (٤٠٠) ريال - عمان الاردن
- ٥- عبد الحميد محمد عبد الحميد الشافعي - (٢٥٠) ريال - الدقهلية - مصر
- ٦- اشرف عثمان حسن - (١٥٠) ريال - جدة - السعودية
- ٧- منى عبد المعطى شاكر - اشتراك عام واحد في المنهل
- ٨- د. ايمن جاد عبد الرحيم - مجموعة اعداد واصدارات المنهل

ستشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية للعدد (٥٨٦) في العدد (٥٨٨) .. وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين

قسمة مسابقة العدد (٥٨٧)

ضع علامة امام الاجابات الصحيحة ..

** ولد الاستاذ عبد القدوس الانصاري مؤسس مجلة المنهل في المدينة المنورة عام :

☐ ١٣٢٦هـ

☐ ١٣٢٣هـ

☐ ١٣٢٤هـ

** تقع مدينة موستار في :

☐ البوسنة

☐ جنوب افريقيا

☐ الهند

** بدأت المحاولات الأولى للخط الكوفي في :

☐ المغرب

☐ مصر

☐ سوريا

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد.



رجل الانسانية

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود... قدم الكثير الكثير من اعمال البر والخير وأسعد الكثير من ذوي الحاجات واقام الكثير من صروح البر والمعروف. ومن يصنع المعروف لا يعدم جوازيه..

وتأتي هذه الجائزة (جائزة الشيخ راشد للشخصية الانسانية) للعام ٢٠٠٢م... تسوقها يد الوفاء والعرفان تكريماً لصاحب السمو الملكي الامير سلطان بن عبد العزيز آل سعود..

تحية إكبار وتقدير لما قدم من أعمال انسانية انتفع بها من انتفع ممن هم في حاجة ماسة لها.

مجلة المنهل .. سعدت بهذا التقدير والوفاء والتهنئة موصولة دائماً لصاحب أيادي الخير والمعروف.

معنا أنت الفائز



للسنة الثانية على التوالي

البنك الأهلي التجاري يفوز بجائزة أفضل خدمات بنكية إلكترونية

تجسيداً لروح التطور.. ويدافع خدمتك يسعى البنك الأهلي التجاري دائماً لكي يقدم أفضل الخدمات التي تضمن لك الراحة التامة في كل عملياتك البنكية. وفوز البنك الأهلي التجاري بجائزة أفضل خدمات بنكية إلكترونية للعام الثاني على التوالي تقديراً لإسهامه المتميز بالاقتصاد السعودي الحديث، هو نتيجة طبيعية لجهود البنك الذي يقدم لعملائه أكبر باقة خدمات بنكية إلكترونية شاملة. وأولاً وأخيراً.. راحتك هي فوزنا الحقيقي.



جوال الأهلي المصرفية



متلف الأهلي المصرفية



الأهلي أون لاين



صرفات الأهلي الآلي

اشترك اليوم مجاناً بهذه الخدمات المبتكرة عبر موقعنا www.alahli.com أو لدى أقرب فرع لديك.

خدمات الأهلي الإلكترونية

البنك في راحة يدك